

جمعية الآل والأصحاب .. مملكة البحرين

مختصر

دفاعاً عنه الآل والأصحاب

إعداد قسم الدراسات والبحوث بجمعية الآل والأصحاب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله
الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً
كثيراً.

وبعد ،

كم كانت فرحتنا كبيرة ونحن نرى نفاذ الطبعة الأولى من كتاب "دفاعاً عن الآل
والأصحاب " بهذه السرعة ، وكم كانت فرحتنا أكبر ونحن نتلقى سيل من الطلبات
عليه، الأمر الذي حدانا إلى الشروع في طبعة جديدة.

والجمعية وقد سرها أن تقدم هذه الطبعة ، بصورتها المختصرة نزولاً على رغبة الكثير
من القراء الأعزاء، لا يسعها إلا أن تشكر كل من ساهم في نشر أو دعم الكتاب في طبعته
، سائلين المولى عز وجل أن يجعل ما قدموه في موازين أعمالهم الصالحة وأن يجزيهم خير
الجزاء ولا يحرمهم الأجر والثواب .

ونسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير ..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله عز وجل هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ [آل عمران : ٧]

ويقول عز من قائل: وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً [النجم : ٢٨].

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوهَا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات : ٦].

لعل مسألة إثارة الشبهات والظنون من أقدم الوسائل التي لجأ إليها أعداء الأنبياء والرسول ومن سار على نهجهم وفي ركبهم من الأتباع، وستظل هذه المعركة قائمة بين أصحاب الحق والباطل، ولعلها لن ترفع إلى قيام الساعة. وكم هي تلك الأخبار التي تلقوها دون تدبر وتمحيص وعلى ضوءها رموا الآخرين بالتهم، جازمين بارتكابهم لها،

وما كان قبولهم لها إلا أنها وافقت هوى في نفوسهم، فضربوا بعرض الحائط أوامر وتعاليم الكتاب والسنة، كقول الله عز وجل: قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [البقرة: ١١١] وقوله: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً [الإسراء: ٣٦]. وقول الرسول ﷺ: (بئس مطية الرجل زعموا)^(١). وقوله ﷺ: (إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث)^(٢).

فأول المفاصد المترتبة على عدم التثبت هو سوء الظن، فالعقائد الفاسدة المبنية على سوء الظن، ثم الظلم الذي حرمه الله وجعله بين عباده محرماً وكفى به إثماً مبيناً. يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (ليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل).

ويقول: (اعلم أن سوء الظن حرام، مثل سوء القول.. فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال، وهو بعين مشاهدة أو بيئة عادلة)^(٣). وفي الحديث: (أن الله تعالى حرم من المسلم دمه وعرضه، وأن يظن به ظن السوء)^(٤).

(١) أخرجه أبو داود برقم ٤٩٧٢.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٤٨٤٩، ومسلم برقم ٢٥٦٣.

(٣) فيض القدير ١٥٧/٣.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم ٦٧٠٦. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني ٣٤٢٠.

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله: (فليس لك أن تظنّ بالمسلم شرّاً، إلّا إذا انكشف أمر لا يحتمل التّأويل، فإن أخبرك بذلك عدل، فمال قلبك إلى تصديقه، كنت معذوراً، لأنك لو كذّبتَه كنت قد أسأت الظنّ بالمخبر، فلا ينبغي أن تحسن الظنّ بواحد وتسيئه بآخر، بل ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرّق التّهمة حيثنذ بسبب ذلك)^(١).

الشبهات:

يقول ابن منظور: (الشبه: الالتباس، وأمور مُشْتَبِهَةٌ: مشكلة يشبه بعضها بعضاً)^(٢). وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: «وإنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق، فأما أولياء الله فضيائهم فيها اليقين، ودليلهم سمت الهدى، وأما أعداء الله فدعائهم فيها الضلال، ودليلهم العمى»^(٣).

ومن أعظم الوسائل التي انتهجها أصحاب إثارة الشبهات والظنون في تلبيس الأمور على العوام، اللجوء إلى المتشابه من المسائل، فإن لم يجدوا في هذا ما يغني، عمدوا إلى تحريف آيات الكتاب وما صح من روايات فحملوها على محامل بعيدة هي أبعد ما تكون عن مقصود الشارع الحكيم، وصرفوها عن ظاهرها كي توافق أهواءهم ورغباتهم، وإن أعياهم ذلك كله عمدوا إلى وضع الأحاديث بما تهواه أنفسهم انتصاراً لباطلهم.

وهذا الأخير من أعظم الوسائل التي لجأ إليه هؤلاء، خصوصاً وأن الكثير من رواياتهم الموضوعية هذه قد تسربت إلى كتب المسلمين. ولا شك أن هناك آلاف الروايات حوتها

(١) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي.

(٢) لسان العرب ١٣/٥٠٤.

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع) ٨٩/١، بحار الأنوار للمجلسي ١٨١/٦٧، موسوعة أحاديث أهل البيت

(ع) الشيخ هادي النجفي ٥/٢٧١.

مصادر المسلمين في شتى العلوم، كلها موضوعة على لسان رسول الله ﷺ ومنسوبة إليه وإلى صحابته رضوان الله عنهم وإلى الأئمة رحمهم الله.

ووضع الحديث عادة قديمة، وقد اختلفت أسباب هؤلاء الوضاعين بين زنادقة أظهروا الإيـان وأبطنوا الكفر ووضعوا الأحاديث استخفافاً بالدين وتلبساً على المسلمين، وبين أصحاب أهواء وعصبيات ومذاهب، يضعون ما يتصورون به لمذاهبهم، وبين من وضع ذلك ترغيباً في فضائل الأعمال وترهيباً من النار.. إلى غير ذلك من أسباب ذكرها واتفق عليها كل من تكلم في هذا الباب.

وكان لانتشار هذه الروايات في كتب الفقه والتفسير والتاريخ والسير والمغازي وغيرها أثراً سيئاً في نشوء عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، أدت بدورها إلى ظهور فرق ومذاهب باطلة جل بنياها على هذه الموضوعات، ولم يكن يتورع أصحابها في أن يصيروا كل ما هوته قلوبهم وأنفسهم حديثاً.

وكان المسلمون الأوائل لا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتن بينهم، فكان أن سألوا عن الرجل، فإن كان من أهل السنة أخذوا حديثه، وإن كان من أهل البدعة فلا يؤخذ حديثه.

فصار الإسناد المتصل إلى الرسول ﷺ أو الأئمة رحمهم الله هو السبيل إلى معرفة الشرايع والأحكام، فتشددوا في معرفة حال كل من وقع في إسناد حديث حتى قيل لهم: أتريدون أن تزوجوه؟

وكان ابن سيرين رحمه الله يقول: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم»^(١). وكان من هدي الرعيل الأول أن يأتوا بالإسناد قبل الحديث.

قال الزهري رحمه الله: «لا يصلح أن يرقى السطح إلا بدرجة»^(١).
قال الأوزاعي رحمه الله: «ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد»^(٢).
وقال شعبة رحمه الله: «وإنما يعلم صحة الحديث من الإسناد»^(٣).
وقال سفيان الثوري رحمه الله: «الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن سلاح فبم شيء يقاتل»^(٤).
وقال ابن المبارك رحمه الله: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»^(٥).
وقال أيضاً: «مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم»^(٦).
وقال الشافعي رحمه الله: «مثل الذي يطلب العلم بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري»^(٧).
وغيرها من أقوال بينوا فيها أهمية الإسناد.
فكان أن ظهر علم الرجال، الذي يبحث في أحوال رجال الأسانيد المنتهية إلى الرسول ﷺ أو الصحابة ي أو الأئمة رحمهم الله لمعرفة صحة نسبة هذا الحديث أو ذاك إليهم من حيث خلو إسنادها من وضاعين إلى غيرها من علل وشذوذ.
وقد أورد الإمامية أيضاً من طرقهم حث الأئمة رحمهم الله على التثبت في نقل الأخبار بعد أن هاهم حجج الكذب عليهم.

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٦/٢.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ٥٧/١، طبقات الشافعية الكبرى ٣١٤/١.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٥٧/١.

(٤) شرف أصحاب الحديث ٤٢، جامع التحصيل ٥٩.

(٥) مقدمة صحيح مسلم ١٥/١.

(٦) شرف أصحاب الحديث ٤٢.

(٧) المدخل إلى السنن الكبرى ٢١١.

فعن الصادق رحمه الله قال: «إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس»^(١).

وقال ﷺ: «إن الناس قد أولعوا بالكذب علينا، وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم كانوا لا يطلبون بأحاديثنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا وكل يجب أن يدعى رأساً»^(٢).

وقال: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق الكتاب والسنة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا محمد، فإننا إذا حدثنا قلنا: قال الله عز وجل وقال رسول الله ص»^(٣).

وعن يونس بن عبد الرحمن قال: (وافيت العراق فوجدت جماعة من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله متوافرين، فسمعت منهم، وأخذت كتبهم، وعرضتها من بعد على أبي الحسن، فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أصحاب أبي عبد الله، وقال: إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله، لعن الله أبا الخطاب وكذلك أصحاب أبي الخطاب

(١) أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٥٦٤/٣، بحار الأنوار، للمجلسي ٢١٧/٢ و ٢٦٣/٢٥.

(٢) بحار الأنوار، للمجلسي ٢٤٦/٢، جامع أحاديث الشيعة، للبروجردي ٢٢٦/١، فرائد الأصول، للأنصاري ٣٢٦/١، تاريخ آل زارة، لأبي غالب الزراري ٥١، اختيار معرفة الرجال، للطوسي ٣٤٧/١، إكليل المنهج في تحقيق المطلب، للكرباسي ٥٠، معجم رجال الحديث، للخوئي ٢٣٢/٨، أعيان الشيعة، لمحسن الأمين ٤٨/٧، موسوعة المصطفى والعترة (ع)، لحسين الشاكري ٤٢٩/٨.

(٣) مستدرک الوسائل، للميرزا النوري ٤٨/١٠، بحار الأنوار، للمجلسي ٢٥٠/٢ و ٢١١/٦٩ هـ ١٠١/٨٤ هـ ٢٦٢/٩٦ هـ، جامع أحاديث الشيعة، للبروجردي ٢٦٢/١، رسائل في دراية الحديث، للبابلي ٢٣٧/٢، أصول الحديث، لعبد الهادي الفضلي ١٤٧، اختيار معرفة الرجال، للطوسي ٤٨٩/٢، معجم رجال الحديث، للخوئي ٣٠٠/١٩، قاموس الرجال، للتستري ١٨٨/١٠ و ١٨١/١١.

يدسون من هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن^(١).

وعنه أيضاً قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدس فيها الكفر والزندقة، ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه، فيأمرهم أن يثبتوها في الشيعة، فكل ما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم»^(٢).

وقد اتفق المسلمون على حرمة نقل الحديث إذا كان موضوعاً لكونها إعانة على الإثم وإشاعة للفاحشة وإضلالاً للمسلمين، وأن من أراد أن يروي حديثاً ضعيفاً أو مشكوكاً في صحته بغير إسناد، يقول: روي، أو بلغنا، أو ورد، أو جاء، أو نقل، ونحوه من صيغ التمريض، ولا يذكره بصيغة الجزم، كقال رسول الله ص. ولو أتى بالإسناد مع المتن لم يجب عليه بيان الحال، لأنه قد أتى به عند أهل الاعتبار^(٣).

ولا شك أن قوله: (إن الإتيان بالخبر مع الإسناد يغني عن بيان الحال) صحيح على نحو ما، فإن كثيراً من كتب المسلمين مليئة بالروايات الموضوعية بأسانيدها، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن علماءنا الأوائل رحمهم الله كانوا يمرون بمراحل في التأليف، بدءاً

(١) رجال الكشي ١٩٥، بحار الأنوار، للمجلسي ٢/٢٥٠، حاشية المستدرك للميرزا النوري ٤/١٧٧ هـ، اختيار معرفة الرجال للطوسي ٢/٤٩٠، معجم رجال الحديث للخوئي ١٨/٢٧٦ ٢٠٨/٢٠٨.

(٢) تحف العقول، لابن شعبة الحارثي ٣١٠ هـ، بحار الأنوار، للمجلسي ٢/٢٥٠ ٤٦/٣٣٢ هـ ٢٠٢/٢٠٢ هـ، رسائل في دراية الحديث، للبائلي ٢/٢٥٣ هـ، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع)، لهادي النجفي ٨/١٦٣، أصول الحديث، لعبد الهادي الفضلي ١٤٣ هـ، اختيار معرفة الرجال، للطوسي ٢/٤٩١ هـ، معجم رجال الحديث، للخوئي ١٩/٣٠٠، قاموس الرجال، للتستري ١٠/١٨٩.

(٣) مقباس الهداية ١/٤١٧ هـ، دراسات في علم الدراية، لعلي أكبر غفاري ٧٧، رسائل في دراية الحديث، لأبي الفضل حافظيان البائلي ١/٢١٠ هـ، الرعاية في علم الدراية، للشهيد الثاني ١٦٥.

بالجمع والذكر لكل ما سمعوه في المقام، وانتهاءً بتحقيق الروايات لتمييز الغث من السمين، وقد يقتصر أكثرهم على الأول، أي: الجمع والذكر لكل ما سمعوه، معتقدين براءة ذمتهم ما داموا قد ذكروا الإسناد الذي يمكن من خلاله معرفة صدق الخبر من كذبه، وذلك لاستحالة تحقيق كل خبر في حينه، لاعتبارات عدة؛ كأن يكون للحديث المذكور طرق أخرى ينجر به، أو أن ضعف بعض الرواة لم يثبت عنده، وغيرها، وأضيف إلى ذلك عدم اشتراطهم لذكر الحديث أن يكون صحيحاً، كما صرحوا بذلك في مقدمة مصنفاتهم، مع هذا فلم يحجز العلماء رواية أمثال هذه الموضوعات دون بيان وضعها، وعدوا من فعل ذلك مذنباً عليه التوبة.

وأخطر ما يستغله هؤلاء هو جهل الكثير من العوام بالفرق بين مجرد الإيعاز وبين التخريج.

فالإيعاز هو مجرد ذكر المصدر الذي وردت فيه الرواية، وقد تكون هذه الرواية موضوعة وقد بين المصنف وضعها، ولكن أصحاب الشبهات لا يبيّنون هذه الحقيقة عند نقلهم للرواية. وربما ذكرها المصنف للرد عليها، فيستغل هؤلاء ورودها في الكتاب، فيلبسون الأمر على العوام بأن هذه المسألة من المسلمات، حيث أوردوها المخالفون في مصنفاتهم.

وأكثر الشبهات من هذين الصنفين.

والأمر الآخر هو التخريج، وهو دراسة سند الرواية ومتنها لبيان صحتها من ضعفها. وهذا علة ترديد الكثير من العلماء مقوله: المطالبة بصحة النقل، وأن مجرد العزو إلى فلان أو إعلان لا تقوم به حجة باتفاق أهل العلم.

وفي هذا يقول ابن خلدون رحمه الله: (وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل، من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً). ونحن في هذا المصنف والذي إختصرناه من الأصل كما ذكرنا، سوف نتطرق إن شاء الله تعالى إلى أكثر الشبهات التي طال حولها الجدل وبنيت عليها عقائد فاسدة في حق خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وصحبه وسلم، ونبين ردود العلماء^(١) عليها وفساد الاستدلال بها.

ونسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) حذفنا جل المصادر طلباً للإختصار، ومن أرادها يطلبها في مظاهرها وعلى رأسها الشبكة العنكبوتية.

شبهات حول الصحابة عليهم السلام

عدالة الصحابة:

من أعظم الشبهات التي يرددها الطاعنون في الصحابة ي ويشنعون على من يعتقد بها، مسألة عدالة الصحابة.

معنى العدالة:

جاء في معاجم اللغة: (العدل خلاف الجور، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل، وتعديل الشيء: تقويمه، يقال: عدلته فاعتدل، أي: قومه فاستقام).

فمن هذه التعاريف اللغوية يتبين أن معنى العدالة في اللغة الاستقامة، وأن العدل هو الذي لم يظهر منه ريبة، وهو الذي يرضى الناس عنه ويقبلون شهادته ويقتنعون به.

العدالة اصطلاحاً:

تنوعت عبارات العلماء في تعريف العدالة في الاصطلاح ولم تخرج في مجموعها عن أن العدالة والعدل هو من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به وتوقي ما نهى عنه، وتجنب الفواحش المسقطه وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته والتوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة، فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه، وقال آخر: هي محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، وليس معها بدعة، وتحقق باجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر

هذه بعض تعريفات أهل العلم للعدالة في الشرع، وهي وإن تنوعت عباراتهم إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة، ولا يتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي، وأن يبعد عما يخل بالمروءة، وأيضاً: لا يتحقق إلا بالإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من الفسق.

ولم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجميعهم رضي الله عنهم عدول تحققت فيهم صفة العدالة، وما صدر من بعضهم مما هو خلاف ذلك كالوقوع في معصية فلا تراه مصراً عليها، بل تراه منيباً إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، وذلك لا يقدر في عدالتهم، لأننا لا ندعي لهم العصمة من الزلل.

عقيدة المسلم في الصحابة عليهم السلام:

تعديل الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم للصحابة عليهم السلام.

لقد تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تعديل الصحابة الكرام، مما لا يبقى معها لمرتاب شك في تحقق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل إلى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون حجة إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله، وذلك عن طريق النظر في تراجمهم وأحوالهم إلا الصحابي، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولبيان هذه المسألة نقول أولاً وقبل كل شيء: لا بد لنا من بيان أن الأصل عندنا هو ثناء الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على الصحابة عليهم السلام.

فالقرآن الكريم مليء بعشرات النصوص الدالة على إيمان وفضل هؤلاء الصحابة

رضوان الله عليهم، كقوله تعالى: وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ تَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٤].

وقوله تعالى نوكدلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً.. البقرة (١٤٣). ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن معنى كلمة (وسطاً) عدولاً خياراً، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة. وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عاماً إلا أن المراد به الخصوص، وقيل: إنه وارد في الصحابة دون غيرهم. فالآية ناطقة بعدالة الصحابة ي قبل غيرهم ممن جاء بعدهم من هذه الأمة.

وقوله تعالى كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.. (١١٠). ووجه الاستدلال: أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول هم الصحابة الكرام ي، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخاطبة، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك، كما أنه يجوز أن يخبر الله تعالى بأنه جعلهم أمة وسطاً أي عدولاً وهم غير ذلك^(١).

وقوله: * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا
 الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾
 [الأنفال: ٧٤ - ٧٥].

ففي هذه الآية وصف الله تعالى عموم المهاجرين والأنصار بالإيمان، وأكدته بقوله: (حقاً). ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مراتب العدالة.

وقوله تعالى وقوله تعالى: * وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
 وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
 لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾
 [التوبة: ١٠٠].

. ووجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم، ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه، بل إن الله تعالى لا يرضى إلا عن رضى؛ لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

يقول الطبرسي وهو من كبار علماء الإمامية في تفسيره لهذه الآيات: (وفي هذه الآية دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من أنواع المشقة في نصرة الدين، فمنها: مفارقة العشائر والأقربين، ومنها: مباينة المألوف من الدين، ومنها: نصرة الإسلام

وقلة العدد وكثرة العدو، ومنها: السبق إلى الإيمان والدعاء إليه^(١).

ويقول الطباطبائي صاحب تفسير الميزان: (المراد بالسابقين هم الذين أسسوا أساس الدين ورفعوا قواعده قبل أن يشيد بنيانه ويهتز راياته، صنف منهم بالإيمان والالحوق بالنبي ﷺ والصبر على الفتنة والتعذيب، والخروج من ديارهم وأموالهم بالهجرة إلى الحبشة والمدينة، وصنف بالإيمان ونصرة الرسول وإيوائه وإيواء من هاجر إليهم من المؤمنين والدفاع عن الدين قبل وقوع الوقائع)^(٢).

ولا شك أن الله عز وجل لا يرضى لعباده اتباع من خالف نهجه ثم يعدهم الجنات والفوز العظيم لولا أنهم تمسكوا بهدية ونالوا رضاه. فبمجموعهم ارتفع عنهم الخطأ والضلالة فكانوا القدوة وأصبحوا بذلك أولى، وأول من شملهم قول النبي ﷺ: (لا تجتمع أمتي على ضلالة أو خطأ).

وفي رواية: (إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم).

وفي رواية: (إن الله لا يجمع أمتي - أو قال: أمة محمد - على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار).

وقال: (عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة، ولم يجمع الله عز وجل أمتي إلا على هدى).

وقال: (لا يجمع الله عز وجل أمر أمتي على ضلالة أبداً).

وقال: (لن تجتمع أمتي على ضلالة أبداً).

(١) مجمع البيان للطبرسي ٩٨/٥.

(٢) تفسير الميزان ٣٧٣/٩.

وقال: (إن الله تعالى قد أجاز أمتي أن تجتمع على الضلالة وغيرها)^(١).

وفي هذا قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وما كان الله ليجمعهم أي المهاجرين والأنصار

- وفي لفظ: ليجمعهم - على ضلالة ولا يضر بهم بالعمى»^(٢).

ويقول عليه السلام للخوارج وقد خطئوه وضللوه: «فإن أبيتم إلا أن تزعموا أنني أخطأت

وضللت فلم تضللون عامة أمة محمد ﷺ بضلالي»^(٣).

وعن الصادق عليه السلام وقد سأله سائل: «إن للإيمان درجات ومنازل، يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: نعم، قلت: صفه لي رحمك الله حتى أفهمه، قال: إن الله سبق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرهان، ثم فضلهم على درجاتهم في السبق إليه، فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه، لا ينقصه فيها من حقه ولا يتقدم مسبوق سابقاً ولا مفضول فاضلاً، يتفاضل لذلك أوائل هذه الأمة وأواخرها، ولو لم يكن للسابق إلى الإيمان فضل على المسبوق إذا للحق آخر هذه الأمة أولها، نعم ولتقدموهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الإيمان الفضل على من أبطأ عنه ولكن بدرجات الإيمان قدم الله السابقين وبالإبطاء عن الإيمان أخر الله المقصرين؛ لأننا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأولين وأكثرهم صلاة وصوماً وحجاً وزكاة وجهاداً وإنفاقاً، ولو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم بعضاً عند الله لكان الآخرون بكثرة العمل مقدمين على الأولين، ولكن أبى الله عز وجل أن يدرك آخر درجات الإيمان أولها، ويقدم فيها من أخر الله أو

(١) انظر هذه الروايات في دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية للمتظري ٦٦/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٩/٣، ٢٨٥/١٠، أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٤٧١/١، بحار الأنوار للمجلسي ٣٢/٣٨٠، ٣٣/٧٨، مصباح البلاغة مستدرک نهج البلاغة للميرجهاني ٢٧/٤، كتاب الأربعين للقمي ١٦٤، الغدير للأميني ١٥٧/٩، ٢٩٨/١٠، نهج السعادة للمحمودي ٩٣/٤.

(٣) نهج البلاغة ٧/٢، بحار الأنوار للمجلسي ٣٣/٣٧٣، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة لأويس كرم محمد ٣٠، ٤٢٧، ٤٣٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٢/٨، جواهر التاريخ لعلی الكوراني ٣٦١/١، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ٣٦٤/٦.

يؤخر فيها من قدم الله.

قلت (أي الراوي): أخبرني عما ندب الله عز وجل المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان.

فقال: قول الله عز وجل: سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ [الحديد: ٢١]، وقال: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ [الواقعة: ١٠-١١]، وقال: أَلَّاوُلُونَ مِّنَ الْمُهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ [التوبة: ١٠٠] فبدأ بالمهاجرين الأولين على درجة سبقهم، ثم ثنى بالأنصار ثم ثلث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كل قوم على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده، ثم ذكر ما فضل الله عز وجل به أوليائه بعضهم على بعض، فقال عز وجل: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ [البقرة: ٢٥٣] - إلى آخر الآية - وقال: وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ [الإسراء: ٥٥] وقال: أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٦٦﴾ [الإسراء: ٢١] وقال: هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ [آل عمران: ١٦٣] وقال: وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ [هود: ٣] وقال: الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ

دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ [التوبة: ٢٠] وقال: وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ
 أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٥﴾ دَرَجَتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً [النساء: ٩٥-٩٦] وقال: لَا
 يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ
 الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا [الحديد: ١٠] وقال: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [المجادلة: ١١] وقال: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا
 يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا
 يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ
 صَالِحٌ [التوبة: ١٢٠] وقال: وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ
 [البقرة: ١١٠] وقال: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
 مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨] فهذا ذكر درجات الإيمان ومنازله عند الله
 عز وجل^(١).

وهكذا.. لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم المدنية إلا وتحدث عن
 جهادهم في سبيل الله عز وجل، فاقراً - مثلاً - قوله تعالى: * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا

(١) الكافي للكليني ٤١/٢، ٤٢، شرح أصول الكافي للمازندراني ١٢١، ١٢٢، بحار الأنوار للمجلسي ٣٠٨/٢٢،
 ٣٠٩، ٨/٦٦، ٩، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين للشيرازي ٨٨/٢ في الهامش، موسوعة
 أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي ٥٠٣/١، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي ٢٥٥/٢،
 ٢٤٦، ٢٠٥/٥.

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

[التوبة: ٢٠ - ٢٢].

وقوله تعالى: *الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ.. [الحج: ٤٠]. قال أبو جعفر (عليه السلام): نزلت في المهاجرين.^(١)

وقوله تعالى: *لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

[التوبة: ٨٨ - ٨٩].

وقوله تعالى: *وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ أَكْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ [الحديد: ١٠].

^(١) تفسير مجمع البيان، للطبرسي، ١٥٦/٧، التفسير الصافي، للفيض الكاشاني، ٣٨١/٣، تفسير نور الثقلين، للحويزي، ٥٠١/٣، تفسير الميزان للطباطبائي، ٣٩٥/١٤، تفسير شير، لعبد الله شير ٣٢٦ش، تأويل الآيات، لشرف الدين الحسيني، ٣٣٨/١

وقوله جل ثناؤه: * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
الْفَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ
إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءُ
وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤].

وقوله تعالى: * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ [الأنفال: ١١].

وهذه الآية نزلت في غزوة بدر، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لما سأله أن يدعه يضرب عنقه، قال: (وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فغفر لهم، فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) (١).

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢٧٠/٩، الإرشاد ٣٤، إعلام الوري ٦٦، بحار الأنوار للمجلسي ٩٤/٢١، ١٢١، ١٢٥، ٢٥٣/٣١، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي ٣٠١/٥، تفسير فرات ٤٢١/٢، منتهى المطلب للحلي ٩٣٩/٢، دراسات في ولاية الفقيه لمنتظري ٧٤١/٢، نظام الحكم في الإسلام لمنتظري ٤٣٨، كتاب سليم بن قيس بتحقيق الأنصاري ٢٤٦، الحاشية، الإيضاح للفضل بن شاذان ٥٠٧، شرح الأخبار للمغربي ٣٠١/٢، الإفصاح للمفيد ٤٩، الأربعين للشيرازي ٣١٤، مواقف الشيعة للميانجي ٢٥٥/٢، نهج السعادة للمحمودي ٢٢٠/٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٠/٤، ٢٨٥/١٣، ٢٦٧/١٧، ١١/٢٠، تفسير الميزان ٢٣٦/١٩، الأمثل لمكارم الشيرازي ٢٣٦/١٨، أعيان الشيعة ١١٣/١، ١١٦، الإستغاثة للكوفي ١٠/٢، شرح إحقاق الحق للمرعشي ٥٧/١٨، العقائد الإسلامية، مركز المصطفى ٢٤٩/٣، ٢٥١.

وقيل: (الأمر في قوله: «اعملوا» للتكريم. وأن المراد أن كل عمل البدرى لا يؤخذ به لهذا الوعد الصادق). وقيل: (المعنى إن أعمالهم السيئة تقع مغفورة، فكأنها لم تقع)^(١).

وقال النووي: (قال العلماء: معناه الغفران لهم في الآخرة، وإلا فإن توجب على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا. ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد. وأقامه عمر على قدامة بن مظعون، وضرب النبي ﷺ مسطحاً الحد، وكان بدرياً)^(٢).

وقال ابن القيم: (والله أعلم، إن هذا الخطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها، بل يوفقهم لتوبة نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك، ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم؛ لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم. ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطوا الفرائض وثوقاً بالمغفرة. فلو كانت حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد وهذا محال)^(٣).

وقال تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال الطبرسي: (قيل: نزلت في المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ إلى المدينة إذ تركوا

(١) معرفة الخصال المكفرة لابن حجر العسقلاني، ٣١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ٥٦/١٦، ٥٧.

(٣) الفوائد لابن القيم، ١٩.

ديارهم وأموالهم ومسهم الضر^(١).

وفيهم يقول علي بن أبي طالب عليه السلام:

فجاء بفرقان من الله منزل	مبينة آياته لذوي العقل
فأمن أقوام كرام وأيقنوا	وأمسوا بحمد الله مجتمعى الشمل
وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم	فزادهم الرحمن خيلاً على خيل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله	وقوماً غضاباً فعلهم أحسن الفعل
بأيديهم بيض خفاف قواطع	وقد حادثوها بالجلاء وبالصلقل ^(٢)

وقال تعالى: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ... [الحديد: ١٠]. والحسنى: الجنة. قال ذلك مجاهد وقتادة^(٣). واستدل ابن حزم من هذه الآية بالقطع بأن الصحابة جميعاً من أهل الجنة لقوله عز وجل: وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى^(٤).

وقد وصف الله تعالى أصحاب نبيه عليه السلام بالصدق والتقوى، ووعدهم بالفلاح في مواطن كثيرة، منها: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: ١١٩].

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي ٦٨/٢.

(٢) ديوان أمير المؤمنين ١٠٧، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٧٥/١، ٣٣١/٢، بحار الأنوار للمجلسي ٩٤/٤١، ٣٢١/١٩.

(٣) تفسير ابن جرير ١٢٨/٢٧.

(٤) الفصل ٤/١٤٨، ١٤٩.

ذكر بعض المفسرين أنها نزلت في محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم^(١). ولا تخفى منزلة من أمرنا بالاقتداء بهم، وهذا الأمر باقٍ إلى يوم القيامة، ولا يحتج هنا بأن هذا إنما كان في حال الصلاح قبل الردة كما يدعي من في قلبه مرض، فإن ذلك مقياس البشر، لا مقياس علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية في السماء والأرض وما أخفت النفوس.

وقال آخر: (وهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عز وجل عليه من جهاد عدوه، وبذل أنفسهم في سبيله، ونصرة رسوله، وإعزاز دينه حيث يقول: رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا [الأحزاب: ٢٣])^(٢). ويقول المفيد وهو من كبار علماء الإمامية: (قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: ١١٩])، وقد ثبت أن المنادى به غير المنادى إليه، وأن المأمور بالاتباع غير المدعو إلى اتباعه. فدل ذلك على أن المأمورين باتباع الصادقين ليسوا هم الأمة بأجمعها، وإنما هم طوائف منها، وأن المأمور باتباعه غير المأمور بالاتباع، ولا بد من تمييز الفريقين بالنص، وإلا وقع الالتباس وكان فيه تكليف ما لا يطاق^(٣).

ويقول عبد الله الشبر: (ليس المراد بالصادقين في الجملة، إذ ما من أحد إلا هو صادق في الجملة حتى الكافر والله سبحانه لا يأمر بالكون معه بل المراد بهم الصادقون في أيمانهم وعهودهم وقصودهم وأقوالهم وأخبارهم وأعمالهم وشرائعهم في جميع أحوالهم وأزمانهم)^(٤).

(١) انظر مثلاً مجمع البيان للطبرسي ١٢٢/٣.

(٢) انظر: كتاب الغيبة للنعماني ٦٤.

(٣) المسائل العكبرية للشيخ المفيد ٤٧.

(٤) الأنوار الالامعة في شرح الزيارة الجامعة لعبد الله شبر، ١١٤.

وإذا تركنا كل التأويلات في تفسير الآية، وكذلك الروايات، وفسرنا القرآن بالقرآن، نجد أن الآية تنطبق بوضوح على قوله عز وجل: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضواناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [الحشر: ٨]. إذن فهو لاء هم المعنيون بالآية.

ولعل ما يدل على ذلك، الأدعية التي وردت على لسان أئمة أهل البيت، كقول الصادق رحمه الله: (ربنا إنك أمرتنا بطاعة ولاة أمرك، وأمرتنا أن نكون مع الصادقين، فقلت: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: ٥٩]، وقلت: آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: ١١٩]، فسمعنا وأطعنا ربنا فثبت أقدامنا وتوفنا مسلمين مصدقين لأوليائكم، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) (١).

وكذلك ما يذكر عن الإمام زين العابدين رحمه الله أنه كان إذا تلا قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: ١١٩].

يقول دعاء طويلاً يشتمل على طلب الحقوق بدرجة الصادقين والدرجات العلية (٢). وفيهم يقول عز وجل: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ

(١) تهذيب الأحكام للطوسي ١٤٧/٣، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٤٠٢/٧، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي ٣٠/٨، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي ٣١٩/١، ٢٨١/٢، تفسير كثر الدقائق للمشهدي ٢٩/٢، غاية المرام لهاشم البحراني ٣٤٣/١، كشف المهمل في طريق خير غدير خم لهاشم البحراني ٢١٥.

(٢) انظر: المراجعات لشرف الدين ٦٩، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٤٠/١، أمان الأمة من الاختلاف لطف الله الصافي ١٨٦، مكاتيب الرسول للأحمدي الميانجي ٥٧٣/١، مجموعة الرسائل للطف الله الصافي ٧٤/٢، فتح الحق وكشف الصدق للحلي ٢٢٧هـ، نفحات الأزهار لعلي الميلاني ٦٠/٢.

ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً [الفتح : ٢٩].

ففي هذه الآية مع غيرها من الدلائل دليل على أن الله يغيظ بالصحابة رضوان الله عليهم من ينتقص من حقهم ومنزلتهم التي أنزلهم الله.

قال الإمام مالك رحمه الله: «بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة عليهم السلام الذين فتحوا الشام، يقولون: والله هؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى هنا: ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ [الفتح : ٢٩]. ثم قال: وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ [الفتح : ٢٩] أي فراخه، فَآزَرَهُ أي: شب وطل، فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ [الفتح : ٢٩] أي: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزره وأيدوه ونصروه، فهو معهم كالشطء مع الزراع ليغيظ بهم الكفار»^(١).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: (وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور)^(٢). وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. قال: ثم قرأ: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ [الحشر : ٨] إلى قوله: وَرِضْوَانًا [الحشر : ٨] فهؤلاء المهاجرون. وهذه منزلة قد مضت وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ [الحشر : ٩] إلى قوله: وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [الحشر : ٩]. قال: هؤلاء الأنصار. وهذه منزلة قد مضت. ثم قرأ: وَالَّذِينَ

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٦/١، تفسير ابن كثير ٢٠٤/٤.

(٢) زاد المسير ٢٠٤/٤.

جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ [الحشر : ١٠] إلى قوله: رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ [الحشر : ١٠] قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. يقول: أن تستغفروا لهم^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قال: «أمرنا أن نستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله فسبواهم»^(٢). وقال أبو نعيم رحمه الله: (فمن أسوأ حالاً ممن خالف الله ورسوله وآب بالعصيان لها والمخالفة عليها. ألا ترى أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله بأن يعفو عن أصحابه ويستغفر لهم ويخفض لهم الجناح، قال تعالى: وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ... [آل عمران : ١٥٩]. وقال: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الشعراء : ٢١٥].

فمن سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحرورهم على غير الجميل الحسن، فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم. لا ييسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي صلى الله عليه وآله وصحابته والإسلام والمسلمين^(٣).

وعن مجاهد عن ابن عباس قال: «لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيققتلون»^(٤).

وعلى صلة بالآية السابقة، روى الإمامية عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ... [البقرة : ١٤٦] الآية، قال: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى، يعني يعرفون رسول الله لأن الله عز وجل قد أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور

(١) الصارم المسلول ٥٧٤، والأثر رواه الحاكم ٣٤٨٤/٢ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في كتاب التفسير، حديث [٣٠٢٢] صحيح مسلم ٢٣١٧/٤.

(٣) الإمامة: ٣٧٥، ٣٧٦ لأبي نعيم

(٤) الصارم المسلول ٥٧٤ وانظر: منهاج السنة ١٤/٢ والأثر رواه أحمد في الفضائل رقم ١٨٧، ١٧٤١ وصحح

إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية، ونسب الحديث لابن بطة منهاج السنة ٢٢/٢.

صفة محمد وصفة أصحابه ومهاجرته، وهو قوله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ... [الفتح : ٢٩]، وهذه صفة رسول الله في التوراة وصفة أصحابه، فلما بعثه الله عز وجل عرفه أهل الكتاب كما قال جل جلاله: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ... [البقرة : ٨٩] ^(١).

نعود إلى ما كنا فيه من ذكر فضائل الصحابة من القرآن، يقول الله عز وجل: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا [الفتح : ١٨-٢٠]

وهذه الآية فيها دلالة واضحة على تعديل الصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية، ووجه دلالة الآية على تعديلهم أن الله تعالى أخبر برضاه عنهم وشهد لهم بالإيمان وزكاهم بما استقر في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة، ولا تصدر تلك التزكية العظيمة من علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية إلا لمن بلغ الذروة في تحقيق الاستقامة على طاعة الله.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٩٢/٦٩، التفسير الصافي للفيض الكاشاني ٤٥/٥، ٥٠٩/٦، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي ٩٩/١، ١٣٨، ٧٠٨، ٨٤/٢، ٧٧/٥، تفسير كثر الدقائق للميرزا محمد المشهدي ٣٦٩/١، تفسير الميزان للطباطبائي ٣٣٤/١.

يقول الطبرسي: (يعني بيعة الحديبية، وتسمى بيعة الرضوان لهذه الآية ورضا الله سبحانه عنهم، وإرادته تعظيمهم وإثابتهم، وهذا إخبار منه سبحانه أنه رضي عن المؤمنين إذ بايعوا النبي ﷺ في الحديبية تحت الشجرة المعروفة وهي شجرة السمرة)^(١). وكان عدد الصحابة رضوان الله عليهم يوم بيعة الرضوان ألفاً ومائتين، وقيل: وأربعمائة، وقيل: وخمسة، وقيل: وثمانمائة^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أخبرنا الله عز وجل أنه رضي عنهم -عن أصحاب الشجرة- فعلم ما في قلوبهم، هل حدثنا أحد أنه سخط عليهم بعد؟»^(٣). فالآية ظاهرة الدلالة على تزكية الله لهم، تزكية لا يخبر بها، ولا يقدر عليها إلا الله. وهي تزكية بواطنهم وما في قلوبهم، ومن هنا رضي عنهم. (ومن رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر؛ لأن العبرة بالوفاة على الإسلام. فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام)^(٤).

ومما يؤكد هذا ما ثبت في صحيح مسلم من قول رسول الله ﷺ: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد؛ الذين بايعوا تحتها)^(٥).

(١) مجمع البيان للطبرسي ١٧٦/٥.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ١٦٧/٥، بحار الأنوار للمجلسي ٣٤٦/٢٠، ٣٦٥، ٩٣/٢٤، ٥٥/٣٦، ١٢١، روضة الكافي للكليني ٣٢٢، تأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ٥٩٥/٢، البرهان ١٩٦/٤، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢٢/٢، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ١٦٠، صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث [٤١٥٤].

(٣) الإرشاد ١٣، روضة الواعظين للنيسابوري ٧٥، بحار الأنوار للمجلسي ٢٤٣/٣٨، ٥١/٤٠، تفسير فرات ٤٢١/٢، كشف الغمة للإربلي ٨١/١، كشف اليقين للحلي ٣٣.

(٤) الصواعق المحرقة: ٣١٦.

(٥) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة.. حديث [٢٤٩٦]. صحيح مسلم ١٩٤٣/٤.

قال ابن تيمية رحمه الله : (والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أن يوافيه على موجبات الرضا -ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً- فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح؛ فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له. فلو علم أنه يتعقب ذلك بما سخط الرب لم يكن من أهل ذلك) (١).

وقال ابن حزم رحمه الله : (فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم أو الشك فيهم البتة) (٢).
وقال فيهم هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ [الحج : ٧٨].

قالوا فيه أقوالاً: أحدها أن المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ [الزمر : ٦٩] وقال: وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ [غافر : ٥١] وقيل: الأشهاد أربعة: الملائكة والأنبياء وأمة محمد ﷺ والجوارح، والثاني أن المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق والدين، ويكون الرسول شهيداً مؤدياً إليكم. والثالث: إنهم يشهدون للأنبياء على أمهم الكاذبين لهم بأن قد بلغوا، وجاز ذلك لإعلام النبي ﷺ بإيائهم بذلك ويكون الرسول ﷺ عليكم شهيداً [البقرة : ١٤٣]، أي: شاهداً عليكم بما يكون من أفعالكم، وقيل: حجة عليكم، وقيل: شهيداً لكم بأنكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به.

(١) الصارم المسلول: ٥٧٢، ٥٧٣. طبعة دار الكتب العلمية. تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٢) الفصل في الملل والنحل ٤/١٤٨.

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ... [آل عمران : ١١٠] قيل: هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة، وقيل: هو خطاب للصّحابة، ولكنه يعم سائر الأمة^(١).

وعلى أي حال، لا يسعنا هنا حصر جميع الآيات الدالة على فضائل الصّحابة خشية خروجنا عما التزمنا به من الإيجاز، لذا فإننا نختم هذا بإيراد التالي، ففيما أوردناه آنفاً غنى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

يقول الله عزوجل: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ بَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ [الحشر: ٨-١٠].

وآيات الثناء في الصّحابة ي الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي)^(٢).

وقال فيهم كما يروي الإمام الكاظم عن آبائه ي: «أنا أمانة لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا قبض أصحابي دنا من أمتي ما يوعدون، ولا يزال هذا الدين ظاهراً على الأديان كلها ما دام فيكم من قد رأي». وهذه الآيات كثيرة لا يمكن حصرها.

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي ٤١٨/١، بحار الأنوار للمجلسي ٤٤٢/٢٢، ٣٣٤/٢٣، التبيان للطوسي ٧/٢،

مجلة تراثنا لمؤسسة آل البيت ٢٨/١١.

(٢) الغدير للأميني ٢٧٠/١٠، العقائد الإسلامية مركز المصطفى ٢٥٥/٣.

ولا بأس أن ننقل بعض الروايات من طرق الإمامية عن أئمة أهل البيت رحمهم الله في فضائل الصحابة عليهم السلام.

روى الإمامية أن نفراً من أهل العراق وفدوا على الإمام زين العابدين / ، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان ي، فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم: «ألا تخبروني: أنتم المهاجرون الأولون الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [الحشر: ٨]؟ قالوا: لا. قال: فأنتم وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُودْرِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر: ٩] قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ [الحشر: ١٠] اخرجوا عني فعل الله بكم»^(١).

ولم يزل وهو يرى نفسه من الفريق الثالث يدعو الله لهم بالمغفرة، يقول في أحد أدعيته: «اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له، حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القربات إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق

(١) كشف الغمة للإربلي ٢/٢٩١، الفصول المهمة لابن الصباغ ٢/٨٦٤، الصوارم المهرقة لنور الله التستري ٢٤٩، الشيعة في الميزان ل محمد جواد مغنية ٢٩٣، الإمامة وأهل البيت لمحمد بيومي مهران ٣/٣٩.

عليك، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك، واشكروهم على هجرهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ومن كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ... [الحشر: ١٠] خير جزائك الذين قصدوا سمتهم، وتحروا وجهتهم في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والالتئام لهم يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم»^(١).

ولا عجب في أن ينتهج الإمام السجاد رحمه الله نهج جده أمير المؤمنين عليه السلام في بيان فضائلهم لأهل العراق.

فعن الباقر رحمه الله قال: «صلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالناس الصبح بالعراق، فلما انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله تعالى. ثم قال: أما والله لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله ﷺ، وإنهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبراً خصماً بين أعينهم كركب المعزى، يبيتون لرهم سجداً وقياماً، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربهم، ويسألونه فكأك رقابهم من النار، والله لقد رأيتهم مع ذلك وهم جميع مشفقون منه خائفون»^(٢).

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، الإمام زين العابدين (ع) ٣٩، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (ع) للسدي علي خان المدني الشيرازي ٨١/٢، الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ٢٩٣، رسائل ومقالات لجعفر السبحاني ٤٧، ٤٢٧، مجلة تراثنا لمؤسسة آل البيت ٤٨/٤٧.

(٢) الكافي للكليني ٢٣٦/٢، شرح أصول الكافي للمازندراني ١٦٦/٩، وسائل الشيعة للحر العاملي ٦٥/١، الإرشاد للمفيد ٢٣٧/١، الأمالي للطوسي ١٠٢، حلية الأبرار لهاشم البحراني ١٨٢/٢، بحار الأنوار للمجلسي ٣٠٦/٢٢، ٣٠٢/٦٤، ٣٠٣/٦٦، وقال في بيانه: جميع، أي، مجتمعون على الحق لم يفرقوا كتفرقكم. جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٤٠٨/١، مستدرک سفينة البحار للنمازي ١٧٤/٦، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهاادي النجفي ٥/٦، ٨٥، تفسير نور الثقلين للحويزي ١٤١/٥، منتقى الجمان لحسن صاحب المعالم ٣٤٤/٢، أعلام الدين في صفات المؤمنين للدليمي ١١١، جامع السعادات لمحمد مهدي التراقي ٢٠٩/١.

وعن زين العابدين رحمه الله قال: «صلى أمير المؤمنين الفجر ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قيد رمح، وأقبل على الناس بوجهه، فقال: والله لقد أدركت أقواماً يبيتون لرهبهم سجداً وقياماً، يخالفون بين جباههم وركبهم كأن زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يמיד الشجر»^(١).

وكان عليه السلام يقول لمعاوية: «أما بعد: فإن الله عبادة آمنوا بالتنزيل، وعرفوا التأويل، وفقهوا في الدين، وبيّن الله فضلهم في القرآن الكريم، وأنتم في ذلك الزمان أعداء للرسول ص، فكنتم فيمن دخل هذا الدين إما رغبة وإما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وفاز المهاجرون والأنصار بفضلهم، ولا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم في الدين ولا فضائلهم في الإسلام أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله وأولى به فيجور ويظلم»^(٢).

وقال عليه السلام مادحاً لهم ومعاتباً أصحابه بعد أن تخاذلوا عنه: «أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه. وهيجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها. وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً ووصفاً صفافاً. بعض هلك وبعض نجا. لا يبشرون بالأحياء، ولا يعززون عن الموتى. مره العيون من البكاء. خص البطون من الصيام. ذبل الشفاه من الدعاء. صفر الألوان من السهر. على

(١) الكافي للكليني ٢/ ٢٣٦، شرح أصول الكافي للمازندراني ١٦٦/٩، ١٦٦، وسائل الشيعة للحر العاملي ١/ ٦٥، ٨٧، الإرشاد للمفيد ١/ ٢٣٧، الأمالي للطوسي ١٠٢، حلية الأبرار للبحراني ٢/ ١٨٢، بحار الأنوار للمجلسي ٢٢/ ٣٠٦، ٦٤/ ٣٠٢، ٦٦/ ٣٠٣، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ١/ ٤٠٨، مستدرک سفينة البحار للشاهرودي ٦/ ١٧٤، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي ٥، ٨٥، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي ٥/ ١٤١، منتقى الجمان للشيخ حسن صاحب المعالم ٢/ ٣٤٤، أعلام الدين في صفات المؤمنين للدليمي ١١١، جامع السعادات للترقي ١/ ٢٠٩، النظرات حول الإعداد الروحي لحسن معن ٨٧.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٣٢/ ٤٢٩، ٣٣/ ٧٤، الحاشية، مصباح البلاغة للميرجهاني ٤/ ٢٥، فحج السعادة للمحمودي ٤/ ٢١٨، الحاشية.

وجوههم غيرة الخاشعين. أولئك إخواني الذاهبون. فحق لنا أن نظماً إليهم ونعض الأيدي على فراقهم»^(١).

وقال أ: «لقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آبائنا وأبنائنا وإخواننا وأعمامنا. ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم وجرأاً في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين. يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون. فمرة لنا من عدونا. ومرة لعدونا منا. فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه. ومتبوءاً أوطانه. ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود. ولا أخضر للإيمان عود. وأيم الله لتحتلبنها دماً ولتتبعنها ندماً»^(٢).

وقال ب: «فما سمعت بأحد ولا رأيته هو أنصح لله في طاعة رسوله ولا أطوع لنبهه في طاعة ربه ولا أصبر على اللاواء والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبي ﷺ من هؤلاء نفر الذين سميت لك، وفي المهاجرين خير كثير تعرفه جزاهم الله خيراً بأحسن أعمالهم»^(٣).

(١) نهج البلاغة ٢٣٤/١، الاختصاص للمفيد ١٥٦، بحار الأنوار للمجلسي ٣٣/٣٦٢، ٤٠/١١٢، ٦٦/٣٠٨، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (ع) للشيرازي ١٠٨/٢، فهارس رياض السالكين للمظفر، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة لأويس كريم محمد ٤١٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/٢١٠، ٢٩١، جواهر التاريخ لعلي الكوراني ١/٣٤١، سنن الإمام علي (ع) لجنة الحديث معهد باقر العلوم (ع)، ١٨٦، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ لحمد الريشهري ٦/٢٢٩، ٧/١٨٨، نفس الرحمن في فضائل سلمان للنوري الطبرسي ١٦٩.

(٢) نهج البلاغة ١٠٤/١، مصباح البلاغة مستدرک نهج البلاغة للميرجهاني ٢/٢٦٧، الغارات لإبراهيم النجفي ٢/٣٧٣ الحاشية، بحار الأنوار للمجلسي ٣٢/٥٤٩، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي ٢/١٦٢.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٣٣/١١٢، مصباح البلاغة مستدرک نهج البلاغة للميرجهاني ٤/٣٢، نهج السعادة للمحمودي ٤/١٨٠، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ٦/٢٥.

ولم يكن عليه السلام يفرق بين أصحاب محمد عليه السلام، كما يفعل من يدعي موالاته والسير على نهجه. فعن أبي عمرو الكندي قال: «كنا ذات يوم عند علي عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين حدثنا عن أصحابك، قال: عن أي أصحابي؟ قالوا: عن أصحاب محمد عليه السلام. قال: كل أصحاب محمد أصحابي»^(١).

وقال فيهم الإمام الصادق رحمه الله: «كان أصحاب رسول الله عليه السلام اثني عشر ألفاً.. ثمانية آلاف من المدينة، وألفان من مكة، وألفان من الطلقاء، ولم ير فيهم قدر ي ولا مرجيء ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب رأي، كانوا يبيكون الليل والنهار، ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير»^(٢).

ومن وصايا الإمام الصادق رحمه الله قال: «لا تدع اليقين بالشك والمكشوف بالخفي، ولا تحكم ما لم تره بما تروى، قد عظم الله أمر الغيبة وسوء الظن بإخوانك المؤمنين فكيف بالجرأة على إطلاق قول واعتقاد زور وبهتان في أصحاب رسول الله عليه السلام. قال الله عز وجل: إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ [النور: ١٥] وما دمت تجد إلى تحسين القول والفعل غيبتك وحضرتك سبيلاً فلا تتخذ غيره. قال الله: وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا... [البقرة: ٨٣]، واعلم أن الله تعالى اختار لنبيه أصحابه طائفة أكرمهم بأجل الكرامة وحلاهم بحلية التأيد والنصر والاستقامة لصحبته على المحبوب والمكروه، وأنطق لسان نبيه محمد عليه السلام بفضائلهم ومناقبهم وكراماتهم واعتقد محبتهم واذكر فضلهم، واحذر مجالسة أهل البدع فإنها تنبت

(١) الغارات للثقفى ١٧٧/١، نفس الرحمن في فضائل سلمان للنوري الطبرسي ٢١٠.

(٢) الخصال للصدوق ٦٤٠، بحار الأنوار للمجلسي ٣٠٥/٢٢، حقائق الأنس ٢٠٠ مستدرك سفينة البحار للشاهرودي ١٧٣/٦، خاتمة المستدرك للنوري الطبرسي ٢١٢/٢.

في القلب كفراً وضلالاً مبيناً وإن اشتبه عليك فضيلة بعضهم فكلهم إلى عالم الغيب وقل: اللهم إني محب لمن أحببته ورسولك ومبغض لمن أبغضته أنت ورسولك»^(١).

وعن الباقر رحمه الله قال: «أن أصحاب النبي ﷺ سألوه: هل يخاف عليهم النفاق؟ فقال: كلا... ولولا أنكم تذبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتى يذبوا، ثم يستغفروا الله فيغفر الله لهم»^(٢).

وإذا قارنت هذه الروايات بقوله سبحانه عن المهاجرين والأنصار: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: ١٠٠] علمت أن الله عز وجل لما وعدهم بالجنات والخلود فيها دل ذلك على أنهم يموتون على الإيمان والهدى، ولا ينافي هذا وقوع المعاصي منهم فهم غير معصومين، ووعد الله حقاً لا خلف فيه، ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان. ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان)^(٣).

ومن أقوال الإمام الصادق رحمه الله: (كان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يضع حصاة في فمه، فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله ولوجه الله أخرجها، وإن كثيراً من الصحابة كانوا يتنفسون تنفس الغرقى، ويتكلمون شبه المرضى)^(٤).

(١) مصباح الشريعة ٦٧، حاشية المستدرک للنوري الطبرسي ٢٠٩/١ الهامش، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي ٥٨٢/٣، ميزان الحكمة: ٢٣٣٠/٣.

(٢) الكافي للكليني ٤٢٤/٢، تحف العقول لابن شعبة الحراني ٣٨، شرح أصول الكافي للمازندراني ١٤٨/١٠، بحار الأنوار للمجلسي ٤٢/٦، بحار الأنوار للمجلسي ٥٧/٦٧، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي ١٨٢/٩، ميزان الحكمة للريشهري ١١٧٣/٢، تفسير العياشي ١٠٩/١.

(٣) الصارم المسلول: ٥٧٢.

لذا صلح أمرهم، كما قال علي عليه السلام عن الرسول ﷺ: (إن صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، وهلاك آخرها بالشح والأمل).^(١)

وكان من عظمة هذا الجيل المثالي، أن نهى رسول الله ﷺ من يأتي من بعده أن يذكرهم بسوء أو ينتقصهم، وكأن الله عز وجل أطلع على الغيب ليرى ما سيؤول إليه الأمر، فقال: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا).^(٢)

وعن الرضا، عن آبائه رحمهم الله قال: قال رسول الله ﷺ: (من سب نبياً قتل، ومن سب أصحابي جلد). وفي رواية عنه أيضاً عن آبائه رحمهم الله عن رسول الله ﷺ: (من سب نبياً قتل، ومن سب صاحب نبي جلد).^(٣)

وعن الصادق، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «أوصيكم بأصحاب نبيكم، لا تسبوهم وهم الذين لم يحدثوا بعده ولم يؤووا محدثاً، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم». وفي رواية:

(١) مصباح الشريعة ٢٠، بحار الأنوار للمجلسي ٢٨٤/٦٨، ٢٨٤/٧١، مستدرک الوسائل للحر العاملي ٢١/٩، جامع السعادات للترقي ٢٦٧/٢.

(٢) أمالي الصدوق ١٨٩، بحار الأنوار للمجلسي ١٧٣/٦٧، ٣١١، ١٧٣/٧٠، ٣١١، ١٦٤/٧٣، ٣٠٠، الخصال للصدوق ٧٩، روضة الواعظين للنيسابوري ٤٣٣، وسائل الشيعة للحر العاملي ٤٣٨/٢، ١٦/١٦، ٦٥١/٢، ٣١٥/١١، الزهد للكويتي، مقدمة التحقيق ٣، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٤١/١٤، ١٤١، موسوعة أحاديث الشيعة لهادي النجفي ٤٤٣/١، ٢٩٧/٥، ٣٣٢/١٢، تفسير نور الثقلين للحويزي ٣/٣.

(٣) نور الثقلين ٤٠٧/٤، بحار الأنوار للمجلسي ٢٧٦/٥٥، ٢٧٦/٥٨، خلاصة عقبات الأنوار لحامد النقوي ١٨٢/٣، نفحات الأزهار للميلاني ١٧٠/٣.

(٤) صحيفة الرضا (ع)، مؤسسة الإمام المهدي (ع) ٢٩٩، بحار الأنوار للمجلسي ٢٢٢/٧٦، الهامش، قاموس الرجال للتستري ٥١٢/٩، معارج اليقين في أصول الدين للسبزواري ٤٥٦، ٤٥٦، جواهر الكلام للجواهري ٤٣٧/٤١، در المنزود للكبائري ٢٥٧/٢، فقه الصادق (ع) لحمد صادق الروحاني ٤٧٦/٢٥، الهامش، مسند زيد بن علي ٤٦٤، ٤٩٥، وسائل الشيعة للحر العاملي ٢٨/٢١٣، مستدرک الوسائل للنوري الطبرسي ١٧٢/١٨، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٢٥/٤٩٥، ٧٣/٢٦، حياة الإمام الرضا (ع) لباقر شريف القرشي ٢٤٨/١.

«الله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم»^(١).

ولا يسعف من أراد حمل أمثال هذه الأقوال على من لم يحدث بعده، فإن علياً عليه السلام وهو راوي الحديث لم ير ذلك في أهل الشام الذين رأوا الخروج عليه، حيث قال فيهم كما ورد في كتب الإمامية عن جعفر، عن أبيه: أن علياً عليه السلام كان يقول لأهل حربه: «إنا لم نقاتلهم على التكفير لهم، ولم نقاتلهم على التكفير لنا، ولكننا رأينا أننا على حق، ورأوا أنهم على حق»^(٢).

وعن الباقر رحمه الله: «أن علياً عليه السلام لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكنه كان يقول: هم إخواننا بغوا علينا»^(٣).

وعن مروان بن الحكم قال: «لما هزمنا علي بالبصرة، رد على الناس أموالهم، من أقام بينة أعطاه، ومن لم يقيم بينة أحلفه، قال: فقال له قائل: يا أمير المؤمنين، أقسم الفئ بيننا والسبي، قال: فلما أكثروا عليه، قال: أيكم يأخذ أم المؤمنين في سهمه، فكفوا»^(٤).

(١) أمالي الطوسي ٣٣٢، بحار الأنوار للمجلسي ٣٠٦/٢٢، مستدرک سفينة البحار للشاهرودي ١٧٤/٦، من لا يحضره الفقيه للصدوق ١٩١/٤، تهذيب الأحكام للطوسي ١٧٧/٩، مصباح البلاغة مستدرک نهج البلاغة للميرجهاني ٤١/٣، كتاب سليم بن قيس ٤٤٦، مقاتل الطالبين للأصفهاني ٢٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٠/٦، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي ٧٩/٥، أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٥٣٣/١.

(٢) قرب الإسناد للحميري القمي ٩٣، بحار الأنوار للمجلسي ٣٢٤/٣٢، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٩٣/١٣.

(٣) قرب الإسناد للحميري القمي ٩٤، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية للمتظري ٨٠٦/٢، نظام الحكم في الإسلام للمتظري ٤٠٩، وسائل الشيعة للحر العاملي ٨٣/١٥، بحار الأنوار للمجلسي ٣٢٤/٣٢، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٩٣/١٣.

(٤) السرائر لابن إدريس الحلبي ١٨/٢، تذكرة الفقهاء للعلامة الحلبي ٤٢٥/٩، مختلف الشيعة للعلامة الحلبي ٤٥٣/٤، جواهر الكلام للجواهري ٣٣٦/٢١، قرب الإسناد للحميري القمي ١٣٢، علل الشرائع للصدوق ٦٠٣/٢، تهذيب الأحكام للطوسي ١٥٥/٦، وسائل الشيعة للحر العاملي ٧٨/١٥، بحار الأنوار للمجلسي ٤٤١/٣٣، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ١٠٢/١٣.

وقال عليه السلام: «إن ربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق لرسوله ﷺ ولا يستزيدونا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء»^(١).

وكيف لا يكون بريء من دم عثمان وهو كما ذكر المسعودي وهو من مؤرخي الشيعة أنه لما بلغه أنهم يريدون قتله - أي عثمان - بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم أن يمنعوه منهم... فصعدوهم عن الدار، واشتبك القوم، وجرح الحسن، وشُبِّىَ قبره.. ولما بلغه مقتل عثمان دخل عليّ الدار، وهو كالواله الحزين، وقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب. ولطم الحسن وضرب صدر الحسين^(٢). بل وقد حضر هو بنفسه مراراً وطرده الناس عنه^(٣). وانعزل عنه بعد أن دافع عنه طويلاً بيده ولسانه. بعد أن قال عثمان: «أعزم عليكم لما رجعتم فدفعتم أسلحتكم، ولزمتم بيوتكم».

وكان يقول ا: «والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً»^(٤).

(١) نهج البلاغة ١١٤، بحار الأنوار للمجلسي ٣٣/٣٠٧، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة لأويس كريم محمد ٤٠٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/١٤١، الانتصار للعالمي ٩/١٤٢.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ١/٤٤١، الغدير للأميني ٩/٢٣٧، رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ للطيف القزويني ١٠٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠/٢٥٦.

(٤) نهج البلاغة ٢/٢٣٣، بحار الأنوار للمجلسي ٣١/٢٦٨، الهامش، ٤٧٣، الغدير للأميني ٨/٣٨١، ٩/٦٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣/٢٩٦ وقال في شرحه: ويحتمل أنه يريد: لقد دفعت عنه حتى كدت أن ألقى نفسي في الهلكة، وأن يقتلني الناس الذين ثاروا به، فخفت الإثم في تغريبي بنفسي وتوريطها في تلك الورطة العظيمة. ويحتمل أنه يريد: لقد جاهدت الناس دونه ودفعتهم عنه، حتى خشيت أن أكون آثماً بما نلت منهم من الضرب بالسوط، والدفع باليد، والإعانة بالقول. أي فعلت من ذلك أكثر مما يجب. أعيان الشيعة لحسن الأمين ١/٤٤٣، جواهر التاريخ للكواري ١/١٩١، حياة أمير المؤمنين (ع) عن لسانه ل محمد محمدديان ٣/٣٥١، ٣٥٩، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ٣/٢٦١، ٢٦٤، موسوعة شهادة المعصومين (ع) للجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)، ١/٣٢٣.

وكان أثناء الحصار يبعث إليه بالماء مع ابنه الحسن ي أجمعين^(١).

ثم أن هذا المسلك هو قول الخوارج في علي حيث حملوا روايات المدح فيه على حاله قبل كفره بزعمهم. فتدبر.

وكان أهل البيت رحمهم الله يوصون بالتمسك بهدي الصحابة ي اقتداءً بالنبي ﷺ الذي حث من سيأتي بعدهم بالتمسك بكتاب الله عز وجل وسنته ﷺ وهديم ي، ويؤكد أن ظهور هذا الدين إنما بمن بقي منهم ﷺ.

فعن الصادق رحمه الله قال: (قال رسول الله ﷺ: ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل به لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا به، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثال النجوم بأيأ أخذ اهتدى، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة)^(٢).

وعن الكاظم عن آبائه رحمهم الله: قال رسول الله ﷺ: أنا أمانة لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا قبض أصحابي دنا من أمتي ما يوعدون، ولا يزال هذا الدين ظاهراً على الأديان كلها ما دام فيكم من قد رأي^(٣).

وكذلك كان شأن أئمة آل البيت رحمهم الله، فقد كانوا يحثون غيرهم على العمل بسيرتهم. فهذا الحسن ﷺ اشترط في صلحه مع معاوية أن يعمل بسيرة الشيخين حيث

(١) دلائل الإمامة لابن جرير الطبري الشيعي ١٦٨، مدينة المعاجز لهاشم البحراني ٢٣٥/٣، الدر النظيم لابن حاتم العاملي ٥٠٣، موسوعة كلمات الإمام الحسن (ع) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)، ٥١.

(٢) معاني الأخبار للصدوق ٥٠، بحار الأنوار للمجلسي ٢٢٠/٢، ٣٠٧/٢٢، الاحتجاج للطبرسي ٢٥٩/٢.

(٣) نواذر الراوندي ٢٣، بحار الأنوار للمجلسي ٣٠٩/٢٢، خلاصة عقبات الأنوار ٨٠/١، ١٦٨/٣، دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم معروف ٧٨، إحقاق الحق للتستري ٢٦٧، نفحات الأزهار للملياني ٨٠/١، ١٥٧/٣، ٦٨/١٢.

قال: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان: صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين - وفي رواية - الصالحين).

وعن علي بن أبي حمزة قال: (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال له أبو بصير: جعلت فداك أقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال: .. كان أصحاب محمد ﷺ يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقل)^(١).

وروايات حث الأئمة رحمهم الله على اتباع هدي الصحابة ي كثيرة.
وكان ﷺ يقول: (لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر)^(٢).

وعن أنس بن مالك قال: (كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده)^(٣).

وكان يقول ﷺ: (لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة)^(٤).

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ٢١٥/٦، الكافي للكليني ٦١٧/٢، شرح أصول الكافي للمازندراني ٥٣/١١، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٥٢/١٥، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) لهادي النجفي، ٢٧٣/٤، ١١٣/٩، التفسير الصافي ٧٠/١.

(٢) مكارم الأخلاق للطبرسي ٢١، بحار الأنوار للمجلسي ٢٣٦/١٦، سنن النبي للطباطبائي ١٢٨، موسوعة أحاديث أهل البيت ١٣٨/١، الأمثل لمكارم الشيرازي ٥٣٧/١٨.

(٣) مكارم الأخلاق ١٧، بحار الأنوار للمجلسي ٢٣٣/١٦، دراسات في ولاية الفقيه ٧٩٢/٢، منية المريد للشهيد الثاني ١٩٥، الحاشية، سنن النبي للطباطبائي ١٢٢، موسوعة أحاديث أهل البيت ١٣٩/١، ميزان الحكمة للريشهري ٥٠/١، ٣٢٢٤/٤، تفسير الميزان ٣١٤/٦.

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١٨٥/١، بحار الأنوار للمجلسي ١٢٤/١٩، ٢٣٨، ٢١٨/٢٠، ٣٥٤/٢٢، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي ٢٤٤/٤، القمي ١٥٣/٢، الخرائج والجرائح للراوندي ١٠٤٨/٣، خلاصة عقبات الأنوار ٥٢/٣، مستدرك سفينة البحار للشاهرودي ٤٤٧/٥، ١٧٩/٦، تفسير تفسير الصافي للكاظمي ١٧١/٤، ٢١/٦، تفسير الميزان ٦/١٥، الصحيح من سيرة النبي لجعفر مرتضى ٢١٩/٤، ١٠٨/٩، ١١٤، ١١٧.

وكان يقول ﷺ فيهم: (المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة)^(١).

ولم يقتصر بيانه ﷺ لفضائلهم في حياته - كما يزعم البعض - من أن ذلك إنما هو في حال صلاحهم، بل بين فضلهم في حال وفاته، وذلك باستغفاره لما قد يبدر منهم من ذنوب، فعن الباقر رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: (إن مقامي بين أظهركم خير لكم، وإن مفارقتي إياكم خير لكم، أما مقامي فلقول الله عز وجل: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الأنفال: ٣٣]، أما مفارقتي لأن أعمالكم تعرض علي كل اثنين وخميس، فما كان حسناً حمدت الله تعالى عليه، وما كان سيئاً استغفرت لكم)^(٢).

وفي رواية عن الصادق رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: (حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم، فأما حياتي فإن الله هداكم بي من الضلالة، وأنقذكم من شفا حفرة من النار، وأما مماتي فإن أعمالكم تعرض علي، فما كان من حسن استزدت الله لكم، وما كان من قبيح استغفرت الله لكم)^(٣).

(١) الأماشي للطوسي ٢٦٨، بحار الأنوار للمجلسي ٣١١/٢٢، النصائح الكافية لحمد بن عقييل ١٤٠، جواهر التاريخ لعللي الكوراني ١٦/٢، ٩٦.

(٢) البصائر للصفار ٤٦٤، تفسير العياشي ٥٤/٢، بحار الأنوار للمجلسي ٣٣٨/٢٣، أمالي الطوسي ٤٠٨، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي ١٥٣/٢، تفسير البرهان ٧٩/٢، تفسير الصافي ٣٠٠/٢، تفسير القمي ٢٧٦/١، معاني الأخبار للصدوق ١١٣، وسائل الشيعة آل البيت ١١١/١٦، وسائل الشيعة الإسلامية ٣٨٩/١١، ينابيع المعاجز للبحراني ١٠٦، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٣٠٣/١٣.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٥٥٠/٢٢، ٢٩٩/٢٧، ٣٩٨/١٠٨، درر الأخبار لخسروشاهي ١٩٦.

وجعل ثبات المؤمنين على الصراط بسبب شدة حبهم لأصحابه ي، فعن الباقر، عن آبائه رحمهم الله، قال: قال رسول الله ﷺ: (أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي)^(١).

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه أجمع ما كانوا فقال: (يا أصحاب محمد لقد رأيت الليلة منازلكم في الجنة وقرب منازلكم من منزلي)^(٢).

وقد كان الأصحاب من مهاجرين وأنصار وكذا أهل البيت ﷺ أجمعين يختصمون لا في حب رسول الله ﷺ لهم فحسب، فإن ذلك من المسلمات، ولكن في أيهم أولى بذلك الحب، وأيهم أحب إليه، فعن كعب بن عجرة، أن المهاجرين والأنصار وبني هاشم اختصموا في رسول الله ﷺ أينا أولى به وأحب إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: (أما أنتم يا معشر الأنصار فإنما أنا أخوكم، فقالوا: الله أكبر! ذهبنا به ورب الكعبة، وأما أنتم يا معشر المهاجرين فإنما أنا منكم، فقالوا: الله أكبر! ذهبنا به ورب الكعبة، وأما أنتم يا بني هاشم فأنتم مني وإلي، فقمنا وكلنا راضٍ مغتبط برسول الله ﷺ)^(٣).

وعلى ذكر الأنصار، روى الإمامية عن الصادق رحمه الله أنه قال: (ما سلت السيوف ولا أقيمت الصفوف في صلاة ولا زحوف ولا جهر بأذان ولا أنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حتى أسلم أبناء القيلة: الأوس والخزرج)^(٤).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ١٣٣/٢٧، الغدير للأميني ٣١٢/٢، شرح إحقاق الحق للمرعشي ٤٢١٧/٢٤، الحاشية ١١٩/٣٣ ٢٢٣/٢٦.

(٢) شرح إحقاق الحق للتستري ١٨٧/٦، ٢٠٥/٢٢٣، المسترشد للطبري الشيعي ٣٥٣، الحاشية، أهمية الحديث عند الشيعة للعراقي ١٦٨.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٣١٢/٢٢، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١١٢/٣.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٣١٢/٢٢، تفسير نور الثقلين ٨٠/٥، تفسير مجمع البيان للطبرسي ٢١٧/٩، تفسير الميزان ٣١٧/١٨.

وقال رسول الله ﷺ: (اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار. يا معشر الأنصار! أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاء والنعم، وترجعون أنتم وفي سهمكم رسول الله؟ قالوا: بلى رضينا، قال النبي ﷺ حينئذٍ: الأنصار كرشي وعييتي، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم اغفر للأنصار)^(١).
وزاد الطبرسي بعد قوله: (لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار)^(٢).

قال الصادق رحمه الله: «جاءت فخذ من الأنصار إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه فرد ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، لنا إليك حاجة. فقال: هاتوا حاجتكم، قالوا: إنها عظيمة، فقال: هاتوها ما هي؟ قالوا: أن تضمن لنا على ربك الجنة. قال: فنكس رسول الله ﷺ رأسه ثم نكت في الأرض ثم رفع رأسه، فقال: أفعل ذلك بكم على أن لا تسألوا أحداً شيئاً، قال: فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه فيكره أن يقول لإنسان: ناولنيه، فراراً من المسألة، فينزل فيأخذه، ويكون على المائدة فيكون بعض الجلساء أقرب إلى الماء منه، فلا يقول: ناولنيه حتى يقوم فيشرب»^(٣).

(١) الإرشاد ٧٥، إعلام الوری ١٢٦، بحار الأنوار للمجلسي ١٥٩/٢١، ١٧٢، مستدرک سفینه البحار للنمازی ٧٠/١، أعيان الشیعة لحسن الأمين ٢٨١/١، كشف الغمة للإربلي ٢٢٤/١، الاحتجاج للطبرسي ٩٠/١، ٢١١، شجرة طوی للحائري/٣١١/٢، تفسير کثر الدقائق للمشهداني ٢٠٨/٢، الحاشیة
(٢) مجمع البیان للطبرسي ١٩/٥، بحار الأنوار للمجلسي ١٦٢/٢١، ١٣٧/٢٢، التفسیر الکاشف ٢٩٠/٧، تفسیر المیزان للطباطبائي ٢٣٣/٩، الأعلام من الصحابة والتابعین للحاج حسین الشاکري ٢٥/١١.
(٣) الکافي للکليني ٢١/٤، بحار الأنوار للمجلسي ١٢٩/٢٢، أمالي الطوسي ٦٧٥، منتهی المطلب للحلي ٥٤٤/١، من لا یحضره الفقيه للصدوق ٧١/٢، وسائل الشیعة آل البيت ٤٤٠/٩، وسائل الشیعة للإسلامیة ٣٠٧/٦، جامع أحادیث الشیعة للرجودي ٤٥٠/٨، موسوعة أحادیث أهل البيت ٣٤٠/٨.

وقال لامرأة أنصارية وهبت نفسها له عليه السلام: «رحمك الله ورحمكم يا معشر الأنصار، نصرني رجالكم، ورغبت في نساؤكم»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي قبض فيه، فقالوا: يا رسول الله، هذه الأنصار في المسجد تبكي رجالها ونساؤها عليك، فقال: وما يبكيهم؟ قالوا: يخافون أن تموت، فقال: أعطوني أيديكم، فخرج في ملحفة وعصابة حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال فيما قاله: أوصيكم بهذا الحي من الأنصار، فقد عرفتم بلاءهم عند الله عز وجل وعند رسوله وعند المؤمنين، ألم يوسعوا في الديار، ويشاطروا الثمار، ويؤثروا وبهم الخصاصة؟ فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسن الأنصار، وليتجاوز عن مسيئتهم، وكان آخر مجلس جلسه حتى لقي الله عز وجل»^(٢).

وقال عليه السلام: (ألا وإن الأنصار ترسي، فاعفوا عن مسيئتهم وأعينوا محسنهم)^(٣). وعن الكاظم رحمه الله قال: «لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة دعا الأنصار، وقال: يا معشر الأنصار، قد حان الفراق، وقد دعيت وأنا مجيب الداعي، وقد جاورتهم فأحسنتهم

(١) تفسير القمي ١٦٩/٢، بحار الأنوار للمجلسي ١٩٦/٢٢، ٢١١، الكافي للكليني ٧٩/٤، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي ٢٩٢/٤، ٢٩٣، تفسير الصافي ١٩٦/٤، مسالك الأفهام للشهيد الثاني ٧٠/٧، جامع أحاديث الشيعة للبرجودي ١٣٠/٢٠، التفسير الصافي ١٩٦/٤، ٥٦/٦، تفسير الميزان ٣٤٢/١٦.

(٢) أمالي المفيد ٢٨، بحار الأنوار للمجلسي ٤٧٥/٢٢، ١٧٧/٢٨، غاية المرام للبحراني ٣٦٦/٢.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٣١٢/٢٢، ١٤٦/٢٣، مستدرک سفينة البحار للنمازي ٧٠/١٠.

الجوار، ونصرتم فأحستتم النصره، وواسيتم في الأموال، ووسعتم في المسلمين، وبذلتهم لله مهج النفوس، والله يجزيكم بما فعلتم الجزاء الأوفى»^(١).

وقال علي عليه السلام في مدحهم: «هم والله ربوا الإسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بأيديهم السياط وألستهم السلاط»^(٢).

وعنه عليه السلام قال: «أما بعد.. أيها الناس! فوالله لأهل مصركم في الأمصار أكثر من الأنصار في العرب، وما كانوا يوم أعطوا رسول الله ﷺ أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين حتى يبلغ رسالات ربه إلا قبيلتين صغير مولدهما وماهما بأقدم العرب ميلاداً ولا بأكثرهم عدداً، فلما آووا النبي ﷺ وأصحابه ونصروا الله ودينه رمتهم العرب عن قوس واحدة وتحالفت عليهم اليهود وغزتهم اليهود والقبائل قبيلة بعد قبيلة فتجردوا لنصرة دين الله وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكة واليامة وأهل الحزن والسهل وأقاموا قناة الدين، وتصبروا تحت أحلاس الجلاذ حتى دانت لرسول الله ﷺ العرب ورأى فيهم قرة العين قبل أن يقبضه الله إليه»^(٣).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٤٧٦/٢٢، موسوعة شهداء المعصومين ٦٧/١، غاية المرام للبحراني ١١٩/٢، ٣٤٩، مجمع النورين ٣٥٠.

(٢) نهج البلاغة ١٠٦/٤، بحار الأنوار للمجلسي ٣١٢/٢٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨٤/٢٠.

(٣) الغارات للثقفى ٤٧٩/٢، الهامش، الأمالي للطوسي ١٧٣، بحار الأنوار للمجلسي ٥٦/٣٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٩/٢، تفسير مجمع البيان للطبرسي ٢٦٦/٧، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ لحمد الريشهري ١٢٣/٧.

وأى شىء أعظم من أن يقيهم ﷺ بقره عينه وهم أهل بيته ي، حيث قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وكان رسول الله ﷺ إذا احمر البأس وأحجم الناس قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة»^(١).

وليس بعزىز على الله بعد كل هذا أن يجعلهم أئمة ويجعلهم وارثين وأن يستخلفهم في الأرض، كما قال في محكم كتابه: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [النور: ٥٥].

فالله عز وجل وعد في هذه الآيات المؤمنين بالاستخلاف وتمكين الدين والأمن العظيم من الأعداء، ولا بد من وقوع ما وعد به ضرورة، لامتناع الخلف في وعده تعالى، ووقع ذلك في عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا حاضرين وقت نزول هذه الآيات، كما ذكر ذلك بعض المفسرين.

ومن هذه البشارات ما كان يوم حفر الخندق، عندما اعترضت المسلمين صخرة فاستعصت عليهم، فأتى النبي ﷺ وأخذ المعول وضرب به ضربة فلمعت منها برقة كأنها مصباح في جوف ليل مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح، فكبر المسلمون، ثم ضرب ضربة أخرى، فلمعت برقة أخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى، فقال ﷺ عن الأولى: (أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبرئيل أن

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع)، ٩/٣، بحار الأنوار للمجلسي ١١٥/٣٣، سنن النبي ﷺ للطباطبائي ١٣٩، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة لأويس كرم محمد ١٠٦، ٣٩٨، ميزان الحكمة لمحمد الريبشهرى ٤/٣٢٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٧/١٤، حياة أمير المؤمنين (ع) عن لسانه لمحمد محمدديان ١١٤/١، معجم الحاسن والمساوى لأبي طالب التجليل التبريزي ١٩٥.

أمّتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الضربة الثانية فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور
الحر من أرض الروم، فأخبرني جبرئيل أن أمّتي ظاهرة عليها فأبشروا، فاستبشر
المسلمون، وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر). فقال المنافقون: ألا
تعجبون يمينكم ويعدكم الباطل ويعلمكم أنه يبصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن
كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق -أي: الخوف- ولا تستطيعون
أن تبرزوا؟ فنزل القرآن: وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا [الأحزاب: ١٢] ^(١).

ومنها: قوله ﷺ: (إنكم ستفتحون مصر، فإذا فتحتموها فاستوصوا بالقبط خيراً، كان
لهم رحم وذمة. يعني: أن أم إبراهيم منهم، أي: مارية القبطية) ^(٢).
وفي رواية: (الله في القبط، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً في
سبيل الله) ^(٣).

ومن البشارات التي تدل على عدالة الصحابة وإيمانهم، قوله ﷺ: (إن ابني هذا -
يعني: الحسن بن علي عليه السلام- سيد، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين)، وكان كما
قال ﷺ ^(٤).

ومنها: قوله ﷺ: (يقتل بهذه الحرة خيار أمّتي بعد أصحابي).

(١) انظر: مجمع البيان للطبرسي ٢/٢٧٠، بحار الأنوار للمجلسي ١٧/١٦٩، ١٧١، نفس الرحمن في فضائل
سلمان للنوري الطبرسي ١٤٨، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٩/١٤٠.
(٢) مناقب آل أبي طالب ١/١٠٩، بحار الأنوار للمجلسي ١٨/١٣١، مستدرك سفينة البحار للنمازي ٨/٣٩١.
(٣) أمالي الطوسي ٤٠٤، بحار الأنوار للمجلسي ١٨/١٤٤، ٩٧/٦٥، جامع أحاديث الشيعة للبرجودي
١٣/٢٢٥، مستدرك سفينة البحار للنمازي ١٠/٥٦٤.
(٤) إعلام الوري للطبرسي ١/١٢ مناقب آل أبي طالب ٣/١٨٥، بحار الأنوار للمجلسي ٤٣/٢٩٨، ٢٩٩،
٣٠٥، ٣١٧، شرح إحقاق الحق ٢٦/٣٥٦ لوامع الحقائق لآشتياني ١/١٠٤.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (قتل يوم الحرة سبع مائة رجل من حملة القرآن، فيهم ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ)^(١).

وسرد كل ما ورد في الباب يطول. وفيما ذكرناه كفاية لمعرفة أن الأصل هو ثناء الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة آل البيت على الصحابة ي أجمعين.

فخلاصة أقوال العلماء في كل ما ورد يتلخص في:

■ إن الله عز وجل زكى ظاهرهم وباطنهم؛ فمن تزكية ظواهرهم وصفهم بأعظم الأخلاق الحميدة، ومنها: أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ ... [الفتح : ٢٩]، وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [الحشر : ٨]، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ... [الحشر : ٩]. أما بواطنهم فأمر اختص به الله عز وجل، وهو وحده العليم بذات الصدور. فقد أخبرنا عز وجل بصدق بواطنهم وصلاح نياتهم؛ فقال على سبيل المثال: فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ... [الفتح : ١٨]، يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ... [الحشر : ٩]، يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ... [الفتح : ٢٩]، لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ... [التوبة : ١١٧]. فقد تاب عليهم ؛ لما علم صدق نياتهم وصدق توبتهم.

■ بسبب توفيق الله عز وجل لهم لأعظم خلال الخير ظاهراً وباطناً أخبرنا أنه رضي عنهم وتاب عليهم، ووعدهم الحسنی.

(١) إعلام الوری للطبرسی ٩٦/١، بحار الأنوار للمجلسي ١٢٥/١٨، إثبات الهداة ٣٦٥/١، مستدرک سفینه البحار للنمازي ٢٥٤/٢، معالم المدرستین ١٨٨/٣.

- وبسبب كل ما سبق أمرنا بالاستغفار لهم، وأمر النبي ﷺ بإكرامهم، وحفظ حقوقهم، ومحبتهم. ونهينا عن سبهم وبغضهم. بل جعل حبهم من علامات الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق.
- ومن الطبيعي بعد ذلك كله أن يكونوا خير القرون، وأماناً لهذه الأمة. ومن ثم يكون اقتداء الأمة بهم واجباً، بل هو الطريق الوحيد إلى الجنة: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)^(١). يقول الإمام مالك في الذين يقدحون في الصحابة: (إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين)^(٢). ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الطعن فيهم طعن في الدين)^(٣). وكما قال أبو زرعة الرازي رحمه الله: (إذا رأيت الرجل يتنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة)^(٤).
- فنخلص من كل هذا ومن المزيد الذي سيأتي أن مفهوم عدالة الصحابي لا تقتضي العصمة للأفراد، إنما العصمة في إجماعهم لقول النبي ﷺ كما مر أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة. فعصمتهم في مجموعهم، أما كأفراد فهم غير معصومين.

(١) رواه أحمد ٤/١٢٦، ١٢٧ وأصحاب السنن والدارمي. والحديث صححه جماعة من محدثين. — انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحديث ٣٨، ٣٨٧، دار الفرقان ط. الأولى ١٤١١هـ — وانظر الإرواء ٢٥٤٤ ٨/١٠٧ للتوسع. انظر اعتقاد أهل السنة في الصحابة ي ل محمد عبد الله الوهيبي.

(٢) الصارم المسلول، ٥٥٣.

(٣) منهاج السنة ١/١٨.

(٤) الكفاية، ٤٩.

حديثُ الحوضِ

من الشبهات التي تُثار كثيراً حول الصحابة عليهم السلام حديث الحوض. فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ليردّ عليّ ناسٌ من أصحابي الحوض، حتى عرفتهمُ اختلجوا دوني فأقول: أسيحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك)^(١).

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إني فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردّ عليّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني، ثم يُحال بيني وبينهم. قال أبو حازم: فسمعتني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهدُ على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: فأقول: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي)^(٢).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إني على الحوض حتى انظر مَنْ يرِد عليّ منكم، وسيؤخذ ناسٌ دوني، فأقول: يا رب! مني ومن أمتي؟ فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم. فكان ابن أبي مُليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نُفتن عن ديننا)^(٣).

(١) رواه البخاري برقم ٦٥٨٢ واللفظ له، ومسلم برقم ٢٣٠٤.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٥٨٥.

(٣) رواه البخاري برقم ٦٥٩٣ واللفظ له، ومسلم برقم ٢٢٩٣.

وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه: (وليُرفَعَنَّ رجال منكم)^(١). وفي أخرى: (يرد عليّ يوم القيامة رهطٌ من أصحابي، فيُجلّون عن الحوض)^(٢)، وفي ثالثة: (فإذا زُمرةٌ حتى إذا عرفتهم)^(٣).

وفي رواية ابن المسيّب عن أصحاب النبي ﷺ: (يرد على الحوض رجال من أصحابي فيُحلّون عنه)^(٤). وغيرها من الألفاظ.

فقال أصحاب الشبهات: إن المتمعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم، لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا، بل ارتدوا على أدبارهم بعده ﷺ، إلا القليل الذي عبر عنه بهمل النعم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث وهم المنافقون؛ لأن النص يقول: فأقول: أصحابي، ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي ﷺ، وإلا فأصبح المنافق بعد وفاة النبي ﷺ مؤمناً.

ردود العلماء على هذه الشبهة:

ولكن قبل بيان ردود العلماء على هذه الشبهة لا بد من بيان موجز عن مفهوم ومعنى الصلبة.

تعريف الصحابي:

(١) رواه البخاري برقم ٦٥٧٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٥٨٥.

(٣) رواه البخاري برقم ٦٥٨٧.

(٤) رواه البخاري برقم ٦٥٨٦.

عرفاً: هو من طالت صحبته وكثرت ملازمته على سبيل الاتباع^(١). واصطلاحاً كما عند جمهور المحدثين: هو من لقي النبي ﷺ يقظة، مؤمناً به، بعد بعثته، حال حياته، ومات على الإيمان^(٢).

إذا عرفت هذا فيكون الكلام في حديث الحوض. لا شك في صحة روايات الحوض، فقد رواها عشرات الصحابة عليهم السلام، وللعلماء في تأويل هذه الروايات أقوال ليس منها أنهم أصحاب النبي ﷺ، منها:

■ أنه كيف يجوز أن يرضى الله عز وجل عن أقوام ويحمدهم، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم وهذا هو شر الكافرين.

■ لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد قوم من جفأة العرب، ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين، ويدل قوله: (أصحابي) على قلة عددهم^(٣). وليس كل من ورد الحوض. وجاء في رواية أخرى بلفظ (رھط) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: (يرد علي يوم القيامة رھط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي. فيقول: أنك لا علم لك بما

(١) جامع الأصول لابن الأثير ٧٤/١ .

(٢) انظر: فتح المغيث ٧٤/٤ وما بعدها، والباعث الحثيث، ١٦٩ و١٧٢ هامش رقم ١، ودفاع عن السنة، ١٠٨، والإصابة ٦/١ وغيرها من الكتب

(٣) ولفظ "أصحابي" مذكور في كتب الإمامية: بحار الأنوار للمجلسي ٢٧/٨، ٢٢/٢٨، ٥٦٦/٢٩، ٩٩/١، العدد القوية لعلي بن يوسف الحلي ص ١٩٨، تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلي ٣٩٥، شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ٣٧/١٨، وغيرها كثير.

أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري^(١)، والرهط كما هو معلوم ما دون العشرة من الرجال.

■ إنا لا نسلم أن المراد بالأصحاب ما هو المعلوم في عرفنا، فالصحة اسم جنس ليس له حد في الشرع ولا في اللغة، والعرف فيها مختلف، والنبي ﷺ لم يقيد الصحة بقيد ولا قدرها بقدر بل علّق الحكم بمطلقها ولا مطلق لها إلا الرؤية. بل المراد بهم مطلق المؤمنين به ﷺ المتبعين له، وهذا كما يقال لمقلدي أبي حنيفة: أصحاب أبي حنيفة، ولمقلدي الشافعي: أصحاب الشافعي، وهكذا وإن لم يكن هناك رؤية واجتماع، وكذا يقول الرجل للماضين الموافقين له في المذهب: أصحابنا، مع أنه بينه وبينهم عدة من السنين، ومعرفة ﷺ لهم مع عدم رؤيتهم في الدنيا بسبب أمارات تلوح عليهم... ولو سلمنا أن المراد بهم ما هو المعلوم في العرف، فهم الذين ارتدوا من الأعراب على عهد الصديق، وقوله: أصحابي أصحابي، لظن أنهم لم يرتدوا كما يؤذن به ما قيل في جوابه: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وإذا ثبت هذا فاعلم أن العلماء قد اختلفوا في أولئك المذايدين عن حوض النبي ﷺ بعد اتفاهم أن الصحابة ﷺ غير مرادين بذلك. فقالوا:

■ أن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسيا التي عليهم، كما يوضحها الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ترد عليّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله، قالوا: يا نبي الله أتعرفنا؟ قال: نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم، تردون عليّ غراً محجلين من آثار الوضوء. وليُصدّن عني طائفة

منكم فلا يصلون، فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابي فيجبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟^(١). فهذا الحديث يفيد أن أهل الأهواء والنفاق يحشرون بالغرة والتحجيل، وقوله: (منكم) الميم ميم الجمع وهذا يعني أنهم يحشرون جميعاً بنفس سيما المؤمنين كما في حديث الصراط في قوله ﷺ: (... وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها)^(٢). فدل على أنهم يحشرون مع المؤمنين. وما من شك أن المنافقين ليسوا بحالٍ من أقسام الصحابة ولا يدخلون عند أهل السنة في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح (الصحبة) إذا ما أطلق. فالصحابي كما مر بك من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام. ولكن الرسول ﷺ ذكرهم وذكر المرتدين في بعض روايات الحديث «بأصحابي» أو بـ «من صاحبني» لأنهم صحبوه ورأوه في الدنيا وذلك تصغيراً لهم وتحقيراً لا تعظيماً ولا يقول ذلك لأصحابه من المهاجرين والأنصار الذين كانت لهم رواياته في حقهم بصيغة الإجلال والتقدير والتعظيم والتكريم. وذلك أن المنافقين كانوا يظهرون الإسلام للنبي ﷺ كما قال الله جل وعلا: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ [المنافقون : ١]. والنبي ﷺ كان يعرف بعض المنافقين، ولم يكن يعرفهم كلهم، ولذلك قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ: وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ [التوبة : ١٠١] فبين أن النبي ﷺ لا يعلم جميع المنافقين، وكان يظن أن أولئك من أصحابه وليسوا كذلك بل هم من المنافقين.

(١) صحيح مسلم رقم ٢٤٧.

(٢) رواه البخاري برقم ٨٠٦، ومسلم برقم ١٨٢.

■ قد يكون المعنى أن كل من صحب النبي ﷺ ولو لم يتابعه، وإن كان النبي يعلم ذلك كعبد الله بن أبي ابن سلول وهو كما هو معلوم رأس المنافقين وهو الذي قال: لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وهو الذي قال: ما مثلنا ومثل محمد وأصحابه إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك. فهذا سماه النبي ﷺ من أصحابه، فيكون هذا هو المقصود، ولذلك إن تعريف الصحابة بأنه كل من لقي النبي مؤمناً به ومات على ذلك تعريف متأخر. وأما كلام العرب كل من صحب الرجل فهو من أصحابه مسلماً أو غير مسلم متبع له أو غير متبع هذا أمر آخر. ولذلك لما قال عبد الله بن أبي ابن سلول كلمته الخبيثة: «ليخرجن الأعز منها الأذل» قام عمر إلى النبي ﷺ لما بلغته هذه الكلمة قال: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: (لا يا عمر، لا يقول الناس: إن محمداً يقتل أصحابه)^(١)، فسماه من أصحابه صلوات الله وسلامه عليه وهو رأس المنافقين، فهو غير داخل في الذين نحن نسميهم صحابة ﷺ.

■ قيل أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبي ﷺ، وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء، لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك).

■ يقول الطبرسي (وهو من أكابر علماء الشيعة) في تفسيره (مجمع البيان) عند تفسير قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَقَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ... [آل عمران: ١٠٦]: (اختلف فيمن عنوا به على أقوال) فذكر أربعة أقوال وذكر في آخرها أنهم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة ثم استدل على ذلك من حديث «الارتداد»

(١) رواه البخاري برقم ٣٥١٨، ومسلم برقم ٢٥٨٤.

فقال: (ورابعها أنهم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة عن علي عليه السلام ومثله عن قتادة أنهم الذين كفروا بالارتداد، ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (والذي نفسي بيده ليردن على الحوض ممن صحبني أقوام حتى إذا رأيتهم اختلجوا دوني فلاقولن: أصحابي أصحابي أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعد، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري) ذكره الثعلبي في تفسيره فقال أبو أمامة الباهلي: هم الخوارج ويروي عن النبي أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية..^(١)

■ أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا لا يقطع هؤلاء الذين يذاون بالنار، يجوز أن يذاوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله عز وجل فيدخلهم الجنة بغير عذاب^(٢).

■ لا يمتنع أن يكون أولئك المذاون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، ففي بعضها يقول النبي صلى الله عليه وآله فأقول: (أصحابي) أو (أصحابي - بالتصغير-)، وفي بعضها يقول: (سيؤخذ أناس من دوني فأقول: يا ربي مني ومن أمتي) وفي بعضها يقول: (ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني)، وظاهر ذلك أن المذاين ليسوا طائفة واحدة. وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة، فإن العقوبات في الشرع تكون بحسب الذنوب، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب. كما روى عن طائفة من الصحابة منهم عمر وابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ [الصافات : ٢٢]: قالوا: «أشباههم يبيء أصحاب الزنا مع أصحاب

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي ٣٦٠/٢، تفسير نور الثقلين للحويزي ٣٨٢/١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣٦/٣، ١٣٧.

الزنا، وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر»^(١)، وإذا كان النبي ﷺ قد بين أن سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله: (إنهم ارتدوا على أدبارهم)، أو الإحداث في الدين كما في قوله: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)، فمقتضى ذلك هو أن يُذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي ﷺ من الأعراب، أو من كان بعد ذلك، يشاركتهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة. قال ابن عبد البر رحمه الله وغيره: (وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، والله أعلم. وأشدّهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم مثل الخوارج على اختلاف الفرق.. إلى أن قال: فهؤلاء كلهم يبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع؛ كل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بهذا الخبر)^(٢).

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به أعداؤهم، فالذود عن الحوض إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأخرجها بعد موت النبي ﷺ على ما روى الطبري في تاريخه بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: (قد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، وشرأت اليهود

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٧/٤.

(٢) التمهيد ٢٠/٢٦٢، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ١/٣٤٨.

والنصارى والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم^(١).

ومع هذا تصدى أصحاب النبي ﷺ لهؤلاء المرتدين وقاتلوهم قتالاً عظيماً وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة رضي الله عنهم وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء. يقول سعد القمي وهو من علماء الإمامية: (وارتد قوم فرجعوا عن الإسلام، ودعت بنو حنيفة إلى نبوة مسيلمة، وقد كان ادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ فبعث أبو بكر إليهم الخيول عليها خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فقاتلهم وقتل من قُتل ورجع من رجع منهم إلى أبي بكر فسمّوا أهل الردة)^(٢). وقال علي رضي الله عنه: «فمشيت عند ذلك -أي عندما ارتد من ارتد من العرب- إلى أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسرّ وسدد وقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً»^(٣).

وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم، وقوة إيمانهم، وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعدائه بعد موت رسول الله ﷺ، حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدعة، الأمر الذي يظهر به كذبهم في رميهم لهم بالردة والإحداث في الدين، والذود عن حوض النبي ﷺ. بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته، وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته.

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٤٥.

(٢) المقالات والفرق لسعد القمي، ٤.

(٣) الغارات لأبي إسحاق إبراهيم الثقفي الكوفي الأصهباني ١/٣٠٧، منار الهدى لعلي البحراني، ٣٧٣، ناسخ التواريخ للميرزا تقي ٣/٥٣٢.

وأما قول النبي ﷺ: (فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)^(١)، والاحتجاج به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فلا حجة له فيه، لأن الضمير في قوله: (منهم) إنما يرجع على أولئك القوم الذين يدنون من الحوض ثم يذادون عنه، فلا يخلص منهم إليه إلا القليل، وهذا ظاهر من سياق الحديث فإن نصه: (بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم). فليس في الحديث للصحابة ذكر، وإنما ذكر زمراً من الرجال يذادون من دون الحوض ثم لا يصل إليه منهم إلا القليل. قال ابن حجر رحمه الله في شرح (فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم): يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه... والمعنى لا يرده منهم إلا القليل، لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره)^(٢).

وأخيراً: لو قال أحد النواصب وهم الذين يبغضون آل البيت رحمهم الله: إن هؤلاء الذين ارتدوا وهؤلاء الذين يذادون عن الحوض هم علي والحسن والحسين كيف تردون عليهم؟؟! فإرد عليهم بأنهم ليسوا من هؤلاء بل هؤلاء جاءت فيهم فضائل. وكذلك نحن نقول: أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة جاءت فيهم فضائل، فما الذي يخرج علياً ويدخل أبا بكر وعمر!!

فالقصد إذاً أن حديث الحوض لا يشمل أصحاب النبي ﷺ.

(١) رواه البخاري برقم ٦٥٨٧.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٤٧٥/١١.

رَزِيَّةُ الْحَمِيسِ

روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف. قال رسول الله ﷺ: قوموا. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغظهم^(١). وفي رواية مسلم أن القائل إن رسول الله ﷺ: قد غلبه الوجع... إلخ هو عمر^(٢). وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: اتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فتنزعوا، ولا ينبغي عند نبي نزاع، فقالوا: ما شأنه؟ أهجر، استفهموه، فذهبوا يردون عليه، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه، وأوصاهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها)^(٣).

فقالوا: أن اختلاف الصحابة هذا هو الذي منع رسول الله ﷺ من كتابة الكتاب، وبالتالي حرم الأمة من العصمة من الضلالة، واستدل على ذلك بقول ابن عباس رضي الله عنهما: (إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب). أن الرسول ﷺ أراد أن ينص على خلافة علي رضي الله عنه. أن عمر هو الذي عارض رسول الله

(١) رواه البخاري ٤٤٣٢.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٦٣٧.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٤٣١، ومسلم برقم ١٦٣٧.

ﷺ وقال: (إنه يهجر)، ثم قال: (عندكم القرآن)، (حسبنا كتاب الله). وأن تعليل أهل السنة بأن عمر قال ذلك شفقة على رسول الله ﷺ لا يقبله بسطاء العقول فضلاً عن العلماء.

أن الأكثرية الساحقة من الصحابة كانت على قول عمر ذلك، ولذلك رأى رسول الله ﷺ عدم جدوى كتابة الكتاب، لأنه علم بأنهم لن يمثلوه بعد موته. أن الصحابة في هذه الحادثة تعدوا حدود رفع الأصوات إلى رمية ﷺ بالهجر والهذيان.

ردود العلماء على هذه الشبهة:

- أما اختلافهم فثابت، وقد كان سببه اختلاف في فهم قول الرسول ﷺ، ومراده لا عصيانه. قال القرطبي رحمه الله: وسبب ذلك أن ذلك كله إنما حمل عليه الاجتهاد المسوغ، والقصد الصالح، وكل مجتهد مصيب، أو أحدهما مصيب، والآخر غير مأثوم بل مأجور كما قررناه في الأصول^(١). ثم ذكر أن النبي ﷺ لم يعنفهم ولا ذمهم بل قال للجميع: (دعوني فالذي أنا فيه خير). وهذا نحو ما جرى لهم يوم الأحزاب حيث قال لهم الرسول ﷺ: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)^(٢) فتخوف ناس فوات الوقت، فصلوا دون بني قريظة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ فما عنف أحد الفريقين^(٣).
- وأما استدلالهم بقول ابن عباس: (إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب)، فلا حجة له فيه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٥٥٩/٤.

(٢) رواه البخاري برقم ٩٤٦، ومسلم برقم ١٧٧٠.

(٣) المفهم ٥٥٩/٤.

الله في معناه: (يقتضي أن الحائل كان رزية، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق، واشتبه عليه الأمر، فإنه لو كان هناك كتاب لزال الشك، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه، والله الحمد)^(١). ويوضح هذا أن ابن عباس رضي الله عنه ما قال ذلك إلا بعد ظهور أهل الأهواء والبدع، من الخوارج وغيرهم. وأيضاً فقول ابن عباس هذا قاله اجتهداً منه، وهو معارض بقول عمر واجتهاده، وقد كان عمر أفقه من ابن عباس قطعاً^(٢). بل هو معارض بقول عمر، وطائفة من الصحابة معه، كما جاء في الحديث: (فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك)^(٣). ويعضد هذا القول موافقة النبي ﷺ له بعد ذلك وتركه كتابة الكتاب، فإنه ﷺ لو أراد أن يكتب الكتاب ما استطاع أحد أن يمنعه، وقد ثبت أنه عاش بعد ذلك أياماً باتفاق المسلمين فلم يكتب شيئاً.

■ وأما القول بأن النبي ﷺ أراد بذلك الكتاب أن ينص على خلافة علي رضي الله عنه فمردود من وجوه. فالإمامية يقولون: إن النبي ﷺ قد نص على خلافة علي، ونصبه وصياً من بعده بأمر الله له قبل حادثة الكتاب. وقد نقل إجماعهم على هذه العقيدة المفيد حيث قال: (واتفقت الإمامية على أن رسول الله ﷺ استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في حياته، ونص عليه بالإمامة بعد وفاته، وأن من دفع ذلك دفع فرضاً من الدين)^(٤). ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة

(١) منهاج السنة ٢٥/٦ . ٩.

(٢) انظر: فتح الباري ١٣٤/٨.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أوائل المقالات، ٤٤.

علي فهو ضال باتفاق عامة الناس، من علماء السنة والشيعة، أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأن علياً كان هو المستحق للإمامة فيقولون: إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصاً جلياً ظاهراً معروفاً، وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى كتاب^(١). فإذا كان النبي ﷺ قد أراد من ذلك الكتاب النص على خلافة علي في ذلك الوقت المتأخر من حياته، دل هذا على عدم نصه عليها قبل ذلك، إذ لا معنى للنص عليها مرتين، وإذا ثبت باتفاق المسلمين أن النبي ﷺ مات ولم يكتب ذلك الكتاب، بطلت دعوى الوصية من أصلها.

■ وإذا تقرر هذا: فليعلم أن العلماء اختلفوا في مراد النبي ﷺ من ذلك الكتاب، فذهب بعضهم إلى أن النبي ﷺ أراد أن يكتب كتاباً ينص فيه على الأحكام ليرفع الاختلاف^(٢). وقيل: إن مراده ﷺ من الكتاب: بيان ما يرجعون إليه عند وقوع الفتن^(٣). وقيل: إن المراد بيان كيفية تدبير الملك، وهو إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزهم، وتجهيز جيش أسامة^(٤). والذي عليه أكثر العلماء المحققين: أن النبي ﷺ أراد أن ينص على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ثم ترك ذلك اعتماداً على ما علمه من تقدير الله تعالى^(٥). وقد استدل من قال بهذا القول بما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (ادعي لي أبا

(١) منهاج السنة ٢٥/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٩٠/١١، وفتح الباري لابن حجر ٢٠٩/١.

(٣) المفهم ٥٥٨/٤.

(٤) مختصر التحفة الإثني عشرية، ٢٥١.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ٩٠/١١، المفهم ٥٥٨/٤، منهاج السنة ٢٣/٦، ٢٤، ٣١٦، الصارم الحديدي في عنق صاحب سلاسل الحديد ٤٨/٢، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٨٩٠/٢.

بكر وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر^(١).

■ لم يثبت أن عمر رضي الله عنه قال: إنه يهجر، وإنما قالها بعض من حضر الحادثة من غير أن تعين الروايات الواردة في الصحيحين وإنما الثابت فيها (فقالوا: ما شأنه أهجر)، هكذا بصيغة الجمع دون الأفراد. ولهذا أنكر بعض العلماء أن تكون هذه اللفظة من كلام عمر. قال ابن حجر رحمه الله: (ويظهر لي أن قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام، وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجد، قد يشتغل به عن تحرير ما يريد)^(٢). ثم أن هذه اللفظة لا مطعن فيها على عمر إن ثبتت عنه، ولا الصحابة. وذلك من عدة وجوه: الأول: أن الثابت الصحيح من هذه اللفظة أنها وردت بصيغة الاستفهام هكذا (أهجر؟) وهذا بخلاف ما جاء في بعض الروايات بلفظ: (هجر، ويهجر) وتمسك به الطاعنون فإنه مرجوح على ما حقق ذلك المحدثون^(٣) فقد نصوا على أن الاستفهام هنا جاء على سبيل الإنكار على من قال: (لا تكتبوا)^(٤). الثاني: أنه على فرض صحة رواية (هجر) من غير استفهام، فلا مطعن فيها على قائلها، لأن الهجر في اللغة يأتي على قسمين: قسم لا نزاع في عروضه للأنبياء، وهو عدم تبين الكلام لبحّة الصوت، وغلبة اليبس بالحرارة على اللسان، كما في الحميات الحارة، وقسم آخر: وهو جريان الكلام غير المنتظم، أو المخالف للمقصود على اللسان لعارض بسبب الحميات المحرقة في الأكثر. وهذا القسم محل اختلاف بين العلماء في عروضه للأنبياء،

(١) رواه مسلم برقم ٢٣٨٧، وروى البخاري، مع اختلاف في اللفظ، برقم ٧٢١٧.

(٢) فتح الباري ١٣٣/٨.

(٣) الشفا ٨٨٦/٢، المفهم ٥٥٩/٤، شرح صحيح مسلم ٩٣/١١، فتح الباري ١٣٣/٨.

(٤) المفهم ٥٥٩/٤.

فعل القائل هنا أراد القسم الأول، وهو أنا لم نفهم كلامه بسبب ضعف ناطقته، ويدل على هذا قوله بعد ذلك: «استفهموه»^(١). الثالث: أنه يحتمل أن تكون هذه اللفظة صدرت عن قائلها عن دَهَشٍ وخَيْرَةٍ أصابته في ذلك المقام العظيم، والمصاب الجسيم، كما قد أصاب عمر وغيره عند موت النبي ﷺ^(٢). الرابع: أن هذه اللفظة صدرت بحضور رسول الله ﷺ وكبار أصحابه، فلم ينكروا على قائلها، ولم يؤثموه، فدل على أنه معذور على كل حال.

■ وأما الادعاء من معارضة عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ بقوله: (عندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله) وأنه لم يمثل أمر الرسول ﷺ فيما أراد من كتابة الكتاب: فالرد عليه: الوجه الأول: أنه ظهر لعمر رضي الله عنه ومن كان على رأيه من الصحابة، أن أمر الرسول ﷺ بكتابة الكتاب ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح^(٣). ثم إنه قد ثبت بعد هذا صحة اجتهاد عمر رضي الله عنه وذلك بترك الرسول ﷺ كتابة الكتاب، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف. ولهذا عد هذا من موافقات عمر^(٤). الوجه الثاني: أن قول عمر رضي الله عنه: (حسبنا كتاب الله) رد على من نازعه لا على أمر النبي ﷺ^(٥)، وهذا ظاهر من قوله: (عندكم كتاب الله) فإن المخاطب جمع وهم المخالفون لعمر رضي الله عنه في رأيه. الوجه الثالث: أن عمر رضي الله عنه قد رأى أن الأولى ترك كتابة الكتاب -بعد أن تقرر عنده أن الأمر به ليس على الوجوب- وذلك لمصلحة شرعية راجحة للعلماء في توجيهها

(١) مختصر التحفة الإثني عشرية، ٢٥٠.

(٢) المفهم ٥٦٠/٤.

(٣) الشفا ٨٨٧/٢، والمفهم ٥٥٩/٢، وشرح صحيح مسلم ٩١/١١، وفتح الباري ٢٠٩/١.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٢٠٩/١.

(٥) نص عليه النووي في شرح صحيح مسلم ٩٣/١١.

أقوال. فقيل: شففته على رسول الله ﷺ مما يلحقه من كتابة الكتاب مع شدة المرض، ويشهد لهذا قوله: (إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع) فكره أن يتكلف رسول الله ﷺ ما يشق ويثقل عليه^(١) مع استحضاره قوله تعالى: مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [الأنعام: ٣٨] وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ... [النحل: ٨٩]. وقيل: إنه خشى تطرق المنافقين، ومن في قلبه مرض، لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة، وأن يقولوا في ذلك الأقاويل^(٢). ولا يبعد أن يكون عمر رضي الله عنه لاحظ هذه الأمور كلها، أو كان لاجتهاده وجوه أخرى لم يطلع عليها العلماء، كما خفيت قبل ذلك على من كان خالفه من الصحابة، ووافقه عليها الرسول ﷺ بتركه كتابة الكتاب، ولهذا عد العلماء هذه الحادثة من دلائل فقهه ودقة نظره. الوجه الرابع: أن عمر رضي الله عنه كان مجتهداً في موقفه من كتابة الكتاب، والمجتهد في الدين معذور على كل حال، بل مأجور لقول النبي ﷺ: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)^(٣)، فكيف وقد كان اجتهد عمر بحضور رسول الله ﷺ فلم يؤثمه، ولم يذمه به، بل وافقه على ما أراد من ترك كتابة الكتاب.

■ وأما القول: إن الأكرية الساحقة كانت على قول عمر، ولذلك رأى رسول الله ﷺ عدم جدوى كتابة الكتاب، لأنه علم بأنهم لن يمثلوه بعد موته. فجوابه: أن الرسول ﷺ مأمور بالتبليغ سواء استجاب الناس أم لم يستجيبوا، قال تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ... [الشورى: ٤٨]، وقال تعالى: فَإِنْ

(١) الشفا للقاضي عياض ٨٨٨/٢، وشرح صحيح مسلم للنووي ٩٠/١١، وفتح الباري لابن حجر ٢٠٩/١.

(٢) الشفا ٨٨٩/٢، وشرح صحيح مسلم للنووي ٩٢/٢.

(٣) رواه البخاري برقم ٧٣٥٢، ومسلم برقم ١٧١٦.

تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [النحل : ٨٢] فلو كان الرسول ﷺ أمر بكتابة الكتاب، ما كان ليتركه لعدم استجابة أصحابه، كما أنه لم يترك الدعوة في بداية عهدها لمعارضة قومه وشدة أذيتهم له، بل بلغ ما أمر به، وما ثناه ذلك عن دعوته، حتى هلك من هلك عن بينة، وحيا من حيي عن بينة. فظهر بهذا أن كتابة الكتاب لم تكن واجبة عليه، وإلا ما تركها^(١).

■ إن علياً عليه السلام كان حاضراً في هذه الحادثة؟ فلماذا لم يكتب؟ لماذا لم يذهب ويأت بالدواة والقلم ويكتب؟ وهل كان علي مع الذين منعوا أو مع الذين لم يمنعوا؟!.

(١) منهاج السنة ٦/٣١٥، ٣١٦، وفتح الباري ١/٢٠٩.

سرية أسامة بن زيد عليه السلام

تقول الشبهة: (أن النبي ﷺ جهز جيشاً لغزو الروم قبل وفاته بيومين، وأمر على هذه السرية: أسامة بن زيد بن حارثة، وعمره ثمانية عشر عاماً، وقد عبأ ﷺ في هذه السرية وجوه المهاجرين والأنصار، كأبي بكر وعمر، وأبي عبيدة، وغيرهم من كبار الصحابة المشهورين، فطعن قوم منهم في تأمير أسامة، وقالوا: كيف يؤمر علينا شاباً لا نبات بعارضيه، وقد طعنوا من قبل في تأمير أبيه، وقد قالوا في ذلك وأكثروا النقد، حتى غضب ﷺ غضباً شديداً مما سمع من طعنهم وانتقادهم، فخرج معصّب الرأس محموراً، يتهاذى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، من شدة ما به من لغوب، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إنه كان خليقاً بالإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق بها). وقالوا: (وإذا أردنا أن نتمعن في هذه القضية، فإننا سنجد عمر من أبرز عناصرها، إذ أنه هو الذي جاء بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى الخليفة أبي بكر وطلب منه أن يعزل أسامة ويبدله بغيره. فقال أبو بكر: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، أتأمرني أن أعزله وقد ولاه رسول الله ﷺ).

ردود العلماء على هذه الشبهة:

- الثابت في هذه الحادثة أن الرسول ﷺ في مرضه الذي توفي فيه أمر أصحابه بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام، والإغارة على أهل مؤتة، حيث قتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة الذين كانوا أمراء الرسول ﷺ على غزوة مؤتة المعروفة، فلما تجهز الصحابة لما أمرهم به رسول الله ﷺ جعل الرسول ﷺ

أسامة بن زيد أميراً عليهم، فتكلم في تأمير أسامة قوم منهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي، فرد عليه عمر وأخبر النبي ﷺ^(١)، فخطب وقال: (إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان من أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده)^(٢). فظاهر أن من تكلم في إمارة أسامة كانوا أفراداً من الصحابة وليس كل الصحابة، وكانوا بذلك مجتهدين في ما قالوا؛ لأنهم خشوا أن يضعف عن الإمارة لصغر سنه، ومع هذا فقد أنكر عليهم عمر وأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فأخبرهم إنه جدير بالإمارة فما يعرف أن أحداً منهم تكلم فيه بعد ذلك. فأَي لوم على الصحابة ﷺ بقول أفراد منهم أنكره عليهم بعضهم، ثم نهاهم رسول الله ﷺ فانتهوا.

■ القول بتباطئ الصحابة ﷺ في الخروج مع أسامة حتى مات رسول الله ﷺ لم يحصل، بل إنهم بادروا بالاستعداد للقتال، وأعدوا العدة لذلك، فعن ابن إسحاق قال: (بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام وأمره أن يوطئ تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون)^(٣). وفي الطبقات لابن سعد: (وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار، إلا انتدب في تلك الغزوة)^(٤). فكان الصحابة قد تهيئوا للخروج مع أسامة، وخرج بهم وعسكر بالجرف استعداداً للانطلاق، لكن الذي حصل بعد ذلك أن النبي ﷺ اشتد عليه المرض فجاءه أسامة وقال: (يا رسول الله

(١) انظر: تاريخ الطبري ١٨٤/٣، وفتح الباري لابن حجر ١٥٢/٨.

(٢) من قوله: «إن تطعنوا...» رواه البخاري برقم ٤٤٦٩، ومسلم برقم ٢٤٢٦.

(٣) سيرة ابن هشام ١٤٩٩/٤، تاريخ الطبري ١٨٤/٣.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩٠/٢.

قد أصبحت ضعيفاً وأرجو أن يكون الله قد عافاك فأذن لي فأمكث حتى يشفيك الله،
فإني إن خرجت وأنت على هذه الحالة خرجت وفي نفسي منك قرحة، وأكره أن أسأل
عنك الناس، فسكت عنه رسول الله^(١). فكان أسامة هو الذي طلب من النبي^ﷺ
التأخر في الخروج حتى يطمئن على رسول^ﷺ فأذن له الرسول^ﷺ ولو أراد أسامة
الخروج ما تأخر عنه أحد ممن كان تحت إمرته. فهذا هو حقيقة ما حصل، ولم يكن
تأخر خروج أسامة إلا بطلب منه أذن له فيه النبي^ﷺ، على أنه لم يكن بين أمر النبي^ﷺ
وأصحابه بالتهيؤ للغزو، ووفاته إلا ستة عشر يوماً، ومعلوم أن هذه المدة ليست
طويلة في تجهيز جيش. وبهذا تبطل دعوى القول في تثاقل الصحابة عن الخروج بل
إن هذا يدل على سرعة امتثالهم لأمر رسول الله^ﷺ وذلك بتجهيزهم جيشاً كهذا
قيل: إن قوامه ثلاثة آلاف مقاتل^(٢) بكل ما يحتاج إليه من مؤونة وعتاد في خلال ثلاثة
أيام على ما هم فيه من فاقة وفقر وحاجة في جميعاً، وجزاهم على جهادهم، وحسن
بلائهم في الإسلام، خير ما جازى به المحسنين.

■ لم يثبت أن الرسول^ﷺ أمر أبا بكر وعمر أن يلتحقا بجيش أسامة، بل ولا أمر
غيرهما بذلك، إذ لم يكن من عادته إذا أراد أن يجهز سرية أو غزوة أن يعين من يخرج
فيها بأسمائهم، وإنما كان يندب أصحابه لذلك ندباً عاماً، ثم إذا اجتمع عنده من يقوم
بهم الغرض عين لهم أميراً منهم. فالتحق بالجيش كبار المهاجرين والأنصار. وكان
من بين هؤلاء عمر بن الخطاب^{رضي الله عنه} كما نص على ذلك المؤرخون^(٣)، وثبت أنه فيمن

(١) نقلة شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ٤٨٨/٥.

(٢) انظر: كتاب المغازي للواقدي ١١٢٢/٣، فتح الباري لابن حجر ١٥٢/٨.

(٣) انظر: المغازي للواقدي ١١١٨/٣، الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩٠/٢، تاريخ الطبري ٢٢٦/٣، البداية

والنهاية ٣٠٨/٦، سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٩٧/٢.

خرج في معسكر أسامة بالجرف، ثم عاد للمدينة مع أسامة، لما بلغه احتضار رسول الله ﷺ، ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقي مكتئباً في جيش أسامة فلما استخلف أبو بكر وأمر بمسير الجيش استأذن أبو بكر أسامة أن يأذن لعمر بالبقاء معه لحاجته إليه، فأذن له^(١). فثبت بهذا أن التحاق عمر بجيش أسامة كان برغبته واختياره، وأن خروجه منه كان بطلب الخليفة، وإذن الأمير، فأبي لوم على عمر رضي الله عنه في ذلك؟

■ وأما أبو بكر رضي الله عنه فالذي عليه أكثر المؤرخين: أنه لم يكن في جيش أسامة أصلاً، فإنهم سموا من التحق بجيش أسامة من كبار الصحابة، ولم يذكروا فيهم أبا بكر^(٢). بل كان رسول الله ﷺ يستخلفه في الصلاة من حين مرضه إلى أن مات. وأسامة قد روى أنه عقد له الراية قبل مرضه، ثم لما مرض أمر أبا بكر أن يصلي بالناس فصلى بهم إلى أن مات النبي ﷺ، فلو قدر أنه أمر بالخروج مع أسامة قبل المرض، لكان أمره بالصلاة تلك المدة، مع إذنه لأسامة أن يسافر في مرضه، موجباً لنسخ إمرة أسامة عنه، فكيف إذا لم يؤمر عليه أسامة بحال^(٣).

■ وأما القول: إن عمر رضي الله عنه كان من أبرز عناصر المعارضة، وهو الذي جاء بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى أبي بكر، وطلب منه أن يعزل أسامة ويبدله بغيره. فجوابه: أنه لم تكن هناك معارضة أصلاً حتى يكون لها عناصر بارزة أو غير بارزة، والعبرة في هذا بصحة النقل، ولا نقل صحيح في هذا. وأما القول: إن عمر طلب من أبي بكر عزل أسامة فليس هذا رأي عمر وحده، بل رأى بعض الصحابة، وسبب هذا أنه لما مات

(١) تاريخ الطبري ٢٢٦/٣، الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩١/٢، البداية والنهاية لابن كثير ٣٠٩/٦، منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤٤٨/٥، ٣١٩/٦.

(٢) المغازي ١١٨/٣، تاريخ الطبري ٢٢٦/٣، سير أعلام النبلاء ٤٩٧/٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩٠/٢، فتح الباري ١٥٢/٨، البداية والنهاية لابن كثير ٣٠٨/٦.

(٣) المصدر نفسه ٢٧٦/٤، ٢٧٧.

النبي ﷺ ارتدت كثير من قبائل العرب، ونجم النفاق، وتربص الأعداء بالمسلمين من كل ناحية، وقد كان في جيش أسامة جل الصحابة وخيارهم، فخشى كبار الصحابة على المدينة بعد خروج الجيش منها أن يحيط بها الأعداء، وفيها خليفة رسول الله ﷺ، وأمهات المؤمنين، والنساء، والذراري، فأشاروا على أبي بكر أن يؤجل بعث أسامة حتى يستقر الحال، ويفرغ من قتال المرتدين، فلما أبى عليهم ذلك أشار عليه بعضهم أن يولي الجيش من هو أسن من أسامة، وأعرف بالحرب منه حرصاً منهم على سلامة الجيش في ذلك الوقت العصيب الذي يمرون به^(١). والصحابة على كل حال مجتهدون في شأن جيش أسامة سواء من رأى منهم تسيير الجيش، أو لم ير ذلك، أو رأى عزل أسامة، أو لم ير ذلك، فما أرادوا من ذلك إلا الخير، والنصح لدين الله والمسلمين، وهم أبعد ما يكونون على كل ما يرميهم به هؤلاء من التهم الباطلة الجائرة.

- وختاماً لم يصح في قصة سرية أسامة حديث النبي ﷺ أنه قال: (لعن الله من تخلف عن جيش أسامة) فهذا كذب على النبي ﷺ.

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٢٥، وأورد هذه الرواية ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية ٦/٣٠٨، المغازي للواقدي ٣/١١٢١.

صُلح الحُدَيْبِيَّة

مَجمل القصة: أن رسول الله ﷺ خرج في السنة السادسة للهجرة يريد العمرة ولكن قريشاً طلبوا منه أن يرجع في هذه المرة على أن يتركوا له مكة في العام القادم ثلاثة أيام، وقد اشترطوا عليه شروطاً قاسية قبلها رسول الله، ولكن بعض الصحابة لم يعجبهم هذا التصرف من النبي وعارضوه، منهم عمر الذي قال: أَلست نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قال عمر: أَلسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قال: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال رسول الله ﷺ: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قال عمر: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرت أن نأتيه العام؟ قال عمر: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به. ولما فرغ رسول الله من كتاب الصلح قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. ولم يمثل لأمره منهم أحد، حتى نحر بدنة بيده، ودعا حالقه فحلق رأسه، فلما رأى أصحابه ذلك قاموا فنحروا وحلقوا. قالوا: لا أعجب من تصرف هؤلاء الصحابة تجاه نبيهم، وهل يقبل عاقل قول القائلين بأن الصحابة كانوا يمثلون أوامر رسول الله ﷺ وينفذونها، فهذه الحادثة تكذبهم وقد قال تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء : ٦٥].

ردود العلماء على هذه الشبهة:

- مراجعة عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ في أمر الصلح، وكذلك تأخر الصحابة رضي الله عنهم في بداية الأمر عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله ﷺ وحلق، كل هذا صحيح ثابت في

الصحيحين^(١). وعلى هذين الأمرين مدار الطعن على أصحاب رسول الله ﷺ، ولا مطعن في شيء من هذا على أصحاب رسول الله ﷺ لا عمر ولا غيره من الصحابة الذين شهدوا الحديبية. وبيان ذلك: أن الرسول ﷺ كان قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا معه عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتحقق هذا العام، فلما وقع أمر الصلح وفيه أن يرجعوا عامهم هذا، ثم يعودوا العام القادم شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فجعل عمر رضي الله عنه يسأل رسول الله ﷺ ويراجعه في الأمر، ليس عن شك في صدق الرسول ﷺ، أو اعتراض عليه، لكن كان مستفضلاً عما كان متقررّاً لديه، من أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت. فعمر رضي الله عنه كان في هذا مجتهداً حمله على هذا شدته في الحق، وقوته في نصرة الدين، والغيرة عليه، مع ما كان قد عودهم عليه رسول الله ﷺ من المشورة وإبداء الرأي، امثالاً لأمر الله تعالى: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ... [آل عمران: ١٥٩]، وقد كان كثيراً ما يستشيرهم ويأخذ برأيهم في حوادث كثيرة يطول ذكرها. فقد كان عمر رضي الله عنه يطمع أن يأخذ رسول الله ﷺ برأيه في مناجزة قريش وقتالهم، ولهذا راجعه في ذلك، وراجع أبا بكر، فلما رأى اتفاقهما أمسك عن ذلك وترك رأيه، فعذره رسول الله ﷺ لما يعلم من حسن نيته وصدقه.

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد.. ٣٢٩/٥، ٢٧٣١، ٢٧٣٢، وكتاب الجزية ٢٨١/٦، ٣١٨٢، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية ١٤١١/٣، ١٧٨٥، ومسند أحمد ٤٨٦/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٦٣٥/٢، والبداية والنهاية لابن كثير ١٧٠/٤.

■ أما توقف الصحابة رضي الله عنهم عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله ﷺ وحلق، فليس معصية لأمر رسول الله ﷺ، وقد ذكر العلماء له عدة توجيهات كقولهم كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول وحى بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوّغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم^(١). وجاء في بعض الروايات أن الرسول ﷺ لما رأى عدم امتثالهم، دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت: (يا رسول الله لا تكلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح)^(٢). فأشارت عليه كما جاء في رواية البخاري: (أن أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا)^(٣). قال ابن حجر رحمه الله: (ويحتمل أنها فهمت عن الصحابة رضي الله عنهم أنه احتمل عندهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة في حق نفسه، فأشارت عليه أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله... ونظير هذا ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان، فلما استمروا

(١) فتح الباري ٣٤٧/٥.

(٢) ذكره ابن حجر في فتح الباري ٣٤٧/٥.

(٣) صحيح البخاري رقم ٢٧٣٤.

على الامتناع، تناول القدر فشرّب، فلما رأوه شرب شربوا^(١). وهكذا لما رأوه قد تحلل أيقنوا أن هذا هو الأفضل في حقهم، فبادروا إليه.

■ ما بدر من الصحابة عليهم السلام يوم الحديبية كان بحضور رسول الله ﷺ، وقد كان الوحي ينزل عليه، فهل ذمهم الله بذلك؟ فإن الله لا يقر على باطل. وهل أنكر عليهم رسوله ﷺ؟

■ أن الله عز وجل قال في سورة الفتح التي أنزلها على رسوله ﷺ بعد رجوعه من الحديبية في طريقه إلى المدينة^(٢): لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [الفتح: ١٨-١٩]. وكان عدد أهل الحديبية الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة ألفاً وأربعمائة رجل، كما ذكر جابر رضي الله عنه^(٣). وفي صحيح مسلم أن أم بشر سمعت النبي ﷺ يقول: (لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها)^(٤). فثبت بصريح الكتاب والسنة أن الله رضي عنهم، وأنزل السكينة في قلوبهم، وشهد لهم الرسول ﷺ بالجنة، والنجاة من النار، فاطعن فيهم بعد هذا تكذيب صريح لما دلت عليه النصوص، ورد على الله ورسوله، ولهذا لم يتوقف العلماء في تكفير من كفر، أو فسق عامة الصحابة لمناقضته لصريح الكتاب والسنة.

(١) فتح الباري ٣/٥٤٧.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤/١٨٢.

(٣) رواه مسلم برقم ١٨٥٦.

(٤) رواه مسلم برقم ٢٤٩٦.

■ ثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (كتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب: هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله، فقالوا: لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي ﷺ: احمه، فقال: ما أنا بالذي أحماه، فمحا النبي ﷺ بيده^(١). وفي بعض الرويات أن علياً قال: (والله لا أحماه أبداً)^(٢). فما ثبت عن علي رضي الله عنه هنا نظير ما ثبت عن عمر رضي الله عنه في مراجعته رسول الله ﷺ في أمر الصلح، فإذا لم يكن في هذا مطعن على علي رضي الله عنه وهو الحق، لم يكن فيما ثبت عن عمر رضي الله عنه، فإن قيل: إنما منعه من محو كلمة (رسول الله) محبته لرسول الله ﷺ وتعظيمه، قلنا: وإنما حمل عمر على ما فعل نصرته لرسول الله ﷺ وإعزاز دينه.

(١) رواه البخاري برقم ٢٦٩٨، ومسلم برقم ١٧٨٣.

(٢) رواه البخاري برقم ٣١٨٤.

آيات وأحاديث حملت على أنها في ذم الصحابة عليهم السلام

هناك آيات عدة حملت على أنها وردت في ذم الصحابة عليهم السلام وهذه ردود عامة عليها^(١):

- أن كل ما يُستدل به من آيات في الطعن على الصحابة عليهم السلام لا يخلو من ثلاثة أقسام: إما أن تكون آيات نزلت في الكفار والمنافقين. وإما أن تكون آيات عامة نزلت في حث الأمة على الخير، وأمرها به، أو تحذيرها من الشر ونهيها عنه، والخطاب فيها للصحابة ولمن بعدهم من الأمة، وهي مصدرة في الغالب: بـ(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا). والأمثلة على هذا كثيرة جداً في القرآن، وليس فيها أي طعن على الصحابة عليهم السلام. وقد خاطب الله تعالى بمثل هذا رسوله ﷺ كما في قوله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [المائدة: ٦٧]. وقوله: وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَجْبُطَنَ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الزمر: ٦٥] وقوله: وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لِّمِنَ الظَّالِمِينَ [البقرة: ١٤٥]. وقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ... [الأحقاف: ٣٥]. وقوله: وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ [المدثر: ٦-٧]. وغيرها من الآيات في معناها، فكما أن هذه الآيات بما تضمنته من الأوامر والنواهي من الله لرسوله، ليس فيها أي مطعن عليه، فكذلك ما ثبت من ذلك في حق الصحابة ليس فيه أي مطعن عليهم. وأما القسم الثالث من الآيات فأيات تضمنت نوع عتاب من الله لبعض

(١) راجع الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي

الصحابه، كما في قوله تعالى: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ ... [الحديد : ١٦]. وقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ... [التوبة : ٣٨]. وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ ... [الممتحنة : ١]. فهذه الآيات
وما في معناها ليس فيها كذلك مطعن على الصحابة عليهم السلام، وإنما عاتب الله بها أفراداً
منهم، بل ربما كان العتاب لفرد واحد منهم، كما في الآية الأخيرة، فإنها نزلت في
حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ومن الخطأ تعميم ذلك على الصحابة كلهم، وأيضاً فإن
الله تعالى خاطبهم فيها بوصف الإيثار الدال على تزكية الله لهم وثنائه عليهم، ولهذا
أطلق على هذه الآيات وأمثالها على أنها عتاب من الله للمؤمنين، ولهذا عاتب الله
رسوله وخليله عليه السلام في أكثر من آية كما في قوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى
[عبس: ١-٢]. وقد كان النبي عليه السلام بعدها يكرم ابن أم مكتوم ويقول له إذا رآه:
(مرحباً بمن عاتبني فيه ربي) ^(١). وقال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي
مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [التحریم : ١]. وقال تعالى: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ
مُبْدِيهِ ... [الأحزاب : ٣٧]. إلى غير ذلك من الأمثلة في هذا الباب. والمقصود هنا:
هو التأكيد على أن كل ما ثبت في حق الصحابة من عتاب الله تعالى لهم، لا يوجب
انتقاصهم به، إذا ما ثبت جنس ذلك في حق الرسول عليه السلام وهو بالمكانة المعروفة من
ربه.

(١) انظر: تفسير البغوي ٣٣٢/٨، تفسير القرطبي ٢١٣/١٩.

■ أنا لو سلمنا جدلاً أن في تلك الآيات ذمّاً لبعض الصحابة، فمن أين لنا الحكم على بعضهم أنهم هم المعنيون بها دون البعض الآخر، فإن هذا التعيين يحتاج إلى دليل، وإلا فغيره أن يدعي ما يشاء، وينزل تلك الآيات على من شاء من الصحابة، كما لو احتج الخوارج بتلك الآيات على تكفير علي عليه السلام أو النواصب على تفسيقه، فلن يجد هؤلاء حجة يدفعون بها عن علي عليه السلام إلا بقول أهل السنة واعتقاد عدالة الصحابة جميعاً.

■ أن الله تعالى أثنى في كتابه على الصحابة أبلغ الثناء، وزكاهم أعظم تزكية، وأخبر أنه يرضوا عنه، ووصفهم بالإيمان والتقوى، ووعدهم بالحسنى. فقد تضمنت هذه الآيات^(١) ثناء الله عز وجل العظيم على الصحابة ووصفه لهم بتلك الصفات الفاضلة الدالة على علو شأنهم في الدين، وسمو مكانتهم فيه، وإخباره بما أعد لهم في الآخرة من الأجر والثواب والمغفرة والرضوان، والخلود في جنات تجري من تحتها الأنهار، مما يدل دلالة واضحة على بطلان ما ادعاه المبطلون من أن بعض الآيات جاءت بدمهم وتنقصهم، وذلك أنه كتاب محكم لا يناقض بعضه بعضاً كما قال تعالى: **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** [النساء : ٨٢]. ولو افترض وجود بعض الآيات تدل بظاهرها على ما ادعى هؤلاء الطاعنون، فالواجب حملها على هذه الآيات الصريحة القاطعة بعدالة الصحابة جميعاً، فكيف والنصوص كلها من الكتاب والسنة بعدالتهم متواترة، وبإيائهم قاطعة.

(١) وقد ذكرنا بعضاً منها في الكلام عن عدالة الصحابة عليهم السلام.

- أن الله تعالى أثنى على المستغفرين لهم السائلين الله تعالى أن لا يجعل في قلوبهم غلاً عليهم، فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ [الحشر: ١٠]. فكيف يتصور بعد هذا أن يذمهم الله تعالى في آيات أخرى بما يوجب تنقصهم وبغضهم، فإن هذا من أبعد ما يكون عند أصحاب العقول، أن يتضمن مثل ذلك كتاب الله المحكم المنزه عن الاختلاف والاضطراب.
- أن الله تعالى جعل أصحاب نبيه يغاظ بهم الكفار فقال: لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ... [الفتح: ٢٩] فمن المحال بعد ذلك أن يجعل للكفار حجة عليهم بذمهم في كتابه، وقد قال الله تعالى: وَلَكِن يَجْعَلُ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [النساء: ١٤١]. وبهذا يظهر زيف القول بأن القرآن قد جاء بدم الصحابة.
- أما الروايات والآثار فإن ما نقل عن الصحابة من المثالب نوعان: أحدهما: ما هو كذب: إما كذب كله، وإما محرّف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يُخرجه إلى الذم والطعن. وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب يرويها الكذابون المعروفون بالكذب، مثل أبي مخنف لوط بن يحيى، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأمثالهما من الكذّابين. ولهذا كثيراً ما يستشهد الطاعنون بما صنّفه هشام الكلبي في ذلك، وهو من أكذب الناس، وهو يروي عن أبيه وعن أبي مخنف، وكلاهما متروك كذّاب. والنوع الثاني: ما هو صدق. وأكثر هذه الأمور هم فيها معذورون تخرجها عن أن تكون ذنباً، وتجعلها من موارد الاجتهاد، التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر. وعامة المنقول الثابت عن الصحابة عليهم السلام من هذا الباب، وما قُدّر من هذه الأمور ذنباً محققاً فإن ذلك لا يقدر فيها علم من

فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة. منها: التوبة الماحية، والحسنات الماحية للذنوب؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات. وقد قال تعالى: **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَى عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَتُدْخِلَكُمْ مُدْخِلًا كَرِيمًا** [النساء : ٣١]. ومنها: المصائب المكفرة. ومنها: دعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة نبيهم، فما من سبب يسقط به الذنب والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك، فهم أحق بكل مدح، ونفي كل ذم ممن بعدهم من الأمة. وغيرها من أسباب المغفرة وتكفير الذنوب.

أمثلة على آيات حملت على أنها وردت في الطعن في الصحابة رضي الله عنهم

آية الانقلاب:

من هذه الآيات ما يسمى (آية الانقلاب) وهو قول الله عز وجل: **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** [آل عمران : ١٤٤]. حيث زعموا أن هذه الآية الكريمة صريحة وجلية في أن الصحابة سينقلبون على أعقابهم بعد وفاة الرسول مباشرة ولا يثبت منهم إلا القليل كما دلت على ذلك الآية في تعبير الله عنهم، أي: عن الثابتين الذين لا ينقلبون بالشاكرين، فالشاكرون لا يكونون إلا قلة قليلة كما دل على ذلك قوله: **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** [سبأ : ١٣] وكما دلت عليه أيضاً الأحاديث النبوية الشريفة التي فسرت هذا الانقلاب بزعمهم.

وقد رد العلماء على هذه الشبهة بما يلي:

- يجب على المفسر لكتاب الله أن يلم بأصول التفسير كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والخاص والعام وغيره ليكون تفسيره حسب أصول التفسير.
- ذكر المفسرون في سبب نزول الآية أنه في يوم أحد صاح الشيطان: قد قتل محمد. فقال بعض المنافقين: قد قتل محمد فأعطوهم بأيديكم فإنما هم إخوانكم وقال بعض الصحابة: إن كان محمد قد قتل ألا تمضون على ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به فأنزل الله تعالى في ذلك: : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... [آل عمران : ١٤٤] (١). ومن علماء الإمامية الاثني عشرية من أقر بأن هذا هو سبب نزول الآية. وعلى ذلك فمعنى الآية (هو معاتبة الله لأصحاب محمد ﷺ على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحد إن محمداً قتل) (فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به، فكل نفس ذائقة الموت، وما بعث محمد ﷺ ليخلد لا هو ولا هم بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد فإن الموت لا بد منه، سواء مات رسول الله ﷺ أو بقي، فقلوه : أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ [آل عمران : ١٤٤].. أي: كيف ترتدون وتتركون دينه إذا مات أو قتل مع علمكم أن الرسل تخلصون ويمسك أتباعهم بدينهم وإن فقدوا بموت أو قتل).
- هذه الآية تعتبر أعظم دليل على عظمة أبي بكر ﷺ وشجاعته وثباته وذلك عندما صدع بهذه الآية يوم وفاة النبي ﷺ. وثبوتها في ذلك الموطن، وثبوتها في أمر الردة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما قبض وشاع موته هاج المنافقون وتكلموا وهموا بالاجتماع والمكاشفة أوقع الله تعالى في نفس عمر ﷺ أن النبي ﷺ لم يقبض فقام بخطبته المشهورة المخوفة للمنافقين برجوع النبي ﷺ ففت ذلك في أعضاء المنافقين

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٥٨/٧، تفسير القرطبي ٢٢١/٤، الدر المنثور ٣٣٥/٢.

وتفرقت كلمتهم، ثم جاء أبو بكر بعد أن نظر إلى النبي ﷺ فسمع كلام عمر فقال له: اسكت، فاستمر في كلامه فتشهد أبو بكر فأصغى الناس إليه فقال: أما بعد فإنه من كان يعبد الله تعالى فإن الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ [آل عمران : ١٤٤]. وتلا الآية كلها فبكى الناس ولم يبق أحد إلا قرأ الآية كأن الناس ما سمعوها قبل ذلك اليوم، قالت عائشة رضي الله عنها في البخاري: (فنفخ الله بخطبة عمر ثم بخطبة أبي بكر...) (١) فهذا من المواطن التي ظهر فيها شكر أبي بكر وشكر الناس بسببه.

■ القول بأن (هذه الآية صريحة وجلية «هكذا!» في أن الصحابة سينقلبون على أعقابهم بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة يدل على عظيم الجهل بأصول التفسير وبأقوال المفسرين. وإذا فسرت الآية بهذه العقلية لأصبح المعنى أن الله عز وجل يبشر صحابة نبيه ﷺ أنهم سينقلبون في المستقبل القريب!!؟ فهو يحزم بحدوث انقلاب أكثر الصحابة والنبي ﷺ لما يتوفاه الله بعد، وليس هذا فقط بل ويؤكد أنهم سينقلبون بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة!!! ومن جزم بأن أكثر الصحابة سينقلبون بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة فلا بد أن يوضح من هم الصحابة المنقلبون ومن هم الصحابة الثابتون وإلا اختلط الأمر على الأمة فلم يُعرف الصحابي من المنقلب على عقبه. وبالإضافة إلى أن عدم تحديد الصحابة من المنقلين سيفتح المجال للطعن بالقرآن الكريم؛ لأنه في عدة مواضع يمدح الصحابة ويشهد لهم بالإيمان وصلاح الظواهر والبواطن، وفي مواضع أخرى يذم الصحابة ويبشر بارتدادهم عن الدين وهذا هو عين ما يسعى إليه الطاعنون، والحق الذي يجب أن يعرفه كل مسلم هو أن الصحابة إنما هم بشر يخطئون

وتقع منهم الزلات والهزات، ولكنهم أهل عدل وصدق شهد لهم القرآن الكريم في غير ما موضع كما في قوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: ١٠٠]. فهذه بشارة الله سبحانه لأصحاب النبي ﷺ لا أن يبشرهم بالارتداد والانقلاب عن الدين.

■ يجب على المفسر لآية أن يربطها بالآيات التي قبلها والتي بعدها؛ لأن تمام التفسير ووضوحه مرتبط بذلك، وهذه الآية هي من ضمن غزوة أحد والأخطاء التي وقعت فيها والسورة بصدد عتاب الله للمؤمنين لما حدث لهم في هذه الغزوة، وذلك أن الله أنكر عليهم أنهم بمجرد الإيثار سيدخلهم الجنة دون الجهاد والابتلاء والتمحيص فقال تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ [آل عمران: ١٤٢-١٤٣]. ثم ذكر بعدها مباشرة قوله: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ... [آل عمران: ١٤٤] استمرار بعثهم على ما كان منهم في تلك الغزوة، ثم ذكرهم بالآيات التي بعدها أن هناك من الأنبياء من قاتل معه الصالحون فما وهنوا وما ضعفوا وما ذلوا كما حدث من بعضكم، وفي الآية التي بعدها أثبت الله لصحابة نبيه ﷺ الإيثار وحذرهم من طاعة الكافرين بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ [آل عمران: ١٤٩] وبعد عتابهم ذكر الله بعد آيات أنه عفا عن تولى يوم القتال بسبب بعض ذنبه بقوله: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ النِّقْيِ الْجُمُعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ [آل عمران: ١٥٥] ثم يذكر الله سبحانه أن المؤمنين قد استجابوا للرسول

ﷺ من بعد ما أصابهم القرّح في غزوة أحد لملاحقة أبي سفيان إلى حمراء الأسد فقال تعالى: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران: ١٧٢-١٧٣]. ولا شك أن هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات وهذا المديح هم الصحابة المنقلبون بنعمة من الله وفضل، فكيف يدعي هؤلاء أن الله يبشر صحابة نبيه ﷺ بالارتداد والانقلاب بناء على تحريف للكلم عن مواضعه؟!

■ ثم يقول الطاعنون: (ولا يمكن تفسير الآية الكريمة بطليحة وسجاح والأسود العنسي، وذلك حفاظاً على كرامة الصحابة، فهؤلاء قد انقلبوا وارتدوا عن الإسلام وادعوا النبوة في حياته ﷺ وقد حاربهم رسول الله وانتصر عليهم)!!؟ والرد أن مسيلمة والأسود العنسي ظهرا عند قرب وفاة النبي ﷺ، والعنسي فقط هلك قبل وفاة النبي ﷺ، وأما طليحة وسجاح فقد ارتدا بعد وفاته ﷺ وذلك باتفاق أهل النقل وقاتلهم الصحابة ﷺ فكيف يُقال أن النبي ﷺ هو الذي هزم المرتدين! وكل ذلك حتى يظهر أن المرتدين بعد النبي ﷺ هم الصحابة وليس هؤلاء.

آية الجهاد:

ومنها آية ما يسمى بـ (آية الجهاد) وهو قول الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التوبة: ٣٨-٣٩]. قالوا: هاتان الآيتان صريحتان

أيضاً في أن الصحابة ثاقلوا عن الجهاد واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا والدعة، رغم علمهم بأنها متاع قليل، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، وباستبدالهم بغيرهم من المؤمنين الصادقين.

وقد رُد على هذه الشبهة من وجوه:

■ منها اتفاق المفسرين بأن هذه الآية نزلت في الحضر على غزوة تبوك، وذلك بعد فتح مكة وبعد رجوعه ﷺ من الطائف وحين وقد أمروا بالنفير بالصيف حيث فرقت النخل وطابت الثمار، وكان من عادة النبي ﷺ إذا أراد غزوة ورى بغيرها حتى كانت هذه الغزوة في حر شديد وسفر بعيد وعقبات كثيرة وعدو غفير فشق عليهم الخروج فأنزل الله هذه الآيات تحضهم على الجهاد وترهبهم من التثاقل عنه^(١). وقد ذكر ذلك بعض علماء الإمامية^(٢). ولا شك أن هذا التثاقل لم يصدر من الكل، إذ من البعيد أن يطبقوا جميعاً على التباطؤ والتثاقل وإنما هو باب نسبة ما يقع من البعض إلى الكل، وهو كثير شائع، والصحابة بشر يعتريهم ما يعتري أي إنسان من الكسل وغيره ولذلك نزل القرآن في كثير من المواطن يعلم الصحابة ويوجههم ويحضهم ويرهبهم ليجعل منهم خير أمة أخرجت للناس. وهذا الأمر معلوم لمن تدبر القرآن فنزلت الآيات التي تبدأ بـ (يا أيها الذين آمنوا) تسع وثلاثون مرة وهي كلها للتعليم والتوجيه. لذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فأرעה سمعك فإنه إما خيرٌ تؤمر به أو شرٌ تنهى عنه»^(٣)، فالسياق القرآني جاء

(١) انظر: تفسير البغوي ٤/٤٨، تفسير ابن كثير ٢/٤٣٦.

(٢) مجمع البيان ٢/٦٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/٨٠.

لتعليم الصحابة الخير أو نهيهم عن الشر، ولكن من اعتقد العصمة في البشر جعلهم يعتقدون أن أي خطأ أو تقصير يصدر من الصحابة يعتبر قدحاً بهم.

■ أما بالنسبة لقوله تعالى: **إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً [التوبة: ٣٩]**. فهذا فيه توعّد من الله تعالى لمن ترك الجهاد وقال ابن عباس رحمهما: «استنفر رسول الله ﷺ حياً من العرب فتثاقلوا عنه فأمسك الله عنهم القطر فكان عذابهم»

■ الصحابة رحمهم الله قد خرجوا مع نبيهم ﷺ إلى غزوة تبوك ولم يمسه من عذاب الله شيء، وعلى رأس هؤلاء الشيخين رحمهما، فأما أبو بكر رحمته الله فقد جاء بجميع ماله إلى النبي ﷺ ليجهز الجيش ولم يبق لأهله إلا الله ورسوله^(١)، بالإضافة إلى أن الله سبحانه أثبت له الصحبة لنبهه فذكر بالآية التي تلي الآية التي نحن بصددنا مباشرة **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة: ٤٠]**. وأما عمر رحمته الله فقد جاء بنصف ماله للنبي ﷺ وجاء عثمان رحمته الله بألف دينار فنشرها في حجر النبي ﷺ وجهز جيش العسرة فقال النبي ﷺ: (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين)^(٢). وأما عبد الرحمن بن عوف رحمته الله فقد صلى النبي ﷺ خلفه في غزوة تبوك^(٣). وعفى الله عز وجل عن الجميع حيث قال: **لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُوفٌ رَّحِيمٌ [التوبة: ١١٧]**. يقول ابن عباس رحمهما: «من تاب الله عليه لم يعذبه أبداً».

(١) انظر: سنن أبي داود ١٦٧٨، جامع الترمذي ٣٦٧٥.

(٢) رواه الترمذي برقم ٣٧٠١.

(٣) انظر: صحيح مسلم برقم ٢٧٤.

■ ثم أعلم أن غزوة تبوك هذه كانت آخر غزوات النبي ﷺ مع صحابته ﷺ، وكانوا قد أبلوا أعظم البلاء في جميع الغزوات الأخرى التي غزوها مع النبي ﷺ كبدر وأحد والخندق ثم فتح مكة ثم غزوة حنين ومؤتة فكان النصر والفتح حليفهم، ثم إنهم بعد وفاة النبي ﷺ أكملوا طريق الجهاد فحفظوا الدين من المرتدين وفتح الله على أيديهم بلاد فارس والعراق والشام ومصر. فكيف يقال بعد هذا أن الصحابة تفاقلوا عن الجهاد واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا؟!

آية الردة:

وقالوا: (وكقوله تعالى أيضاً: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة: ٥٤]).

والرد أن يقال:

أن هذه الآية أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وأنهم هم القوم الذين يحبهم الله ويحبونه، فقد روى جمع من المفسرين أنها نزلت في أبي بكر وأصحابه ﷺ وذكر الطبري في تفسيره أن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «نزلت في أبي بكر وأصحابه!!»^(١). وقال بعض المفسرين: نزلت في الأنصار. وقال بعضهم: في أهل اليمن قوم أبي موسى الأشعري. وعلى كل حال الآية عامة في كل هؤلاء، ولا شك أن أولهم دخولاً في الآية أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية الصحابة. ويؤكد على ذلك الطبرسي -وهو من كبار علماء الإمامية- في تفسيره عند ذكر الآية: (.. واختلف فيمن وصف بهذه الأوصاف منهم فقل: هم أبو بكر

(١) تفسير الطبري ٤١٤/١٠.

وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة .. وقيل: هم الأنصار .. وقيل: هم أهل اليمن .. وقيل: أنهم أهل فارس وقيل: هم أمير المؤمنين علي عليه السلام وأصحابه ^(١). والدليل على أن الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة عليهم السلام هم أول الداخلين في عموم هذه الآية، أن الله يقول فيها: **دِينَهُ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**. أما قوله: **أَذَلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ**. دليل واضح وصفة لازمة لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله بدليل قوله تعالى: **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** [الفتح: ٢٩]. وأما قوله: **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**. فمعلوم أن الصحابة كانوا من أوائل المجاهدين في سبيل الله، والآيات التي تؤكد ذلك تملأ القرآن لمن تدبره، فهذه صفة دائمة لهم، فلا يعقل لمن استخدم عقله أن يعتقد أن الصحابة ارتدوا بدليل الآية، لأن الصحابة في زمن خلافة أبي بكر رضي الله عنه قاتلوا المرتدين وانتصروا عليهم فلا يعقل أن ينتصر المرتدون على المؤمنين.

آية الخشوع:

ومنها ما يسمى بـ(آية الخشوع)، وهي قول الله عز وجل: **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** [الحديد: ١٦]. ففي الدر المنثور لجلال الدين السيوطي قال: (لما قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعدما كان بهم من الجهد، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه (فعوقبوا) فنزلت هذه الآية. وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وآله (أن الله استبطأ قلوب المهاجرين بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن فأنزل الله هذه الآية، وإذا كان هؤلاء الصحابة وهم خيرة الناس على

ما يقوله أهل السنة والجماعة، لم تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق طيلة سبعة عشرة عاماً حتى استبطأهم الله وعاتبهم وحذرهم من قسوة القلوب التي تجرهم للفسوق، فلا لوم على المتأخرين من سراة قريش الذين أسلموا في السنة السابعة للهجرة بعد فتح مكة).

رد العلماء على هذه الشبهة:

■ الرواية الأولى المنقولة عن الدر المنثور لجلال الدين السيوطي هي رواية موقوفة على الأعمش وهو معروف بالتدليس بالإضافة لتفرده بها، وعلى العموم الرواية ليست من قول الرسول ﷺ كما ادعى هؤلاء فضلاً عن تحريفهم لها، حيث تقول: (فعوتبوا) وليس (فعوقبوا). أما الرواية الأخرى فقد قال السيوطي: (أخرج ابن مردويه عن أنس لا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ). وهذه الرواية التي أخرجها ابن مردويه عن أنس لا نجد لها في جميع كتب التفسير المعتمدة إضافة لمخالفتها للرواية الصحيحة عن ابن مسعود فقد أخرج مسلم في صحيحه أن ابن مسعود قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ. إِلَّا أَرْبَعَ سِنِينَ»^(١)، بالإضافة إلى أن ابن مسعود أقدم إسلاماً والأعلم بنزول القرآن، فرواية ابن مردويه شاذة ومنكرة. والملاحظ هنا أن السيوطي عند تفسيره لهذه الآية أورد عشرين رواية ومن ضمنها رواية ابن مسعود الصحيحة فلم يعجب هؤلاء إلا هاتان الروايتان ظناً منهم أن فيها ما يثلب الصحابة، فاستدلّاهم بالسيوطي ليس حجة لهم بل عليهم؛ لأن السيوطي معروف لدى علماء الحديث بإيراده الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فليس مجرد الاستدلال يدل على الصحة.

- لو فرضنا أن الروايتين صحيحتان فيكون قول الله لهم مجرد عتاب وحث لهم على زيادة الخشوع وديمومة الخوف من الله؛ لأن الصحابة بلا شك ليسوا معصومين من الأعراض البشرية كالنسيان والغفلة. وحتى النبي ﷺ نزل القرآن يعاتبه في آيات كما مر بك. فإذا كان عتاب الله للصحابة ذماً فماذا بالله سيقال عن عتاب الله للنبي ﷺ؟!
 - وأما الطعن في الصحابة بزعم أنهم لم تخشع قلوب السابقين منهم فكيف بمن أتى بعدهم...! فهذه دعوى باطلة وفرية ظاهرة، يردها ما ثبت في سيرة الصحابة ﷺ من أخبار تدل على تحقيقهم أعلى مقامات الخشوع، وشدة خوفهم من الله وكثرة بكائهم من خشيته مما لا ينكره إلا مكابر أو جاهل. فمن ذلك ما رواه الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم حنين...) (١). والحنين هو: الصوت الذي يرتفع بالبكاء من الصدر. وفي رواية أخرى لمسلم: (فأكثر الناس البكاء، حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ) (٢). وقد ثبت البكاء لبعض الصحابة، بل كان بعضهم معروفاً به مما يدل على شدة خوفهم من الله وخشيتهم له، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها في أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس: (... فقلت: يا رسول الله! إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قرأ القرآن لا يملك دمه) (٣). وفي رواية: (إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء) (٤). وفي الحلية لأبي نعيم عن عبد الله بن عيسى قال: «كان في

(١) صحيح البخاري رقم ٤٦٢١، صحيح مسلم رقم ٢٣٥٩.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٣٥٩.

(٣) صحيح البخاري برقم ٢٢٩٨، صحيح مسلم برقم ٤١٨ واللفظ له.

(٤) صحيح البخاري برقم ٦٧٩ واللفظ له.

وجه عمر خطان أسودان من البكاء»^(١). وعن هشام بن الحسن قال: «كان عمر يمر بالآية في ورده تخنقه فيبكي حتى يسقط»^(٢). وعن عثمان رضي الله عنه أنه جاء إلى بيت النبي ﷺ فأخبرته عائشة رضي الله عنها أنهم لم يطعموا طعاماً منذ أربعة أيام، قالت عائشة ل: فبكى عثمان ثم قال: «مقتاً للدنيا، ثم أحضر لهم طعاماً كثيراً وصره دراهم»^(٣). وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه أتى بصحفة فيها خبز ولحم، فلما وضعت بكى فقليل له: يا أبا محمد ما يبكيك؟ قال: «هلك رسول الله ﷺ ولم يشع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أرانا آخرنا لها لما هو خير منها»^(٤). وكان ابن عمر ب لا يذكر النبي ﷺ قط إلا بكى^(٥). وأخبارهم في ذلك تطول.

شبهة التبعض في قول الله عز وجل: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الفتح : ٢٩]:

ومن الشبهات أن (منهم) في قول الله عز وجل: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الفتح : ٢٩] تدل على التبعض وأوحت أن البعض من هؤلاء لا تشملهم مغفرة الله ورضوانه، ودلت أيضاً على أن البعض من

(١) حلية الأولياء ٥١/١.

(٢) حلية الأولياء ٥١/١.

(٣) أورده ابن قدامة المقدسي في الرقة والبكاء، ١٨٨.

(٤) أورده أبو نعيم في الحلية ١٠٠/١.

(٥) رواه الدارمي في سننه برقم ٨٦.

الصحابه انتفت منهم صفة الإيانه والعمل الصالح، فهذه الآيات المادحة والقادحة في آن واحد فهي بينما تمدح نخبة من الصحابة تقدرح في آخريه).

وقد رُء علي هذه الشبهة من وجوه:

■ منها إن هذه الآية الكريمة تضمنت أبلغ الشاء والمدح من الله تعالى لأصحاب النبي ﷺ ووصفه لهم بتلك الصفات العظيمة، الدالة على علو قدرهم في الدين، ورسوخ قدمهم في الإيانه والعمل الصالح.

■ أما القول أن (منهم) في قوله تعالى: الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا. للتبعيض فجّل وخطأ، فالذي عليه المفسرون وأهل العلم أن (من) في الآية لبيان الجنس فيكون المعنى: (وعد الله الذين آمنوا من هذا الجنس) وهم الصحابة. وهذا كقوله تعالى: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ [الحج: ٣٠] فلا يقصد للتبعيض، لكنه يذهب إلى الجنس، أي: فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان إذ كان الرجس يقع من أجناس شتى، منها الزنى والربا وشرب الخمر والكذب فأدخل (من) يفيد بها الجنس وكذا (منهم) أي: من هذا الجنس، يعني: جنس الصحابة، ويقال: أنفق نفقتك من الدراهم أي: اجعل نفقتك هذا الجنس^(١).

شبهة قوله تعالى: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَؤُلَاءِ انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ [الجمعة: ١١]:

(١) تفسير القرطبي ٢٩٦/١٦، تفسير ابن كثير ٢٤٧/٤.

قالوا: أن أكثر الصحابة انفضوا عن رسول الله ﷺ إلى العير التي جاءت من الشام وتركوه وحده في خطبة الجمعة وتوجهوا إلى اللهو واشتغلوا بالتجارة، وذلك دليل على عدم الديانة.

والجواب:

- أن هذه القصة إنما وقعت في بدء زمن الهجرة^(١)، ولم يكونوا إذ ذاك واقفين على الآداب الشرعية كما ينبغي، وكان للناس مزيد رغبة في الغلة، وظنوا أن لو ذهب الإبل يزيد الغلاء ويعم البلاء، ولم يخرجوا جميعهم بل كبار الصحابة كأبي بكر وعمر كانوا قائمين عنده ﷺ كما ثبت في الأحاديث الصحيحة^(٢)، ولذا لم يشنع عليهم^(٣)، ولم يتوعدهم سبحانه بعذاب ولم يعاتبهم الرسول ﷺ أيضاً، ولما بين الله لهم الحكم ما تخلف منهم أحد، وحالهم بعد نزول الآية خير شاهد.
- ثم أن إنفضاض الصحابة ﷺ كان للتجارة وليس للهو، بدليل قوله تعالى: **إِلَيْهَا**، ولم يقول إليهما بصيغة المثني.

شبهة فرار الكثير من الصحابة يوم أحد ويوم حنين ونزول قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** [آل عمران: ١٥٥]

والجواب:

(١) وعندما كانت خطبة الجمعة بعد الصلاة لا قبلها كما في تفسير سورة الجمعة للحافظ ابن كثير عن أبي داود في مراسيله.

(٢) في حديث جابر بن عبد الله أن الذين ثبتوا مع النبي اثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر.

(٣) أي: على الذين خرجوا عند وصول القافلة التجارية إلى المدينة، وكان الذي جاء بالقافلة دحية بن خليفة.

■ أن الفرار يوم أحد كان قبل النهي، ولئن قلنا: كان بعده فهو معفو عنه، بدليل قوله تعالى: وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ [آل عمران: ١٥٥]. فالله قد عذرهم وعفا عنهم، وهو الذي زكاهم وأثنى عليهم فهل لأحد أن يعترض على الله؟! وأما الفرار يوم حنين فقد أخبر تعالى أنه كان ابتلاء لهم وتربية لهم حتى لا يعتمدوا على كثرتهم، بل الاعتماد يكون على الله وحده، فقال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ [التوبة: ٢٥-٢٦]. ولا يخفى أن في هذه المعركة كان منهم قريبو عهد بإيمان.

شبهة القول: إن الصحابة سبوا بعضهم وقتلوا بعضهم: يقول الله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [الحجرات: ٩].

الجواب:

■ إن الله أثبت لهم الإيمان والأخوة مع أنهم قاتلوا بعضهم بعضاً، وإذا كانت هذه الآية يدخل فيها المؤمنون فالأولى دخول الصحابة فيها، وأهل السنة يقولون: إن أهل الجنة ليس من شرط دخولها سلامتهم عن الخطأ والزلل، بل ولا حتى الكبائر، فيجوز أن يذنب الرجل منهم ذنباً صغيراً أو كبيراً ويتوب منه فيتوب الله عليه كيف وقد شهد

الله لهم بالجنة، ولو لم نعلم أن أولئك المعينين في الجنة لم يجز لنا أن نقدح في استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار.

شبهة أن الصحابة آذوا علياً وحاربوه وقد قال النبي ﷺ (من آذى علياً فقد آذاني).

اعلم أن أعظم ما تداولت الألسن من الاختلاف الواقع بين الصحابة عليه السلام ما وقع في زمن أمير المؤمنين علي عليه السلام، فنشأ منه وقعتان عظيمتان: وقعة الجمل، ووقعة صفين. وسبب ذلك مقتل عثمان عليه السلام، ولو أنكر ذلك من أنكر، وإنكار ذلك مكابرة لا يلقي لها بال، لأن الخبر متواتر في جميع مراتبه. وتلخيص الأول أنه لما قتل عثمان عليه السلام سار طلحة والزبير وعائشة نحو البصرة، فلما علم علي بمخرجهم اعترضهم من المدينة لئلا يحدث ما يشق عصا الإسلام، وفاتوه، وأرسل ابنه الحسن وعماراً يستنفران أهل المدينة وأهل الكوفة، ولما قدموا البصرة استعانوا بأهلها وبيت مالها، حتى إذا جاءهم الإمام عليه السلام حاول الصلح واجتماع الكلمة وسعى الساعون بذلك، فثار قتلة عثمان وكان ما كان، وانتصر علي عليه السلام، وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى صلاة العصر لعشر خلون من جمادى الآخرة. ولما ظهر علي عليه السلام جاء إلى أم المؤمنين عليها السلام فقال: «غفر الله لك». قالت: (ولك. وما أردت إلا الإصلاح). ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف في البصرة وزارها بعد ثلاث ورحت به وبايعته وجلس عندها فقال رجل: يا أمير المؤمنين! إن بالباب رجلين ينالان من عائشة. فأمر القعقاع بن عمر أن يجلد كل واحد منهما مائة جلدة وأن يجردهما من ثيابهما ففعل. ولما أرادت الخروج من البصرة بعث إليها بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وأذن لمن نجا من الجيش أن يرجع إلا أن يحب المقام، وأرسل معها أربعين امرأة وسير معها أخاها محمداً. ولما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي عليه السلام فوقف على الباب في الهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت: «يا بني لا يغتب بعضكم بعضاً، إنه ما كان بيني وبين علي بن أبي طالب عليه السلام في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه لمن الأخيار». فقال علي عليه السلام: «صدقت، والله ما كان بيني وبينها إلا ذلك،

وإنها زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة»^(١) وسار معها مودعاً آميلاً. وكانت رضي الله تعالى عنها بعد ذلك إذا ذكرت ما وقع تبكي حتى تبل خمارها. ففي هذه المعاملة من أمير المؤمنين عليه السلام دليل على خلاف ما يزعمه مبغضوها من كفرها وفي ندمها وبكائها على ما كان دليل على أنها لم تذهب إلى رها إلا وهي نقية من غبار المعركة، على أن في كلامها ما يدل على أنها كانت حسنة النية في ذلك. وقال غير واحد: إنها اجتهدت ولكنها أخطأت في الاجتهاد ولا إثم على المجتهد المخطئ بل له أجر على اجتجاهه^(٢). وأما طلحة والزبير فلم يموتا إلا على بيعة الإمام عليه السلام. فقد روى الحكم عن ثور بن مجزاة أنه قال: «مررت بطلحة يوم الجمل في آخر رمق فقال لي: من أنت؟ قلت: من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال: أبسط يدك أبياعك، فبسطت يدي فبايعني وقال: هذه بيعة علي، وفاضت نفسه. فأتيت علياً عليه السلام فأخبرته فقال: الله أكبر صدق الله تعالى ورسوله ﷺ أبى الله سبحانه أن يدخل طلحة الجنة إلا وبيعتي في عنقه». وأما الزبير عليه السلام فقد ناداه علي عليه السلام وخلا به وذكره قول النبي ﷺ له: (لتقاتلن علياً وأنت له ظالم، فقال: لقد ذكرتني شيئاً أنسانيه الدهر، لا جرم لا أقاتلك أبداً)^(٣)، فخرج من العسكرين نادماً وقتل بوادي السباع مظلوماً قتله عمرو بن جرموز. وقد ثبت عند الفريقين أنه جاء بسيفه واستاذن علي عليه السلام فلم ياذن له، فقال: أنا قاتل الزبير، فقال: أبقتل ابن صفية تفتخر؟ سمعت رسول

(١) انظر: تاريخ الطبري ٦١/٣.

(٢) إنما أحتهدت وأصاب، لأنها أرادت الإصلاح والتعاون مع أمير المؤمنين علي عليه السلام إقامة حدود الله في القتل المجرمين. والدماء التي سفكت في وقعة الجمل كانت جريمة أخرى من جرائم قتلة عثمان لا يلحق منها شيء بعلي ولا بعائشة ومن معها، ولو توفقوا إلى إقامة الحدود على قتلة عثمان، لتغيرت الحوادث بعد ذلك، ولما وجدت الخوارج وغيرهم، ولما قتل علي عليه السلام. ولكن لله في كل شيء حكمه قد يطلعنا عليها وقد تحفى عنا.

(٣) انظر: مستدرک الحاكم ٤١٣/٣، الاستيعاب لابن عبد البر ٥١٥/٨، تاريخ الطبري ٣٧/٣.

الله ﷺ يقول: (بشر قاتل ابن صفية بالنار)^(١). وروى أيضاً أن الأمير ﷺ قال لما جاءه عمر بن طلحة بعد موت أبيه: «مرحباً بابن أخي، إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والوزير من الذين قال الله تعالى فيهم: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ [الحجر: ٤٧]»^(٢) وهذا ونحوه يدل على أنهما رضي الله تعالى عنهما لم يذهبا إلا طاهرين متطهرين.

وأما تلخيص الواقعة الثانية فقد ذكر المؤرخون أن معاوية كان قد استنصر ابنا عثمان ﷺ ووكلاه في طلب حقهما من قتلة أبيهما، فلما بلغه فراغ علي ﷺ من وقعة الجمل ومسيره إلى الشام خرج عن دمشق حتى ورد صفين، فلما ورد علي ﷺ دعاهم إلى البيعة فلم يفعلوا، وطلبوا منه قتلة عثمان وكثر القيل والقال حتى اتهم بنو أمية علياً ﷺ بأنه الذي دلس على قتلة عثمان. وكان علي ﷺ يبرأ من القتلة ويقول: «يا معاوية، لو نظرت بعين عقلك دون عين هواك لرأيتني أبرأ الناس من قتلة عثمان». ثم إنه قد وقع الحرب بينهم مراراً. وأهل السنة إلا من شذ يقولون: إن علياً ﷺ في كل ذلك على الحق لم يفترق عنه قيد شبر، وعن مقاتليه في الوقعتين مخطئون باغون وليسوا بكافرين خلافاً لغيرهم، ولا فاسقين خلافاً للعمرية أصحاب عمر بن عبيد من المعتزلة.

وأما أن الحق مع علي ﷺ فغني عن البيان، وأما كون المقاتل باغياً فلأن الخروج على الإمام الحق بغياً، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية)^(٣)، وقد قتله عسكر معاوية. وأما كونه ليس بكافر فلما في نهج البلاغة أن علياً ﷺ خطب يوماً فقال:

(١) رواه أحمد برقم ٦٨١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٣/٣.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٤٧.

«أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والإعوجاج والشبهة»^(١)، وقوله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [الحجرات : ٩] فسمى الله تعالى الطائفتين المقتتلين (مؤمنين) وأمر بالإصلاح بينهما. ومما يدل على أن المحارب غير كافر صلح الحسن عليه السلام مع معاوية. وبعد هذا كله قد ثبت عند الجميع أن معاوية ندم على ما كان منه في المقاتلة والبغي على الأمير عليه السلام واتفق أن بكى عليه.

شبهة القول أن الصحابة شهدوا على أنفسهم بتغيير سنة النبي ﷺ:

وإستدلوا بأثر عن أبي سعيد الخدري قال: (كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس، والناس جلوس على صفوفهم، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بحثاً قطعه، أو يأمر بشيء أمر به، ثم ينصرف، قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجبذت بثوبه فجبذني، فارتفع فخطب قبل أن يصلي، فقلت له: غيرتم والله، فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة^(١). وقالوا: أن الأمويين وأغلبهم من صحابة النبي ﷺ بزعمهم، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان كان يحمل الناس ويجبرهم على سب علي بن أبي طالب ولعنه من فوق المنابر، وقد أخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل علي بن أبي طالب مثل ذلك، وأمر معاوية عماله في كل الأمصار باتخاذ ذلك اللعن سنة يقولها الخطباء على المنابر..).

من ردود العلماء على هذه الشبهة:

■ أثر أبي سعيد الخدري رحمته الله على ما زعموا من تغيير الصحابة للسنة من أعجب العجب، فليس فيه ما يدل على زعمهم، بل فيه دلالة على قيام الصحابة بأمر السنة وإنكارهم على من خالفها، وهذا يتمثل في إنكار الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رحمته الله على مروان في تقديمه الخطبة على صلاة العيد. ومروان بن الحكم ليس من

الصحابة، ولم تثبت له صحبة، فقد توفي النبي ﷺ وهو صغير وكان في الطائف. وعلى هذا فلا يُحمَل الصحابة فعل مروان، فكيف وقد أنكره من حضره من الصحابة وهو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

■ تقديم مروان للخطبة على صلاة العيد، وإن كان خطأ إلا أن العلماء ذكروا أنه إنما فعله مجتهداً.

■ القول بأن الأمويين وأغلبهم من الصحابة... ألخ، فغير صحيح فلم يتولى منهم سوى معاوية، أما عثمان رضي الله عنه فإن خلافته كانت في عهد الخلفاء الراشدين. وأما قولهم: إن معاوية كان يحمل الناس على سب علي ولعنه فوق المنابر، وهذه دعوى تحتاج إلى صحة النقل. ومعاوية منزّه عن مثل هذه التهم، بما ثبت من فضله في الدين، فقد كان كاتب الوحي لرسول الله ﷺ. ومن أبعد المحال على من كانت هذه سيرته، أن يحمل الناس على لعن عليا على المنابر وهو من هو في الفضل.

■ ما استدُل به على تلك الفرية بما عزوه إلى صحيح مسلم فليس فيه ما يدل على زعمهم، وهم بهذا إنما يشيرون إلى حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: (أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم..)^(١) الحديث. قال النووي رحمته الله: (قول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب. كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً، أو خوفاً، أو غير ذلك، فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعد قد كان في طائفة يسبون فلم

يسبب معهم، وعجز عن الإنكار، أو أنكر عليهم، فسأله هذا السؤال^(١). وقال القرطبي رحمه الله: قوله لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ وهذا ليس بتصريح بالسب، وإنما هو سؤال عن سبب امتناعه ليستخرج من عنده من ذلك، أو من نقيضه، كما قد ظهر من جوابه، ولما سمع ذلك معاوية سكت وأذعن، وعرف الحق لمستحقه^(٢). فحاشا معاوية أن يصدر منه مثل ذلك

■ معاوية كان معظماً لأمر المؤمنين علي عليه السلام، معترفاً له بالفضل والسبق إلى الإسلام، كما دلت على ذلك أقواله الثابتة عنه. قال ابن كثير رحمه الله: أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له: هل تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني^(٣). ونقل ابن كثير أنه لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدري ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم^(٤). فهل يسوغ في عقل ودين أن يسبب معاوية علياً بل ويحمل الناس على سبه وهو يعتقد فيه هذا!!.

■ لا يعرف بنقل صحيح أن معاوية تعرض لعلي بسبب أو شتم أثناء حربه له في حياته، فهل من المعقول أن يسببه بعد انتهاء حربه معه ووفاته. ثم أن معاوية انفرد بالخلافة بعد تنازل الحسن بن علي له واجتمعت عليه الكلمة والقلوب ودانت له الأمصار بالملك، فأبي نفع له في سب علي^(٥)؟

(١) شرح صحيح مسلم ١٥/١٧٥.

(٢) المفهم للقرطبي ٦/٢٧٨.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٨/١٣٢.

(٤) المصدر نفسه ٨/١٣٣.

(٥) راجع الدولة الأموية، للدكتور علي الصلابي.

شبهة أن الصحابة ~~هشع~~ غيروا في الصلاة:

ومن الشبهات قولهم بأن الصحابة غيروا في الصلاة. يقول أحدهم: (قال أنس بن مالك: ما عرفت شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ قيل الصلاة، قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها. وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيعت. وأن أول من غير سنة الرسول في الصلاة هو خليفة المسلمين عثمان بن عفان وكذلك أم المؤمنين عائشة، فقد أخرج الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما: (أن رسول الله ﷺ صلى بمنى ركعتين وأبو بكر بعده وعمر بعد أبي بكر وعثمان صدراً من خلافته ثم أن عثمان صلى بعد أربعاً). كما أخرج مسلم في صحيحه قال الزهري: قلت لعروة: (ما بال عائشة تتم الصلاة في السفر؟ قال أنها تأولت كما تأول عثمان)).

ردود العلماء:

■ هناك خلط بين حديثين في هذه الشبهة، حيث جعلتا حديثاً واحداً، فالحديث الأول رواه مهدي عن غيلان عن أنس قال: (ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ قيل: الصلاة، قال: أليس صنعتُم ما صنعتُم فيها)^(١). والحديث الثاني عن عثمان بن أبي رواد أخي عبد العزيز قال: سمعت الزهري يقول: (دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت)^(٢). أما بالنسبة لحديث أنس بن مالك الأول فإنه

(١) رواه البخاري برقم ٥٢٩.

(٢) رواه البخاري برقم ٥٣٠.

قصد من قوله: (أليس صنعتم ما صنعتم فيها) أنهم يؤخرونها حتى يخرج وقتها، وقد كان هذا في زمن الحجاج وليس زمن الصحابة رضي الله عنهم.

■ أما حديث أنس الآخر الذي رواه الزهري فكان في إمارة الحجاج على العراق أيضاً، وقد قدم أنس دمشق لكي يشكوا الحجاج للخليفة وهو إذ ذاك الوليد بن عبد الملك، أما المراد بقول أنس: «لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيعت» أي بتأخيرها عن وقتها، فقد صح أن الحجاج وأميره الوليد وغيرهما كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها لما رواه عبد الرزاق عن أبي جريح عن عطاء قال: «آخر الوليد الجمعة حتى أمسى، فجئت وصليت الظهر قبل أن أجلس ثم صليت العصر وأنا جالس إيماء وهو يخطب». وما رواه أبو نعيم شيخ البخاري في كتاب الصلاة من طريق أبي بكر بن عتبة قال: «صليت إلى جنب أبي جحيفة فمسى الحجاج بالصلاة فقام أبو جحيفة فصلى، ومن طريق ابن عمر أنه كان يصلي مع الحجاج فلما آخر الصلاة ترك أن يشهدا معه».

■ إطلاق أنس لا يفهم منه أن هذا موجوداً في جميع بلاد الإسلام بل هو محمول على ما شاهده من أمراء الشام والبصرة خاصة، وإلا فإنه قدم المدينة فقال: «ما أنكرت شيئاً إلا أنكم لا تقيمون الصفوف»^(١)، والسبب فيه أنه قدم المدينة وعمر بن عبد العزيز أميرها حينئذ.

■ أما قوله عن عثمان وعائشة في أنها غيرا في الصلاة فأقول: الصلاة المقصودة هنا هي في باب السفر هل تقصر أم تتم، وهذا الأمر فيه خلاف بين أهل العلم لمن له أدنى إلمام بالفقه، وقد روي الخلاف بين الصحابة أيضاً في ذلك. ومن هنا نعلم أن القصر

في السفر هو رخصة من الله، والإنسان مخير بين الأخذ به أو تركه كسائر الرخص،
فالصحابة لم يغيروا في الصلاة، فجعلوا الصبح أربعاً! أو قصرُوا صلاة المغرب
فجعلوها ركعة!!؟

شبهة أن الصحابة يشهدون على أنفسهم بعدم امتثال أمر النبي ﷺ:

ومن ذلك إستشهادهم بما روي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال للأنصار: (إنكم سترون بعدي أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض. قال أنس: فلم نصبر). وعن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنه فقلت: (طوبى لك صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده)^(١). وإذا كان هذا الصحابي من السابقين الأولين الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة، ورضي عنهم وعلم ما في قلوبهم فأتابهم فتحاً قريباً، يشهد على نفسه وعلى أصحابه بأنهم أحدثوا بعد النبي، وهذه الشهادة هي مصداق ما أخبر به رضي الله عنه وتنبأ به من أنّ أصحابه سيحدثون بعده ويرتدون على أدبارهم فهل يمكن لعاقل بعد هذا أن يصدق بعدالة الصحابة كلهم أجمعين على ما يقول به أهل السنة والجماعة؟

ردود العلماء:

■ الذي ورد عن الزهري أنه قال: أخبرني أنس بن مالك أن (أناساً من الأنصار قالوا لرسول الله ﷺ، حين أفاء الله على رسوله رضي الله عنه من أموال هوازن ما أفاء، فطفق يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ، يعطي قريشاً ويدعنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم. قال أنس: فحدث رسول الله ﷺ بمقاتلتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم، ولم يدع معهم أحداً غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: ما كان حديث بلغني عنكم. قال لهم فقهاؤهم: أمّا ذوو آرائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأمّا أناسٌ منّا حديثاً أسنانهم،

فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ، يعطي قريشاً، ويترك الأنصار، وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال رسول الله ﷺ: إني أعطي رجالاً حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعوا إلى رحالكم برسول الله ﷺ، فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به. قالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم: إنكم سترون بعدى أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله تعالى ورسوله على الحوض. قال أنس: فلم نصبر^(١). فهذا الحديث كما هو ظاهر من فضائل الأنصار ويظهر حب رسول الله ﷺ للأنصار. وقول أنس: (فلم نصبر) لا يعدو أن يكون رأيه هو فلا يقبل أن يجعل حجة على جميع الصحابة ولعله أخطأ في قوله، لذلك لم يلتفت لهذه الزيادة أي من سراح الحديث.

- لا يجوز شرعاً وعقلاً أن يحمل قول واحد من الصحابة لا يفهم منه القدر أصلاً لترد به آيات محكمة وكثيرة في مدح الصحابة عموماً ومدح الأنصار خاصة.
- قول الرسول ﷺ في الحديث: (... فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ على الحوض) لا يفهم منه أنهم إن لم يصبروا فلن يلقوا الله ورسوله ﷺ على الحوض؟! و(حتى) بمنزلة (إلى) ولم يستخدم أداة الشرط فيقول: (إن) صبرتم ستلقوني على الحوض حتى يكون مطعنا.
- لعل أنس ذكر ذلك بسبب موقف قومه من الخلافة ومحاوله منازعتهم للمهاجرين في بداية الأمر، ولعل الذي يؤكد ذلك ما رواه أنس عن أسيد بن حضير أن رجلاً من الأنصار خلا برسول الله ﷺ فقال: (ألا تستعملني كما استعملت فلاناً؟ فقال: إنكم

ستلقون بعدي أثره. فاصبروا حتى تلقوني على الحوض^(١) خصوصاً إذا عرفنا أن (الأثره) هي: الاستثارة والاختصاص بأمور الدنيا.

■ قول البراء بن عازب رضي الله عنه: «إنك لا تدري ما أحدثنا بعده» يشير إلى ما وقع لهم من الحروب وغيرها، فخاف غائلة ذلك، وذلك من كمال فضله. ومن المعلوم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أحد المشاركين في هذه الحروب، فلا بد أن يشمله الخطاب على حد فهم هذا الطاعن، فيكون ممن أحدث بعد النبي ﷺ، ولكن الحق الذي يجب أن يقال: إن هذين الحديثين لا يمكن أن يردّا مجموع الأدلة القرآنية والحديثية في مدح الصحابة والرضا عنهم من الله سبحانه ورسوله ﷺ، ووقوعهم في الأخطاء لا ينفي فضلهم وطهارتهم الظاهرة والباطنة.

(١) رواه البخاري برقم ٣٧٩٢، ومسلم برقم ١٨٤٥.

شبهة أن اختلاف الصحابة هو الذي حرم الأمة العصمة وأدى إلى تفرقها وتمزقها قال احدهم : والمشكل الأساسي في كل ذلك هو الصحابة، فهم الذين اختلفوا في أن يكتب لهم رسول الله ﷺ ذلك الكتاب، الذي يعصمهم من الضلالة إلى قيام الساعة، واختلافهم هذا هو الذي حرم الأمة الإسلامية من هذه الفضيلة، ورمها في الضلالة، حتى انقسمت وتفرقت وتنازعت وفشلت وذهبت ريجها، وهم الذين اختلفوا في الخلافة، فتوزعوا بين حزب حاكم، وحزب معارض، وسبب ذلك تحلف الأمة، وانقسامها إلى: شيعة علي، وشيعة معاوية، وهم الذين اختلفوا في تفسير كتاب الله، وأحاديث رسوله ﷺ فكانت المذاهب والفرق والملل والنحل، ونشأت من ذلك المدارس الكلامية والفكرية المختلفة، وبرزت فلسفات متنوعة أملت لها دوافع سياسية محضة، تتصل بطموحات الهيمنة على السلطة والحكم. فالمسلمون لم ينقسموا ولم يختلفوا في شيء لولا الصحابة، وكل خلاف نشأ وينشأ إنما يعود إلى اختلافهم في الصحابة).

الرد:

- يشير هذا الطاعن إلى ما رواه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه، قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا، وكثر اللغط، قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع)^(١). وقد ذكرنا الرد على هذه الشبهة في هذا الكتاب.
- أما الزعم أن اختلافهم هذا هو الذي حرم الأمة الإسلامية من العصمة ورمها في الضلالة والتفرق إلى قيام الساعة، فالجواب على هذا أن يقال: إن هذا القول باطل، وهو يعني أن الرسول ﷺ قد ترك تبليغ أمته ما فيه عصمتها من الضلال، ولم يبلغ

شرع ربه لمجرد اختلاف أصحابه عنده حتى مات على ذلك، وأنه بهذا مخالف لأمر ربه في قوله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [المائدة : ٦٧]. فالرسول الكريم قد بلغ كل ما أمر به، ولا يسوغ في دين ولا عقل أن يؤخر رسول الله ﷺ كتابته إلى ذلك الوقت الضيق، ولو أخره ما كان ليتركه لمجرد اختلاف أصحابه عنده^(١). قد ثبت من سيرته أنه لربما راجعوه أحياناً في بعض المسائل مجتهدين، فما كان يترك أمر ربه لقولهم، كمراجعة بعضهم له في فسح الحج إلى عمرة في حق من لم يسق الهدى، وذلك في حجة الوداع، وكذلك مراجعة بعضهم له يوم الحديبية، وفي تأمير أسامة رضي الله عنه، فهل يتصور بعد هذا أن يترك أمر ربه فيما هو أعظم من هذا لخلافهم، ولو قدر أنه تركه في ذلك الوقت لتنازعهم عنده لمصلحة رآها فما الذي يمنعه من أنه يكتبه بعد ذلك، وقد ثبت أنه عاش بعد ذلك عدة أيام فقد كانت وفاته رضي الله عنه يوم الإثنين على ما جاء مصرحاً به في رواية أنس في الصحيحين^(٢) وحادثة الكتاب يوم الخميس بالاتفاق. والقول بأنه خشي أن لا يقبلوه منه، ويعارضوه فيه، كما تنازعوا عنده أول مرة، قلنا: لا يضره ذلك وإنما عليه البلاغ كما قال تعالى: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً [النساء : ٨٠]. فإذا ثبت هذا باتفاق المسلمين، أن رسول الله ﷺ لم يكتب ذلك الكتاب حتى مات، علمنا أنه ليس من الدين الذي أمر بتبليغه.

■ أما القول : (وهم الذين اختلفوا في الخلافة فتوزعوا بين حزب حاكم وحزب معارض، وسبب ذلك تخلف الأمة وانقسامها إلى شيعة علي وشيعة معاوية..).

(١) ذكر هذا الوجه من الردّ الدهلوي. انظر: مختصر النحلة الاثني عشرية، ٢٥١.

(٢) انظر: صحيح البخاري برقم ٤٤٤٨، وصحيح مسلم برقم ٤١٩.

فجوابه: أن الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في عهد علي رضي الله عنه لم يكن في الخلافه، بل في المطالبة بدم عثمان.

■ وأما قوله: (وهم الذين اختلفوا في تفسير كتاب الله، وأحاديث رسول الله ﷺ، فكانت المذاهب والفرق، والملل والنحل، ونشأت من ذلك المدارس الكلامية والفكرية المختلفة وبرزت فلسفات متنوعة.... إلى أن قال: فالمسلمون لم ينقسموا، ولم يختلفوا في شيء لولا الصحابة، وكل خلاف نشأ وينشأ إنما يعود إلى اختلافهم في الصحابة). فجوابه: أن هذا من أكبر التليس والتمويه، والطعن على أصحاب النبي ﷺ بما هم منه برآء، فما ينقل عن الصحابة من اختلاف في التفسير، وفي فهم بعض الأحاديث، لم يترتب عليه ما ذكر من نشأة الفرق والمدارس الكلامية والفلسفات المتنوعة. وذلك أن الاختلاف ينقسم إلى قسمين: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد^(١)، وغالب ما ينقل عن الصحابة في تفسير بعض الآيات، من باب اختلاف التنوع. أما اختلاف التضاد فما يثبت عنهم من ذلك سواء في التفسير، أو في الأحكام، فقليل وهو ليس في الأصول العامة المشهورة في الدين، وإنما في بعض المسائل الدقيقة التي هي محل اجتهاد ونظر. وإذا ثبت هذا فاعلم أن هذه الفرق المبتدعة على كثرتها واختلاف مشاربها لا ترجع بحمد الله في أصل نشأتها لأحد من الصحابة، ولا تستند في بدعها لقول واحد منهم وإن كان بعض هذه الفرق تدعي الانتساب لبعضهم. وفي الحقيقة إن عامة هذه الفرق المبتدعة، إنما أحدثها أول من أحدثها، إما كفار أصليون أو منافقون ظاهرو النفاق في الأمة.

شبهة أن الصحابة كانوا يجتهدون مقابل النصوص

ومن هذه الشبهات القول أن الصحابة كانوا يجتهدون مقابل النصوص، وأن أول من فتح هذا الباب عمر رضي الله عنه. حيث قال أحدهم: (استنتجت من خلال البحث أن مصيبة الأمة الإسلامية انجرت عليها من الاجتهاد الذي دأب عليه الصحابة مقابل النصوص الصريحة، فاخترت بذلك حدود الله، ومحقت السنة النبوية، وأصبح العلماء والأئمة بعد الصحابة يقيسون على اجتهادات الصحابة، ويرفضون بعض الأحيان النص النبوي، إذا تعارض مع ما فعله الصحابة... ومن أول الصحابة الذين فتحوا هذا الباب على مصراعيه هو الخليفة الثاني، الذي استعمل رأيه مقابل النصوص القرآنية بعد وفاة الرسول ﷺ، فعطل سهم المؤلفة قلوبهم، الذين فرض الله لهم سهماً من الزكاة، وقال: لا حاجة لنا فيكم).

ردود العلماء على هذه الشبهة:

- أن هذه دعوى مجردة عن الحجة والدليل، لا قيمة لها عند أهل النظر والتحقيق، إذ الطاعن لم يقدم عليها دليلاً واحداً، يدل على ثبوت ما ادعاه.
- الطعن في عمر بهذا قدح في النبي ﷺ الذي أوصى الأمة باتباع سنته، وسنة الخلفاء الراشدين، وقد كان عمر منهم، وذلك في قوله كما في حديث العرباض بن سارية (... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)^(١). وكذلك أمره بالافتداء بأبي بكر وعمر كما في حديث حذيفة رضي الله عنه أنه قال: (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)^(٢). فإذا كان عمر على ما يدعي هذا

(١) رواه أحمد برقم ١٧١٨٢، والترمذي برقم ٢٦٧٦، وابن ماجه برقم ٤٢.

(٢) رواه أحمد برقم ٢٣٢٩٣، والترمذي برقم ٣٦٦٢.

الطاعن من العمل بالرأي، واطراح السنة، وأنه أول من غير وبدل، لزم من هذا أن يكون النبي ﷺ غاشياً لأمتة غير ناصح لها بأمره باتباع سنة عمر والاقتداء به. ولو كان حال عمر خفي على النبي ﷺ، أفكان يخفي على رب العالمين!! فلما جاء الأمر بالاقتداء بعمر ممن لا ينطق عن الهوى، علمنا أن عمر كان على الحق والهدى.

■ عمر رضي الله عنه شهد له الصحابة الذين لا يخافون في الله لومة لائم، أنه كان يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما كان عليه أبو بكر في خلافته، فقد روى ابن أبي شيبة في خبر مقتل عمر وفيه أن الصحابة اجتمعوا إلى عمر بعد طعنه فقالوا له: «جزاك الله خيراً قد كنت تعمل فينا بكتاب الله، وتتبع سنة صاحبك لا تعدل عنها إلى غيرها، جزاك الله أحسن الجزاء..»^(١). ولهذا كان علي بن أبي طالب يغبطه على ما كان عليه من الخير، وتمنى لو لقي الله بمثل عمله.

■ القول أن عمر عطل سهم المؤلفة قلوبهم جهل بالشرع ومقاصده، وذلك أن سهم المؤلفة قلوبهم فرض في الشرع تألفاً لبعض الناس من سادات الناس وكبرائهم على الإسلام وللحاجة إليهم، فلما قوي الإسلام وكثر أتباعه اجتمع رأي الصحابة رضي الله عنهم على عدم إعطاء المؤلفة قلوبهم شيئاً، لعدم الحاجة إليهم، ولزوال السبب الذي كانوا يعطون من أجله. حتى قال ابن قدامة رحمته الله: (لم ينقل عن عمر، ولا عثمان، ولا علي، أنهم أعطوهم شيئاً)^(٢). وهذا يدل على اتفاق الصحابة على هذا.

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٤٤٠/٧.

(٢) المغني ٣١٦/٩.

شبهات حول الصديق عليه السلام

شبهة آية الغار:

قولهم أن قوله تعالى: إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [التوبة: ٤٠] لا يدل على إيمان أبي بكر، فإن الصحبة قد تكون من المؤمن والكافر كما قال تعالى: قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا [الكهف: ٣٧]:

ردود العلماء

■ معلوم أن لفظ الصاحب في اللغة يتناول من صحب غيره كالرفيق في السفر والزوجة، وليس فيه دلالة بمجرد هذا اللفظ على أنه وليه أو عدوه أو مؤمن أو كافر إلا لما يقترن به. وهذا بخلاف إضافة الصحبة إليه كقوله تعالى: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة: ٤٠] وقول النبي ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)^(١) وقوله: (هل أنتم تاركولي صاحبي)^(٢) وأمثال ذلك. فإن إضافة الصحبة إليه في خطابه وخطاب المسلمين تتضمن صحبة موالاته له، وذلك لا يكون إلا بالإيمان به فلا يطلق لفظ صاحبه على من صحبه في سفره وهو كافر به. والقرآن يقول فيه: إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٣٦٦١.

مَعَنَا [التوبة: ٤٠] فأخبر الرسول أن الله معه ومع صاحبه، وهذا المعية تتضمن النصر والتأييد وهو إنما ينصره على عدوه وكل كافر عدوه، فيمتنع أن يكون الله مؤيداً له ولعدوه معاً ولو كان مع عدوه لكان ذلك مما يوجب الحزن ويزيل السكينة فعلم أن لفظ صاحبه تضمن صحبة ولاية ومحبة وتستلزم الإيمان له وبه، وأيضاً فقوله: لَا تَحْزَنْ دليلاً على أنه وليه وأنه حزن خوفاً من عدوهما فقال له: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ولو كان عدوه لكان لم يحزن إلا حيث يتمكن من قهره فلا يقال له: لا تحزن إن الله معنا لأن كون الله مع نبيه مما يسر النبي، وكونه مع عدوه مما يسوءه فيمتنع أن يجمع بينهما لا سيما مع قوله: * وَوُثِّقَ قَوْلُهُ: اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ [التوبة: ٤٠]، ونصره لا يكون بأن يقترن به عدوه وحده وإنما يكون باقتران وليه ونجاته من عدوه.

■ قوله: ثَانِيَ اثْنَيْنِ حال من الضمير في أخرجه، أي: أخرجه في حال كونه نبياً ثاني اثنين فهو موصوف بأنه أحد الاثنين فيكون الاثنان مخرجين جميعاً، فإنه يمتنع أن يخرج ثاني اثنين إلا مع الآخر فإنه لو أخرج دونه لم يكن قد أخرج ثاني اثنين فدل على أن الكفار أخرجه ثاني اثنين، فأخرجوه مصاحباً لقرينه في حال كونه معه فلزم أن يكونوا أخرجهما وذلك هو الواقع فإن الكفار أخرجوا المهاجرين كلهم كما قال تعالى: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [الحشر: ٨] وقال تعالى: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ [الحج: ٤٠] وقال: إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ [الممتحنة: ٩]. وذلك أنهم منعوهم أن يقيموا بمكة مع الإيمان

وهم لا يمكنهم ترك الإيمان فقد أخرجوهم إذا كانوا مؤمنين، وهذا يدل على أن الكفار أخرجوا صاحبه كما أخرجوه، والكفار إنما أخرجوا أعداءهم لا من كان كافراً منهم. فهذا يدل على أن صحبته صحبة موالاة وموافقة على الإيمان لا صحبة مع الكفر.

■ وإذا قيل: هذا يدل على أنه كان مظهرًا للموافقة وقد كان يظهر الموافقة له من كان في الباطن منافقاً وقد يدخلون في لفظ الأصحاب في مثل قوله لما استؤذن في قتل بعض المنافقين قال: (لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)^(١). دل على أن هذا اللفظ قد كان الناس يدخلون فيه من هو منافق. قيل: قد ذكرنا فيما تقدم أن المهاجرين لم يكن فيهم منافق، وينبغي أن يعرف أن المنافقين كانوا قليلين بالنسبة إلى المؤمنين وأكثرهم انكشف حاله لما نزل فيهم القرآن وغير ذلك وإن كان النبي ﷺ لا يعرف كلاً منهم بعينه فالذين باشروا ذلك كانوا يعرفونه، والعلم يكون الرجل مؤمناً في الباطن أو يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً أمر لا يخفى مع طول المباشرة، فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفتلات لسانه. وقال تعالى: وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكُمُ مَا لَعَنَّا لَهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ [محمد: ٣٠]. فالمضمّر للكفر لا بد أن يعرف في لحن القول، وأما بالسيما فقد يعرف وقد لا يعرف، وقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ [الممتحنة: ١٠]. والصحابة المذكورون في الرواية عن النبي ﷺ والذين يعظمهم المسلمون على الدين كلهم كانوا مؤمنين به، ولم يعظم المسلمون والله الحمد على الدين منافقاً، والإيمان

يعلم من الرجل كما يعلم سائر أحوال قلبه من موالاته ومعاداته وفرحه وغضبه وجوعه وعطشه وغير ذلك فإن هذه الأمور لها لوازم ظاهرة، والأمور الظاهرة تستلزم أموراً باطنة، وهذا أمر يعرفه الناس فيمن جربوه وامتحنوه، ونحن نعلم بالاضطرار أن ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبا سعيد الخدري وجابراً أو نحوه كانوا مؤمنين بالرسول محبين له معظمين له ليسوا منافقين، فكيف لا يعلم ذلك في مثل الخلفاء الراشدين الذين أخبرهم وإيمانهم ومحبتهم ونصرهم لرسول الله ﷺ قد طبقت البلاد مشارقها ومغاربها. فهذا مما ينبغي أن يعرف، ولا يجعل وجود قوم منافقين موجباً للشك في إيمان هؤلاء الذين لهم في الأمة لسان صدق. قال أحمد رحمه الله: أن المهاجرين لم يكن فيهم منافق أصلاً؛ وذلك لأن المهاجرين إنما هاجروا باختيارهم لما آذاهم الكفار على الإيمان وهم بمكة لم يكن يؤمن أحدهم إلا باختياره بل مع احتمال الأذى فلم يكن أحد يحتاج أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر لا سيما إذا هاجر إلى دار يكون فيها سلطان الرسول عليه، ولكن لما ظهر الإسلام في قبائل الأنصار صار بعض من لم يؤمن بقلبه يحتاج إلى أن يظهر موافقة قومه؛ لأن المؤمنين صار لهم سلطان وعز ومنعة وصار معهم السيف يقتلون من كفر. وثانياً: عامة عقلاء بني آدم إذا عاشر أحدهم الآخر مدة يتبين له صداقته من عداوته، فالرسول يصحب أبا بكر بمكة بضع عشرة سنة ولا يتبين له هل هو صديقه أو عدوه وهو يجتمع معه في دار الخوف وهل هذا إلا قدح في الرسول.

■ وزعموا أيضاً أنه لم ينزل الله السكينة على أبي بكر وخص السكينة رسوله دون صاحبه، إذ قال تعالى: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ [التوبة: ٤٠] ولم يقل: عليهما، فلو كان له فضل لكانت هذه. والرد أن "عَلَيْهِ" تعود على الصديق فالرسول ﷺ لم تنزل

السكينة معه والسكينة كانت عليه. فعلمنا أنها نزلت على الذي يحتاج إليها وهو أبو بكر رضي الله عنه.

■ قالوا: أن الحزن هنا إما طاعة أو معصية، فإن كان طاعة لم يكن للنبي ﷺ أن يمنعه وإن كان معصية فستحق النهي فلا فضيلة له فيها. والجواب: لو كان حزن أبي بكر حزن معصية لنصحته الذي لا ينطق عن الهوى لأنه لا يقر المنكر ولما قال له: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة: ٤٠] ولقال: إِنَّ اللَّهَ مَعِيَ لأن الرسول ﷺ لا يقول بأن الله مع أعدائه أبداً قال تعالى: قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى [طه: ٤٦] ولم يدخل فرعون في معية الله لأنه من أعدائه.

شبهة أن الصديق رضي الله عنه لم يكن صاحب الغار وإنما رجل آخر كما قال بعض المعاصرين.
الجواب:

هذه بعض الروايات من طرق الإمامية في إثبات كون الصديق رضي الله عنه هو صاحب الغار، ففي إيرادها غنى عن تفنيد هذه الشبهة. قال ابن الكواء لأمر المؤمنين عليهم السلام: أين كنت حيث ذكر الله تعالى نبيه وأبا بكر فقال: كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة: ٤٠]؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ويلك يا ابن الكواء كنت على فراش رسول الله ﷺ»^(١). وقال المفيد: (أما خروج أبي بكر مع النبي ﷺ فغير مدفوع، وكونه في الغار معه غير مجحود، واستحقاق اسم الصحبة معروف)^(٢). يقول

(١) خصائص الأئمة للشريف الرضي، ٥٨، الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي ١، ص ٢١٥، حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني ١/١٦١، مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني ١/٤٦١، بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٣٣/١٩، ٤٣٠/٧٦، غاية المرام، السيد هاشم البحراني ٤/٢٣.

(٢) الإفصاح للمفيد، ١٨٥ - ١٨٦.

المجلسي في تفسير ثاني اثنين إذ هما في الغار يعني: أنه كان هو وأبو بكر في الغار ليس معها ثالث؟ وقوله: إذ يقول لصاحبه. أي إذ يقول الرسول ﷺ لأبي بكر^(١). ويقول الطبرسي: "ثاني اثنين" أحد اثنين كقوله: ثالث ثلاثة [المائدة: ٧٣]، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر^(٢). وهكذا قال سائر علماء الإمامية في تفسير هذه الآية^(٣).

مسألة فذك:

أرض فذك قرية في الحجاز كان يسكنها طائفة من اليهود، ولما فرغ الرسول عليه الصلاة والسلام من خير، قذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب، فصالحوا رسول الله ﷺ على فذك، فكانت ملكاً لرسول الله ﷺ لأنها مما لم يؤجف عليها بخيل ولا ركاب.

■ وأرض فذك هذه لا تخلو من أمرين: إما أنها إرث من النبي ﷺ لفاطمة رضوان الله عليها أو هي هبة وهبها رسول الله لها يوم خير لفاطمة. فأما كونها إرثاً فيبان ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من أنه بعد وفاة النبي ﷺ جاءت فاطمة رضوان الله عليها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تطلب منه إرثها من النبي ﷺ في فذك وسهم النبي ﷺ من خير وغيرهما. فقال أبو بكر الصديق: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٣٣/١٩.

(٢) تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي ٦٥/٢ - ٦٦.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي ٥٦/٥ - ٥٨، التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ٤٦٦ - ٤٦٧، تفسير الميزان، السيد الطباطبائي ٢٧٩/٩، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٥٧/٦ - ٥٨، اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي ١٢٩/١ - ١٣٧، معجم رجال الحديث، السيد الخوئي ٢٨٤/١٣ - ٢٨٥.

(إنّا لا نورّث، ما تركناه صدقة)^(١) وفي رواية عند أحمد (إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث)^(٢)، ولم ينفرد أبو بكر برواية هذا الحديث، بل أمهات المؤمنين وعلي والعباس وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد رضي الله عنهم. فوجدت فاطمة على أبي بكر بينما استدلت رضوان الله عليها بعموم قوله تعالى: **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ** [النساء: ١١]. لقد صح حديث (إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث) عند الفريقين السنة والشيعة، فقد روى الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: قال رسول الله ﷺ (... وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر)^(٣). قال عنه المجلسي: (حسن أو موثق لا يقصران عن الصحيح)^(٤)!! وقد استشهد بهذا الحديث الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية حيث قال: رجال الحديث كلهم ثقات^(٥).

■ وأما الاستدلال بقول الله تبارك وتعالى عن زكريا عليه السلام: **فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا** [مريم: ٥-٦] على جواز توريث الأنبياء لأبنائهم استدلال غريب وذلك لعدة أمور هي: أولاً: لا يليق برجل صالح أن يسأل الله تبارك وتعالى ولداً لكي يرث ماله فكيف نرضى أن ننسب ذلك لنبي كريم كزكريا عليه السلام في أن يسأل الله ولداً لكي يرث ماله، وإنما يسأل الصالحون ما ينتفعون به كالذرية الصالحة التي يرجون نفعها يوم القيامة، فأراد زكريا عليه السلام من الله عز وجل أن يهب له ولداً يحمل راية النبوة من بعده، ويرث مجد آل يعقوب العريق في

(١) رواه البخاري برقم ٣٧١٢، ومسلم برقم ١٧٥٧.

(٢) مسند أحمد برقم ٩٩٧٣.

(٣) الكافي ٣/١.

(٤) مرآة العقول ١/١١١.

(٥) الحكومة الإسلامية للخميني، ٩٣.

النبوة. ثانياً: المشهور أنّ زكريّا عليه السلام كان فقيراً يعمل نجاراً، فأبي مال كان عنده حتى يطلب من الله تبارك وتعالى أن يرزقه وارثاً، بل الأصل في أنبياء الله تبارك وتعالى أنهم لا يدخرون من المال فوق حاجتهم بل يتصدقون به في وجوه الخير. ثالثاً: إنّ لفظ (الإرث) ليس محصور الاستخدام في المال فحسب بل يستخدم في العلم والنبوة والملك وغير ذلك كما يقول الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا [فاطر: ٣٢] وقوله تعالى: أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [المؤمنون: ١٠-١١] فلا دلالة في الآية السابقة على إرث المال. رابعاً: حديث (إنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم) الذي ذكرناه آنفاً يتضمن نفي صريح لجواز إرث أموال الأنبياء، وهذا كاف بحد ذاته. وكذلك الحال في قوله تعالى: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ [النمل: ١٦] فإنّ سليمان عليه السلام لم يرث من داود عليه السلام المال، وإنما ورث النبوة والحكمة والعلم لأمرين اثنين: الأول: أنّ داود عليه السلام قد اشتهر أنّ له مائة زوجة وله ثلاثمائة سريّة أي أمة، وله كثير من الأولاد فكيف لا يرثه إلا سليمان عليه السلام؟! فتخصيص سليمان عليه السلام حينئذ بالذكر وحده ليس بسديد. الثاني: لو كان الأمر إرثاً مالياً لما كان لذكره فائدة في كتاب الله تبارك وتعالى، إذ أنّه من الطبيعي أنّ يرث الولد والده. وقد اعترف بهذا المعنى مفسرو الشيعة الاثني عشرية فصاحب التفسير المبين محمد جواد مغنية من كبار علمائهم المعاصرين يقول عند تفسير هذه الآية: الملك والنبوة^(١).

■ ثم أعلم أنّ المرأة لا ترث في مذهب الإمامية من العقار والأرض شيئاً، فقد بوّب الكليني باباً مستقلاً في الكافي بعنوان (إنّ النساء لا يرثن من العقار شيئاً) روى فيه

(١) التفسير المبين لمحمد جواد مغنية، ٤٩٦ سورة النمل.

عن أبي جعفر قوله: «النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئاً»^(١). ورووا عن ميسر قوله: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النساء ما لهن من الميراث؟ فقال: لهن قيمة الطوب والبناء والخشب والقصب فأما الأرض والعقار فلا ميراث لهن فيهما»^(٢). وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئاً»، وعن عبد الملك بن أعين عن أحدهما قال: «ليس للنساء من الدور والعقار شيئاً»^(٣).

■ فذك لو كانت إرثاً من النبي ﷺ لكان لنساء النبي ومنهن عائشة بنت أبي بكر وزينب وأم كلثوم بنات النبي حصة منها، لكن أبا بكر لم يعط ابنته عائشة ولا أحد من نساء النبي ولا بناته شيئاً استناداً للحديث، فلماذا لا يُذكر هؤلاء كطرف في قضية فذك؟!؟

■ إذا كانت فذك هبة وهدية من رسول الله ﷺ لفاطمة رضوان الله عليها كما يروي ذلك الكاشاني في تفسيره^(٤)، فهذا يتعارض مع نظرية العدل بين الأبناء التي نص عليها الإسلام. فكيف يهب ﷺ السيدة فاطمة فذك دون غيرها من بناته؟!؟ فكلنا يعرف أنّ خير كانت في السنة السابعة من الهجرة بينما توفيت زينب بنت رسول الله في الثامنة من الهجرة، وتوفيت أم كلثوم في التاسعة من الهجرة، فكيف يُتصور أن يُعطي رسول الله فاطمة رضوان الله عليها ويدع أم كلثوم وزينباً؟!؟ والثابت من الروايات أنّ فاطمة رضوان الله عليها لما طالبت أبا بكر بفذك كان طلبها ذاك على

(١) سبق تحريجه.

(٢) بحار الأنوار ٣٥١/١٠١، الانتصار للعالمى ٢٨٧/٧.

(٣) الكافي للكليني ١٢٩/٧، تهذيب الأحكام للطوسي ٢٩٩/٩.

(٤) تفسيره الصافي ١٨٦/٣.

اعتبار وراثتها لفدك لا على أنها هبة من رسول الله ﷺ. ولذا فإنّ فدك لم تكن لا إراثاً ولا هبة، وهذا ما كان يراه الإمام علي نفسه إذ أنه لما استُخلف على المسلمين لم يعط فدك لأولاده بعد وفاة أمهم فاطمة. يقول المرتضى (الملقب بعلم الهدى): إنّ الأمر لما وصل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كُلم في رد فدك، فقال: «إني لأستحيي من الله أن أرد شيئاً منع منه أبو بكر وأمضاه عمر»^(١).

■ وقد احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض مناظريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزي في تلبس إبليس قال: (وقد روينا عن السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل علي عليه السلام قال: أنا من أولاد علي، فقال: يا أمير المؤمنين أعديني على من ظلمني. قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي عليه السلام والذي ظلمني أبو بكر حين أخذ فدك من فاطمة، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عثمان، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب منه..)^(٢). وعن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما لو كنت مكان أبي بكر، لحكمت بما حكم به أبو بكر في فدك»^(٣). وعن الباقر عليه السلام أنه لما سئل: «أرأيت أبا بكر وعمر، هل ظلماكم من حقكم شيئاً - أو قال: ذهباً من حقكم بشيء؟ فقال: لا، والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، ما ظلما من حقنا مثقال حبه من خردل، قلت: جعلت فداك أفأتولاهما؟ قال: نعم

(١) الشافي في الإمامة ٤/٧٦.

(٢) تلبس إبليس، ١٣٥.

(٣) السنن الكبرى ١٢٥٢٤، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٥/٢٥٣.

ويحك! تولهما في الدنيا والآخرة، وما أصابك ففي عنقي، ثم قال: فعل الله بالمغيرة وبنان، فإنهما كذبا علينا أهل البيت^(١).

■ أن فاطمة عليها السلام قد رجعت عن قولها في المطالبة بإرث رسول الله صلى الله عليه وآله، كما نص على ذلك غير واحد من الأئمة الحديث والسير. قال القاضي عياض رحمته الله: (وفي ترك فاطمة منازعة أبي بكر بعد احتجاجه عليها بالحديث: التسليم للإجماع على القضية، وأنها لما بلغها الحديث وبين لها التأويل، تركت رأيها ثم لم يكن منها ولا من ذريتها بعد ذلك طلب ميراث، ثم ولي علي الخلافة فلم يعدل بها عما فعله أبو بكر، وعمر عليه السلام)^(٢). وقال القرطبي رحمته الله: (فأما طلب فاطمة ميراثها من أبيها من أبي بكر فكان ذلك قبل أن تسمع الحديث الذي دل على خصوصية النبي صلى الله عليه وآله بذلك، وكانت متمسكة بما في كتاب الله من ذلك، فلما أخبرها أبو بكر بالحديث توقفت عن ذلك ولم تعد إليه)^(٣). فظهر بهذا رجوع فاطمة عليها السلام إلى قول أبي بكر وما كان عليه عامة الصحابة، وأئمة أهل البيت من القول بعدم إرث رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا هو اللائق بمقامها في الدين والعلم. أما جملة (فهجرته فلم تكلمه) الواردة في الرواية، فقد بين الترمذي في سننه^(٤)، وعمر بن شبة في تاريخ المدينة^(٥)، أن المقصود هو أن فاطمة عليها السلام تركت تكليم الصديق عليه السلام في أمر الميراث.

■ أنه ثبت عن فاطمة عليها السلام أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي راضية عنه، يقول ابن الميثم البحراني وهو من كبار علماء الإمامية: «أن أبا بكر قال لها - أي

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٠/١٦، السقيفة وفدك للجوهري، ١١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٧٣/١٢.

(٣) المفهم ٥٦٣/٣.

(٤) جامع الترمذي برقم ١٦٠٩.

(٥) تاريخ المدينة ١٢٧/١.

فاطمة -: أن لك ما لأبيك، كان رسول الله ﷺ يأخذ من فذك قوتكم، ويقسم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله، ولك على الله أن أصنع بها كما كان يصنع، فرضيت بذلك وأخذت العهد عليه^(١). ومثل هذ الكلام ذكره الدنبلي في شرحه^(٢). وقال: إن أبا بكر كان يطبق ما وعد به فاطمة رضوان الله عليها.. حيث ذكروا: (إن أبا بكر كان يأخذ غلتها (أي فذك) فيدفع إليهم (أي أهل البيت) منها ما يكفيهم، ويقسم الباقي، فكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان علي كذلك)^(٣).

■ إرث النبي ﷺ لو كان يورث يرثه ثلاثة: فاطمة وأزواجه وعمه العباس. أما فاطمة فلها نصف ما ترك لأنها فرع وارث.. أنثى. وأزواج النبي ﷺ يشتركن في الثمن لوجود الفرع الوارث وهي فاطمة. والعباس عم النبي ﷺ يأخذ الباقي تعصيباً. فلماذا لم يأت العباس وأزواج النبي ﷺ ويطالبون بإرثهم من النبي ﷺ.

الطعن في أسانيد روايات صلاة أبي بكر الصديق في حياة النبي ﷺ

ومن الشبهات في حق الصديق عليه السلام الطعن في أسانيد روايات صلاته في الناس في حياة النبي ﷺ.

وإليك الرد:

(١) أحاديث أبي موسى الأشعري عليه السلام:

(١) شرح نهج البلاغة، لابن ميثم البحراني ج ٥، ١٠٧ ط طهران.

(٢) الدرّة النجفية، ٣٣١، ٣٣٢ ط. إيران.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤. شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ج ٥، ١٠٧ الدرّة النجفية،

٣٣٢ شرح النهج، فارسي علي نقی ج ٥، ٩٦٠ ط طهران .

البخاري: عن إسحاق بن نصر، عن حسين، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي بردة، عن أبي موسى. مسلم: عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن حسين بن علي، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي بردة، عن أبي موسى. الإمام أحمد: عبد الله، عن أبيه، عن حسين بن علي، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبي موسى.

قال في نقده لهذه الأسانيد ما يلي: (إنه مرسل، نص عليه ابن حجر وقال: يحتمل أن يكون تلقاه عن عائشة)، وأحال إلى مصدره وهو فتح الباري، ولكن لتلق نظرة على ما قاله ابن حجر عن هذا الإسناد، حيث قال: (قوله: عن أبيه عن عائشة كذا رواه جماعة عن مالك موصولاً وهو في أكثر نسخ الموطأ مرسلًا ليس فيه عائشة... والظاهر أن حديث أبي موسى من مراسيل الصحابة ويحتمل أن يكون تلقاه عن عائشة أو بلال)^(١). فهنا ذكر ابن حجر أن أكثر نسخ الموطأ ليس فيه ذكر لعائشة ل، ومن باب التنزل مع الخصوم: فحتى لو كان الحديث من مراسيل أبي موسى الأشعري؛ فإنه نقل إما عن عائشة، أو عن بلال رحمهما الله، ومع ذلك تذكر عائشة فقط لحاجة في نفس يعقوب، ومع ذلك كله، ومن باب التنازل مع الخصوم إلى آخر درجة؛ فحتى لو كان الحديث مرسلًا عن عائشة؛ فهذا ليس بقادح فيه على الإطلاق، لأن الصحابة كلهم عدول، فنقل بعضهم عن بعض دون التصريح ليس فيه حرج، وهذا كثير شائع. ثم قال في طعنه بأبي بردة رحمهما الله: (وهذا الرجل فاسق أثيم، له ضلع في قتل حجر بن عدي، حيث شهد عليه - في جماعة شهادة زور أدت إلى شهادته). وبالرجوع إلى تاريخ الطبري رحمهما الله نجد أن مدار هذه الروايات التي تطعن في أبي بردة رحمهما الله يدور على أبي مخنف يحيى بن لوط، وقد قال عنه يحيى بن معين: ليس بثقة،

(١) فتح الباري لابن حجر ٢/١٦٥.

وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال الدارقطني: أخباري ضعيف!!! فهنيئاً مريئاً له هذا الإسناد. وأما الخبر الثاني الذي ذكره فهو: (وروي أيضاً أنه قال لأبي الغادية - قاتل عمار بن ياسر رحمه الله - : أنت قتلت عمار بن ياسر؟ قال: نعم. قال: فناولني يدك. فقبلها وقال: لا تمسك النار أبداً!)، وقد أحال المرجع إلى شرح النهج لابن أبي الحديد الشيعي، وقد رواه ابن أبي الحديد الشيعي بإسناد منقطع عن عبد الرحمن المسعودي عن ابن عياش المتوفى^(١)، وابن عياش لم أجد له ترجمة، والمسعودي إن كان هو المؤرخ المشهور فهو ساقط في مقام الاحتجاج لتشيعه المغالي. وهذا الطاعن: يحتج بالمنقطع المبثور من الروايات، وبأبي مخنف لتضعيف أبي بردة الثقة الثبت، والذي قال فيه علماء الجرح والتعديل وصيارفة الحديث والنقل: (الإمام الفقيه الثبت... وكان من أئمة الاجتهاد... قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث. وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة)^(٢). ثم ذكر تضعيف عبد الملك بن عمير بقوله: (وهو مدلس ومضطرب الحديث جداً). فما ذكره عن هؤلاء الأعلام صحيح إلى حد كبير، وإن كان قد ابتلع تنمة كلام هؤلاء الأعلام، وهو أن عبد الملك بن عمير إنما تغير حفظه في آخر حياته، حيث عاش (١٠٣) سنين، ولا يستغرب أن يتغير حفظ من بلغ هذا العمر، ولكن هل معنى ذلك أن نرمي بجميع رواياته في البحر؟! بالطبع لا، وإنما يتم التفريق بين ما رواه كبار تلامذته، وما رواه صغارهم، وعلى هذا فروايات قدماء أصحابه عنه صحيحة موثقة، أما روايات الأصاغر عنه فلا، والراوي عن عبد الملك بن عمير هنا هو زائدة بن قدامة، وهو من كبار أتباع التابعين كما نص عليه ابن حجر في تهذيب التهذيب^(٣). إضافة إلى ما سبق؛ فكان من الأمانة العلمية والإنصاف ذكر

(١) شرح نهج البلاغة ٩٩/٤.

(٢) راجع الترجمة في سير أعلام النبلاء.

(٣) تهذيب التهذيب ٢٦٤/٣.

من وثّق عبد الملك بن عمير، وإليك ما قاله العلماء في عبد الملك بن عمير، فقد وثقه العجلي وابن معين والنسائي وابن نمير، وقال ابن مهدي: كان الثوري يعجب من حفظ عبد الملك، وقال أحمد بن حنبل: مضطرب الحديث تختلف عليه الحفاظ، وقال ابن البرقي عن ابن معين: ثقة إلا أنه أخطأ في حديث أو حديثين، وقال ابن حجر: احتج به الجماعة (أي أصحاب الكتب الستة)، وأخرج له الشيخان من رواية القدماء عنه في الاحتجاج، ومن رواية بعض المتأخرين عنه في المتابعات، وإنما عيب عليه أنه تغير حفظه لكبر سنه لأنه عاش مائة وثلاث سنين، ولم يذكره ابن عدي في الكامل، ولا ابن حبان... فواضح مما سبق أن التضعيف إنما كان لسوء حفظه في آخر حياته، أما رواية القدماء عنه (ومنهم زائدة بن قدامة) فهي مقبولة، وقائمة في مقام الاحتجاج.

فجميع الطرق الثلاث التي وردت عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه صحيحة.

(٢) أحاديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

البخاري: عن يحيى بن سليمان، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن حمزة بن عبد الله عن أبيه. مسلم: عن محمد بن رافع وعبد بن حميد - واللفظ لابن رافع - عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن حمزة عن عبد الله بن عمر عن عائشة. ذكر أن مدار الحديثين على رواية الزهري، واتهم الزهري بعدة اتهامات منها قوله: (محمد بن شهاب الزهري وهو رجل مجروح عند يحيى بن معين، وعبد الحق الدهلوي).

الإمام الزهري قد أطبق العلماء على رسوخه في الحديث، وعلى وثاقته، وعلى قوة حفظه التي تضرب بها الأمثال، وقد وثقه: عمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس، ويحيى بن معين!! ويحيى بن سعيد القطان، ومكحول، وقتادة، وأيوب، وعمر بن دينار، وأبو بكر

الهللي، ومعمّر، وعلي بن المديني، وأبو زرعة، وابن سعد، وأبو الزناد، وصالح بن كيسان، والليث، وعبد الرحمن بن إسحاق، والنسائي، وعراك بن مالك، وبقية علماء الإسلام، بل قال عنه ابن حجر رحمته الله في تقريب التهذيب: (الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه وثبته) ^(١)!! ولم يرد عن يحيى بن معين تضعيف له!!!! بل إن مجرد التفكير في الطعن فيه يعتبر خطيئة لا تغتفر!!! وإنما فضّل ابن معين الأعمش على الزهري، مع أن الزهري أحفظ من الأعمش، وهذا كل ما في الأمر.

(٣) أحاديث عبد الله بن زمعة رحمته الله:

أبو داود: عن عبد الله بن محمد النفيلي، عن محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الصمد بن الحرث بن هشام، عن أبيه عن عبد الله بن زمعة.

أبو داود: أحمد بن صالح، عن ابن أبي فديك، عن موسى بن يعقوب، عن عبد الله بن إسحاق، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن زمعة.

قال الطاعن: (وأما حديث عبد الله بن زمعة... فقد رواه أبو داود عنه بطريقتين، والمدار في كليهما على (الزهري) وقد عرفته)!! هكذا!! وكأن الزهري قد غدا أكبر الوضاعين!! وقد مر الكلان فيه.

(٤) أحاديث ابن عباس رحمتهما الله:

(١) تقريب التهذيب ٦٢٩٦.

ابن ماجه: عن علي بن محمد، عن وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأرقم بن شرحبيل، عن ابن عباس. الإمام أحمد: عن عبد الله عن أبيه، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه، عن أبي إسحاق عن الأرقم بن شرحبيل، عن ابن عباس. الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أرقم بن شرحبيل، عن ابن عباس.

مدار هذه الأسانيد الثلاثة على أبي إسحاق عن أرقم بن شرحبيل، فقال الطاعن: (قال بعض أهل العلم: كان قد اختلط، وإنما تركوه مع ابن عيينة لاختلاطه)، وأغفل ثناء العلماء عليه، وأنه صدوق حافظ، وأنه إنما كان الخطأ من صغار من رووا عنه لا منه، وأنه لم يختلط في آخر حياته، وإنما نسي مع كبره لتجاوزه المائة عام، وهذا كله مبثوث في كتب الرجال. ثم أن إسقاط الرواية بسبب سندها أمر غير مستساغ، لأن المتن قد روي من طرق أخرى صحيحة، وكفى بها في مقام الاحتجاج والاعتبار، وهذا الإسناد قد زاد من صحة الرواية، لأن أبا إسحاق السبيعي على تشيعه لم يكن من أهل الكذب، وغاية ما رمي به التدليس.

٥) رواية ابن مسعود رضي الله عنه:

النسائي: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم وهناد بن السري، عن حسين بن علي، عن زائدة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله.

وقع عاصم بن أبي النجود الكوفي رضي الله عنه في أسانيد الرواية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكان سيئ الحفظ، فلو انفرد برواية هذا الحديث لم يُتّابع عليه، ولكان الحديث ساقطاً، ولكنه لم ينفرد بروايته، حيث ورد متن الحديث من طرق أخرى صحيحة والله الحمد،

وهذا الاعتبار أيضاً غير مسقط لصحة الرواية بل عاصد لها، لأن عاصماً لم يكن كاذباً، وإنما غاية ما رمي به أنه كان سيء الحفظ .

(٦) حديث بريدة رضي الله عنه:

الإمام أحمد: عبد الله، أبيه، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن بريدة، عن أبيه.
قال الطاعن: (وأما حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أحمد بسنده عن ابن بريدة عن أبيه، فمع غصّ النظر عما قيل في رواية ابن بريدة - سواء كان (عبد الله) أو (سليمان) - عن أبيه فيه... إلخ)، عبد الله بن بريدة وسليمان بن بريدة كلاهما ثقة، وكلاهما روى عن أبيه، فما الضير في عدم تعيين الراوي. ثم يقول عن السند أن فيه: (عبد الملك بن عمير وقد عرفته)، وأقول: نعم، لقد عرفناه. وهذا الإسناد صحيح لا غبار عليه، يضاف إلى قائمة الأسانيد الصحيحة السابقة.

(٧) حديث سالم بن عبيد رضي الله عنه:

ابن ماجه: عن نصر بن علي الجهضمي، عن عبد الله بن داود، عن سلمة بن نبيط، عن نعيم بن أبي هند، عن نبيط بن شريط، عن سالم بن عبيد رضي الله عنه.
قال: (فقد قال فيه ابن ماجه: هذا حديث غريب). أقول: هذا بقية كلام ابن ماجه رضي الله عنه التي تبين للقارئ المعنى من قوله: هذا حديث غريب، حيث قال ابن ماجه رضي الله عنه بعد إirاده هذا الحديث: (قال أبو عبد الله: هذا حديث غريب لم يحدث به غير نصر بن علي)، فواضح من سياق الكلام أن الغرابة المقصودة ليست بمعنى الغموض والخفاء والمخالفة لما هو

مشهور بين الناس، وإنما الحديث الغريب في مصطلح أهل السنة والجماعة هو الحديث الذي تفرد أحد الرواة بروايته في أي طبقة من طبقات السند، حتى لو كانت طبقة واحدة، وهنا لم يحدث هذا الحديث فيما بلغ أبا عبد الله سوى نصر بن علي، فالحديث غريب بهذا الاعتبار. ثم يقول: (وفي سنده نظر... فإن نعيم بن أبي هند تركه مالك ولم يسمع منه؛ لأنه كان يتناول علياً عليه السلام). فأقول: إن كان الإمام مالك قد ترك الرواية عنه؛ فقد روى عنه غير مالك، فروى عنه مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه، وقد قال فيه ابن حجر رحمته الله في تقريب التهذيب: (ثقة رمي بالنصب)^(١)، فلنا وثاقته، وعليه بدعته. ثم يقول: (وسلمة بن نبيط لم يرو عنه البخاري ومسلم، قال البخاري: اختلط بآخره). فأقول: قد قال فيه أحمد بن حنبل: كان ثقة، وكان وكيع يفتخر به، يقول: عن سلمة بن نبيط، وكان ثقة، وقال فيه يحيى بن معين: سلمة بن نبيط ثقة، وقال فيه ابن نمير: سلمة بن نبيط من الثقات، كوفي كان يفتخر به أبو نعيم، وعن عبد الرحمن، قال: سألت أبي عن سلمة بن نبيط؟ فقال: ما به بأس هو صالح، وذكر ابن حجر في تقريب التهذيب: ثقة، يقال: اختلط، فذكر الاختلاط بالتضعيف حيث قال: (يقال)^(٢). أما تضعيف البخاري له؛ فقد قلنا سابقاً: إن الاختلاط في آخر العمر لا يعني إسقاط الروايات التي رواها عن الراوي كبار أصحابه ممن أدركوه في شبابه وقبل اختلاطه، خاصة وأن سلمة بن نبيط من صغار التابعين، والراوي عنه هنا عبد الله بن داود من صغار أتباع التابعين، فهو ممن أدركه في شبابه، وقبل كبر سنه. وأما ترك البخاري ومسلم للرواية عنه، فهذا لا يُعد قدحاً في الرجل وإسقاطاً لعدالته، لأنهما لم يرويا عن كل الثقات، وإلا فإن أول من لم يرو عنه البخاري هو جعفر الصادق، مع أنه من كبار الثقات بلا خلاف، فهل يسوغ في العقل أن

(١) تقريب التهذيب ٧١٧٨.

(٢) انظر: تهذيب الكمال ٣٢٠/١١، ٣٢١، تهذيب التهذيب ١٣٩/٤.

يكون هذا طعنًا في جعفر الصادق عليه السلام!!؟؟ ولكن يترك البخاري الرواية عن الثقات إذا كان الرواة عنهم ضعفاء أو غير مقبولى الرواية عنده، وهذا هو كل ما في الأمر، كما هو الحال في جعفر الصادق وغيره.

(٨) أحاديث أنس عليه السلام:

روايات الزهري عن أنس عليه السلام:

البخاري: عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن أنس بن مالك الأنصاري.
مسلم: عن عمرو الناقد وحسن الحلواني وعبد بن حميد، قال عبد: أخبرني وقال الآخرون: حدثنا يعقوب - وهو ابن إبراهيم بن سعد - عن أبيه عن صالح، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك. مسلم: عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس. الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن يزيد، عن سفيان - يعني ابن حسين -، عن الزهري، عن أنس. فابتدأ الطاعن بقوله: (أما حديث أنس بن مالك، فمنه ما عن الزهري عنه، وقد أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والزهري من قد عرفته)!! وأقول: نعم عرفنا الزهري جيداً، كان نادرة التاريخ في الحفظ عليه السلام. ثم يقول: (مضافاً إلى أن الراوي عنه عند البخاري هو شعيب، وهو: شعيب بن حمزة، وهو كاتب الزهري وراويته)!! ولا أدري ما وجه الإضافة في هذه الجملة؟ فشعيب بن حمزة والزهري كلاهما ثقات. ثم يكمل كلامه فيقول: (ويروي عن شعيب: أبو اليمان، وهو: الحكم بن نافع، وقد تكلم العلماء في رواية أبي اليمان عن شعيب، حتى قيل: لم يسمع منه ولا كلمة)، ثم يحيل هذا الطاعن المرجع إلى تهذيب التهذيب!!

ولننظر في أقوال هؤلاء العلماء الذين ضعفوا رواية أبي اليمان عن شعيب في كتاب تهذيب التهذيب، فمما قاله ابن حجر رحمته الله نقلاً عن العلماء في ترجمة أبي اليمان ما يلي: (فكان ابن شعيب يقول: إن أبا اليمان جاءني؛ فأخذ كتب شعيب مني بعد، وفي قصة أهل حمص مع شعيب أنه قال لهم: ارووا عني تلك الأحاديث، وكان ممن حضر أبو اليمان!! وقال أبو اليمان: قال لي أحمد بن حنبل: كيف سمعت الكتب من شعيب؟ قلت: قرأت عليه بعضه، وبعضه قرأ علي، وبعضه أجاز لي، وبعضه مناوله، فقال: قل في كله: أخبرنا شعيب!! وعن يحيى بن معين قال: سألت أبا اليمان عن حديث شعيب بن أبي حمزة، فقال: ليس هو مناوله، المناولة لم أخرجها لأحد، وعن أبي زرعة الرازي: لم يسمع أبو اليمان من شعيب إلا حديثاً واحداً، والباقي إجازة)^(١)، ومن أبسط البدييات أن من حفظ حجة على من لم يحفظ، ومن علم حجة على من لم يعلم، فهؤلاء كلهم أثبتوا إجازة شعيب لأبي اليمان؛ ولكن هذا الطاعن رمى بهذه الأقوال كلها في البحر، واحتج بقول أبي داود فقط!!.

الحاصل أن الأسانيد الصحيحة قد زادت بما رواه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب، وبروايتي الإمام مسلم.

ثم تناول الإسناد الوارد في مسند الإمام أحمد بن حنبل في رواية سفيان بن حسين عن الزهري، فقلوه صحيح في عدم موافقته فيما يرويه عن الزهري، إلا أنه ثقة في نفسه وفي روايته عن غير الزهري بالاتفاق كما ذكر ذلك ابن حجر في تقريب التهذيب، وفي الجرح والتعديل ما يلي: (قال يحيى بن معين: سفيان بن حسين ليس به بأس، وليس من أكابر أصحاب الزهري، وقال عنه: إنه ثقة، وهو صالح، حديثه عن الزهري فقط ليس بذلك، إنما سمع من الزهري بالموسم)^(٢).

(١) تهذيب التهذيب ٣٨٠/٢.

(٢) الجرح والتعديل ٢٢٧/٤.

وكما قال هذا الطاعن في ترجمة الزهري: (فالإمام يحيى بن معين من شيوخ البخاري ومسلم، ومن أئمة الجرح والتعديل، اتفقوا على أنه اعلم أئمة الحديث بصحيحه وسقيمه. توفي سنة ٣٠٢ هـ. ترجم له في: تذكرة الحفاظ ٤٢٩/٢ وغيرها) فليأخذ بقوله هنا كما أخذ بقوله في طعنه في الزهري!!!

ثانياً: روايات حميد عن أنس رضي الله عنه:

النسائي: عن علي بن حجر، عن إسماعيل، عن حميد، عن أنس. الإمام أحمد: عبد الله، حدثني أبي، ثنا عبد الله بن الوليد، ثنا سفيان، عن حميد عن أنس بن مالك.
فقال فيما قاله: (ومنه ما عن حميد عن أنس، وقد أخرجه النسائي وأحمد، وحميد هو: حميد بن أبي حميد الطويل، وقد نصوا على أنه كان مدلساً، وعلى أن أحاديثه عن أنس مدلسة وهذا الحديث من تلك الأحاديث).

ويحيل إلى تهذيب التهذيب لتوثيق ما قاله، وبالنظر إلى تهذيب التهذيب نجد ما يلي من أقوال العلماء: (قال ابن خراش: يقال: إن عامة حديثه عن أنس إنما سمعه من ثابت، وقال مؤمل عن حماد: عامة ما يرويه حميد عن أنس سمعه من ثابت، وقال أبو عبيدة الحداد عن شعبة: لم يسمع حميد من أنس إلا أربعة وعشرين حديثاً، والباقي سمعها من ثابت، أو ثبته فيها ثابت، وقال ابن عدي: له أحاديث كثيرة مستقيمة، وقد حدث عنه الأئمة، وأما ما ذكر عنه أنه لم يسمع من أنس إلا مقدار ما ذكر، وسمع الباقي من ثابت عنه فأكثر ما في بابيه أن بعض ما رواه عن أنس يدلّسه، وقد سمعه من ثابت، وقال الحافظ أبو سعيد

العلائى: فعلى تقدير أن يكون أحاديث حميد مدلسة؛ فقد تبين الواسطة فيها، وهو ثقة صحيح!!^(١).

إذا فحتى لو كان هذا الحديث مدلساً؛ فإن الواسطة قد عرفت، وانتفى الطعن في هذا الإسناد.

ثم يقول: (مضافاً إلى أن الراوي عنه - عند أحمد - هو سفيان بن حسين، وقد عرفته)!!! وكأن سفيان هو أكبر الوضاعين، وكأن العلماء لم يقولوا بصريح العبارة عنه: إنه ثقة في غير الزهري!! ومنهم يحيى بن معين. ثم ابتدأ في الطعون في شخص أنس بن مالك رضي الله عنه، مغفلاً بكل جراءة سندين وردا عند البخاري ومسلم هما:

البخاري: عن أبي معمر، عن عبد الوارث، عن عبد العزيز، عن أنس.

مسلم: عن محمد بن المثني وهارون بن عبد الله، عن عبد الصمد، عن أبيه، عن عبد العزيز، عن أنس.

ثم يقول: (هذا، وسواء صحت الطرق عن أنس أو لم تصح فالكلام في أنس نفسه: فأول ما فيه كذبه!!! وذلك في قضية حديث الطائر المشوي، حيث كان رسول الله ﷺ قد دعا الله سبحانه أن يأتي بعلي عليه السلام [وسيتبين لنا كذبه في هذه النقطة عند ذكر الحديث بتمامه]، وكان يترقب حضوره، فكان كلما يجيء علي عليه السلام ليدخل على النبي ﷺ قال أنس: «إن رسول الله على حاجة» حتى غضب رسول الله وقال له: يا أنس، ما حملك على رده؟!^(٢)

فأما حديث الطائر المشوي؛ فكان من الأولى ألا يأخذ الأحاديث على إطلاقها، وإنما يأخذها بعد نقد أسانيدنا حتى تطمئن النفس إليها، إضافة إلى أن النظر في متن الحديث الأول يغني عن النظر في سنده، حيث يقول النبي ﷺ فيه: (اللهم ائني بأحب خلقك

(١) تهذيب التهذيب ٣/٣٥.

(٢) أخرجه غير واحد من الأئمة في كتبهم، راجع منها المستدرک ٣/١٣٠.

إليك يأكل معي من هذا الطير)، وهذا يعني أن الله يحب علياً أكثر من الرسول ﷺ!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

وأما الحديث الثاني فقد وقع في إسناده عبيد بن كثير العامري، وفيه قال الدوري والغلابي عن ابن معين: ليس بثقة، وقال ابن الجنيد عن ابن معين: كذاب، وقال عبد الخالق بن منصور: سئل ابن معين عنه فقال: لا ولا كرامة، وكان من أحسن الناس سمناً، وقال أبو زرعة: واهي الحديث، حدث أحاديث منكراً لا ينبغي أن يحدث عنه، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: ضعيف الحديث، ذاهب الحديث، ولم يحدثني عنه، وقال صالح بن محمد: كذاب، كان يضع الحديث، وله أحاديث منكراً، وهو ابن أخت سفيان، وقال البخاري: ليس بشيء، وقال الآجري عن أبي داود: كان يضع الحديث، وما علمته قريباً لسفيان، قلت له: هكذا قال ابن معين فسكت، وقال النسائي وأبو بكر الجعابي: متروك الحديث، وقال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات، حدث عن هشام بن عروة بنسخة موضوعة، وقال أبو نعيم الأصبهاني: لا شيء متروك!! فهنيئاً بهذا الإسناد. وأما نص الحديث الذي ورد من الطريق الثاني والملاحظات على متنه إن صح سنده، أن هذا الحديث يثبت ولاء أنس لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فمع مرضه طلب من جلسائه أن يجلسوه، ثم قعد وذكر هذا الحديث في مدح علي بن أبي طالب عليه السلام، ويكفي من ذلك كله أن أحد أعداء علي بن أبي طالب قد أصبح من محبيه بعد سماعه هذا الحديث من أنس !!! والمفترض أن يعد الطاعن هذه الحادثة منقبة لأنس لا مذمة، وما دام أن هذا الطاعن يصدق بهذه الرواية؛ فكيف يزعم أن أنساً كان يضمر العداء لعلي بن أبي طالب عليه السلام. ثم إن أنساً عليه السلام لم يكن يقصد علياً عليه السلام بالذات، ولو جاء أبو بكر أو عمر أو عثمان قبل علي لفعل أنس معهم (حسب ما تزعم الرواية) نفس ما فعله مع علي، لأنه كان يحب

قومه، فأراد أن تكون هذه المنقبة في أحدهم، ومع ذلك كله لم يوبخه رسول الله ﷺ عندما علم ما في نفسه، بل قال له: اذهب فأدخله فلست بأول رجل أحب قوم، ولو كان ما فعله خطأ (إن صحت الرواية قبل ذلك كله) لوبخه رسول الله ﷺ على فعله. وعموماً القصة ساقطة السند، وإنما ذكرت المتن ليتبين للناس كيف يقلب هذا الطاعن المناقب إلى مثالب.

ثم يكمل كيل الاتهامات المجازفة لأنس رحمته الله، فيقول: (ثم كتبه الشهادة بالحق، وذلك في قضية مناشدة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الناس عن حديث الغدير وطلبه الشهادة منهم به، فشهد قوم وأبى آخرون - ومنهم أنس - فدعى عليهم فأصابتهم دعوته، ومن المعلوم أن الكاذب لا يقبل خبره، وكتب الشهادة إثم كبير قاذح في العدالة كذلك). فأقول: على فرض صحة القصة، فأنس رحمته الله لم يكذب فيها، وحاشا لله أن يكذب وقد عدله الله من فوق سبع سماوات في كتابه الكريم، ولكن بالنسبة للرواية عن الكذابين وقبول أخبارهم فلننظر إلى آراء علماء الشيعة في هذا الموضوع. ولننظر في ترجمة محمد بن سنان في كتب الرجال الشيعية. يقول الكشي عن حمدويه أنه قال: (لا أستحل أن أروي أحاديث محمد بن سنان)، وروى الكشي عن الفضل بن شاذان أنه قال: (لا أستحل أن أروي أحاديث محمد بن سنان) ^(١). وذكر الفضل في بعض كتبه أنه من الكذابين المشهورين، ابن سنان وليس بعبد الله ^(٢). وقال السيد هاشم معروف: (أما محمد بن سنان فهو من المتهمين بالكذب على الأئمة عليهم السلام، وجاء عن الفضل بن شاذان أنه قال: لا أحل لكم أن ترووا أحاديث محمد بن سنان، كما عده في بعض كتبه مع الكذابين كأبي الخطاب، ويونس بن

(١) رجال الكشي ٣٣٢.

(٢) رجال الكشي ٤٢٨.

ظبيان، ويزيد الصائغ وغيرهم^(١)، وقال عنه أيضاً: قال عنه الفضل بن شاذان أنه من الكذابين المشهورين، وبالتالي فإن أكثرهم اتفقوا على تكذيبه^(٢).

(٩) أحاديث عائشة رضي الله عنها:

فيقول بعد أن ذكر الرواة عن عائشة وطرقهم وبكل ثقة: (ولا شيء من هذه الطرق بخال عن الطعن والقدح المسقط عن الاعتبار والاحتجاج)، وسننظر جميعاً الآن إلى طعونه.

أولاً: روايات الأسود بن يزيد النعيمي:

البخاري: عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود عن عائشة. البخاري: عن مسدد، عن عبد الله بن داود، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. البخاري: عن قتيبة بن سعيد، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. مسلم: عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية ووكيع وعن يحيى بن يحيى - واللفظ له - أخبرنا معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. النسائي: عن محمد بن العلاء، عن أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن وكيع، ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود عن عائشة. الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن أبي معاوية، ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. ابن ماجه: عن أبوبكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية ووكيع، عن الأعمش وعن علي بن محمد، عن وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة.

(١) الموضوعات في الآثار والأخبار، ٢١٩.

(٢) دراسات في الحديث ٢٩٧.

فقال في البداية عن الأسود: (فإن الأسود) من المنحرفين عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام. ثم يقول: (والراوي عنه في جميع الأسانيد المذكورة هو إبراهيم بن يزيد النخعي، وهو من أعلام المدلسين... قال أبو عبد الله الحاكم - في الجنس الرابع من المدلسين: قوم دلسوا أحاديث رويوها عن المجروحين فغيروا أساميهم وكناهم كي لا يعرفوا - قال: (أخبرني عبد الله بن محمد بن حمويه الدقيقي، قال: حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي، قال: حدثني خلف بن سالم، قال: سمعت عدة من مشايخ أصحابنا تذكروا كثرة التدليس والمدلسين، فأخذنا في تمييز أخبارهم، فاشتبه علينا تدليس الحسن بن أبي الحسن، إبراهيم بن يزيد النخعي، لأن الحسن كثيراً ما يدخل بينه وبين الصحابة أقواماً مجهولين، وربما دلس عن مثل عتي بن ضمرة وحنيف بن المنتجب ودغفل بن حنظلة وأمثالهم؛ وإبراهيم أيضاً يدخل بينه وبين أصحاب عبد الله مثل هني بن نويرة وسهم بن منجاب وخزامة الطائي وربما دلس عنهم)^(١). فأقول: أما ما ذكره الحاكم فقد قيده برواية إبراهيم عن أصحاب عبد الله بن مسعود عليه السلام، وهذا الحديث ليس من ذلك، حيث يرويه عن خاله الأسود بن يزيد مباشرة، وقد روى الكثير عنه، ولم يكن يدلس عنه لأنه من أشهر الرواة عنه، هذا فضلاً عن أن الحاكم رحمه الله قال: (وربما دلس عنهم)، فأنت الأمانة العلمية عند هذا الطاعن لتحول العبارة إلى: (وهو من أعلام المدلسين)!! فضلاً عن أن إبراهيم النخعي لم يوصف بالتدليس في كتب الرجال.

إضافة إلى أن كتب التراجم التي قام هذا الطاعن بالرجوع إليها تذكر عن النخعي أن قال عن نفسه: (إذا حدثتكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت، وإذا قلت: قال عبد الله، فهو عن غير واحد عن عبد الله)^(٢)، وعموماً فروايته هنا ليست عن ابن مسعود. وهناك

(١) معرفة علوم الحديث، ١٠٨.

(٢) تهذيب الكمال ٢/٢٣٩.

نقطة أخرى طريفة، ألا وهي أن هني بن نويرة وسهم بن منجاب، ثقات!!! وخزامة الطائي لم أعثر له على ترجمة، ومن هنا يتبين أن كلام الحاكم كان خطأ في حق إبراهيم النخعي رحمه الله.

ثم أخذ يطعن في الأعمش متهماً إياه بالتدليس، ونسي هذا أن الأعمش من كبار رواة الإسلام، وأن من يطعن في الأعمش؛ فإنما يطعن في نفسه، لأن الأعمش لم يكن يعتمد التدليس، هذا فضلاً عن أنه من الرواة المعتبرين عند الشيعة والسنة، وقد دافع عنه عبد الحسين الموسوي في المراجعات.

ثم لننظر إليه حينما أراد الطعن في الزهري استشهد بقول ابن معين في تفضيل الأعمش على الزهري، مع أن يحيى بن معين ابتداءً كلامه الذي فهمه هذا الطاعن خطأ بقوله: أجود الأسانيد: الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله!!! أي: أن رواية الأعمش عن إبراهيم تعد من أبرز الروايات، لملازمته الطويلة له، ولانتسابها إلى سلسلة من السلاسل الذهبية، وقد علمنا هذا الطاعن أن يحيى بن معين من شيوخ البخاري ومسلم، ومن أئمة الجرح والتعديل، اتفقوا على أنه أعلم أئمة الحديث بصحيحه وسقيمه. توفي سنة (٣٠٢ هـ). ترجم له في: تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٩) وغيرها.

فقطعنا في رواية الأعمش وإبراهيم النخعي ليس لها أساس، وإن كان يريد أن يقيم لها أساساً فعلياً بنقض ما بناه من دعاويه في الطعن في الزهري معتمداً على هذه الرواية. ثم يطعن في حفص بن غياث بقوله: (ثم إن الراوي عن أبي معاوية في إحدى طرق البخاري هو: حفص بن غياث، وهو أيضاً من المدلسين)، ويحيل المرجع إلى تهذيب التهذيب، فلنذكر ما ورد فيه، حيث قال ابن حجر: (من الأئمة الأثبات، أجمعوا على توثيقه والاحتجاج به!! إلا أنه في الآخر ساء حفظه، فمن سمع من كتابه أصح ممن سمع من

حفظه، قال أبو زرعة، وقال ابن المديني: كان يحيى بن سعيد القطان يقول: حفص أوثق أصحاب الأعمش، قال: فكنت أنكر ذلك، فلما قدمت الكوفة بأخرة أخرج إليّ ابنه عمر كتاب أبيه عن الأعمش، فجعلت أترحم على القطان. قلت: اعتمد البخاري على حفص هذا في حديث الأعمش لأنه كان يميز بين ما صرح به الأعمش بالسماع، وبين ما دلّسه، نبه على ذلك أبو الفضل بن طاهر، وهو كما قال، روى له الجماعة^(١).

فالحديث بهذا الإسناد لوحده كما جاء في صحيح البخاري يقوم مقام الاحتجاج، لأن طعنه هنا في حفص بن غياث أورده المهالك، لأن حفصاً من أثبت أصحاب الأعمش، فروايته عنه ليس فيها تدليس أبداً، بل كيف يروي عن الأعمش وهو صاحب الأعمش، وروايته عن الأعمش كانت مميّزة لما دلّسه الأعمش مما لم يدلّسه، فهذا إسناد كعين الشمس، ولكن مرحى للأمانة العلمية!

ثانياً: روايات عروة بن الزبير رضي الله عنه:

الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن شابة، عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة. البخاري: عن زكريا بن يحيى، عن ابن نمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. مسلم: عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب، قالوا: عن ابن نمير عن هشام وعن ابن نمير - وألفاظهم متقاربة - عن أبي هشام، عن أبيه، عن عائشة. ابن ماجه: - عن ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن نمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. البخاري: عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. الترمذي: عن إسحاق بن موسى الأنصاري، عن معن، عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.

مالك في الموطأ: عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة. وفي: الموطأ: عن عروة بن الزبير مرسلًا، ولكنها موصولة ببقية الطرق.

فابتدأ الهجوم بقوله: (فإن عروة بن الزبير ولد في خلافة عمر، فالحديث مرسل، ولا بدّ أنه يرويه عن عائشة). فأقول: أماننا عدة روايات كلها موصولة الإسناد، وليست مرسلة، وحتى رواية الموطأ فإنها تلحق ببقية الروايات؛ لأن رواية البخاري والترمذي إنما رويتا عن طريق الإمام مالك، والإسناد فيها متصل، فبان بأن طريق الإمام مالك موصول إلى عائشة، ولكن أنى لمن أعمى الله بصيرته أن يبصر.

إضافة إلى أنه ليس في البخاري ولا في مسلم حديث يسنده عروة إلى الرسول ﷺ، بل جاء التصريح بالإسناد في بعضها إلى عائشة ل، وبقيتها إلى أبيه الزبير بن العوام عن عائشة ﷺ، فالحديث متصل الإسناد، والله الحمد. ثم يقول: (وكان عروة من المشهورين بالبغض والعداء لأمير المؤمنين ﷺ) - كما عرفت من خبره مع الزهري، والخبر عن ابنه - وحتى حضر يوم الجمل على صغر سنه، وقد كان هو والزهري يضعان الحديث في تنقيص الإمام والزهراء الطاهرة ﷺ، فقد روى الهيثمي عنه حديثاً - وصححه - في فضل زينب بنت رسول الله جاء فيه أنه كان يقول: (هي خير بناتي)^(١) قال: فبلغ ذلك علي بن الحسين، فانطلق إليه فقال: ما حديث بلغني عنك أنك تحدّثه تنقص حق فاطمة؟! فقال: لا أحدث به أبداً).

فيقول: إن عروة بن الزبير :

١ - كان من المشهورين ببغض علي بن أبي طالب ﷺ .

٢ - حضر معركة الجمل على صغر سنه، وأحال المرجع إلى تهذيب التهذيب.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٤٣١/٢٢ ١٠٥١. وانظر: مجمع الزوائد ٢١٣/٩.

٣ - وكان يضع الأحاديث ضد علي وفاطمة رضوان الله عليهما.

ولنناقش هذه التهم الباطلة نقطة نقطة:

أولاً: قضية البغض إنما هي هرطقة لا طائل من ورائها، وإثباتها يحتاج إلى مقدمات طويلة.

ثانياً: ذكره أن عروة بن الزبير حضر معركة الجمل، فلننظر في كتب الرجال ماذا قالت؟

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: (قال أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه: رددت أنا

وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من الطريق يوم الجمل، استصغرنا!!!...)

وكان يوم الجمل ابن ثلاث عشرة سنة، فاستصغر!!!^(١)،

ثالثاً: وضعه للأحاديث ضد علي وفاطمة، ثم استشهاده بالرواية التي ذكرها. فالرواية

تصرح بتطلب عروة بن الزبير رضى علي بن الحسين وفاطمة، فامتنع عن التحديث بهذا

الحديث إرضاء له، وإن كان الحديث يمكن أن يؤول على عدة معاني، لأن النبي ﷺ إنما

قال ذلك لما أحضروا زينب من مكة إلى المدينة، وبعد أن روعها هبار بن الأسود، وعُقر

بعيرها، وأسقطت جنينها رضوان الله عليها، فلما وصلت إلى أبيها صلوات الله وسلامه

عليه قال: (هي خير بناتي، أصيبت في)^(٢).

إضافة إلى أن رواية عروة بن الزبير - كما سيأتي - لفضائل ومناقب فاطمة وعلي عليه السلام ترد

على كل من زعم أنه من أعدائهما.

ثم أخذ يطعن في أسانيد البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه بقوله: (والراوي عنه

ولده هشام في رواية البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه... وهو أيضاً من المدلسين،

فقد قالوا: كان ينسب إلى أبيه ما كان يسمعه من غيره، وقد ذكروا أن مالكا كان لا يرضاه،

قال ابن خراش: بلغني أن مالكا نقم عليه حديثه لأهل العراق، قدم الكوفة ثلاث مرات،

(١) تهذيب التهذيب ١٦٥/٧.

(٢) سبق تخرجه.

قدمة كان يقول: حدّثني أبي، قال: سمعت عائشة. وقدم الثانية فكان يقول: أخبرني أبي، عن عائشة. وقدم الثالثة فكان يقول: أبي، عن عائشة.

وهذا الحديث من تلك الأحاديث! لأن هذا الطاعن يقول عن هشام: إن مالكا قد نقم عليه، مع أن الراوي عن هشام بن عروة هو الإمام مالك نفسه في رواية البخاري والترمذي؛ فضلاً عن الإمام مالك قد روى هذا الحديث عنه في الموطأ، ومن المعلوم لدى الجميع أن الإمام مالك سمع من هشام بن عروة في المدينة، وقد نقم عليه الإمام مالك أحاديثه في زيارته الأخيرة للكوفة، ثم يقول الطاعن عن هذا الحديث: (وهذا الحديث من تلك الأحاديث)!

وبهذا يتبين وبكل وضوح لكل ذي عينين أن هذا الحديث مما حدث به هشام بن عروة في المدينة، ولم يكن هذا الحديث مما نقم عليه الإمام مالك فيه، لأنه رواه عنه، وإنما نقم عليه حديثه لأهل العراق، مع أنه صحيح بالجملة.

وهناك نقطة أخرى لا بد من ذكرها، ألا وهي أن البخاري قد روى عن بدل بن المحبر أخبرنا شعبة عن سعد بن إبراهيم قال: سمعت عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: (مري أبا بكر يصلي بالناس...)، وهذا الحديث رواه عن عروة بن الزبير سعد بن إبراهيم، وليس ابنه هشام، وقد أغضى هذا الطاعن الطرف عن هذا الحديث، لأن رواية هذا الحديث كلهم ثقات، لم يرد في أي منهم أي مطعن بأي وجه من الوجوه المعتبرة.

ثالثاً: روايات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

البخاري: عن أحمد بن يونس، عن زائدة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة. مسلم: عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن زائدة، عن موسى بن

أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة. النسائي: عن محمود بن غيلان، عن أبي داود، عن شعبة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة. النسائي: عن العباس بن عبد العظيم العنبري، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن زائدة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة. الإمام أحمد: عن عبد الله، أبيه، عن عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة.

فيقول: (فإن الراوي عن عبيد الله عند البخاري ومسلم والنسائي هو: موسى بن أبي عائشة، وقد قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: ترينني رواية موسى بن أبي عائشة حديث عبيد الله بن عبد الله في مرض النبي ﷺ)، ويحيل إلى تهذيب التهذيب، بينما صاحب تهذيب التهذيب يقول بعد ذكره لهذه العبارة: (قلت: عنى أبو حاتم أنه اضطرب فيه، وهذا من تعنته، وإلا فهو حديث صحيح)^(١)!!!

بل قال صاحب تهذيب الكمال الذي هو أصل كتاب تهذيب التهذيب: (وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: ترينني رواية موسى بن أبي عائشة حديث عبيد الله بن عبد الله في مرض النبي ﷺ، قلت: ما تقول فيه؟ قال: صالح الحديث، قلت: يحتاج بحديثه؟ قال: يكتب حديثه)^(٢)!!! فأين هذا الطاعن عن هذه النصوص؟؟ إضافة إلى أن طعن أبي حاتم في رواية موسى بن أبي عائشة عن عبيد الله بن عبد الله إنما كان للاضطراب الذي فيها، والذي ظن هذا الطاعن أن الروايات متعارضة في ذكر الحادثة.

ثم يقول وبكل ثقة: (والزهري من قد عرفته سابقاً)!!! وهذا القول لا يحتاج إلى مزيد رد. الحاصل: أن هذه خمسة أسانيد ليس فيها مطعن، تضاف إلى قائمة الأسانيد الصحيحة بحمد الله تعالى.

(١) تهذيب التهذيب ٣١٤/١٠.

(٢) تهذيب الكمال ٩١/٢٩.

رابعاً: روايات مسروق عن عائشة:

النسائي: عن محمد بن المثنى، عن بكر بن عيسى صاحب البصري، عن شعبة، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة.

الإمام أحمد: عن عبد الله، أبيه، عن بكر بن عيسى، عن شعبة بن الحجاج، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي وائل عن مسروق، عن عائشة.

الإمام أحمد: عن عبد الله، عن أبيه، عن شعبة بن سوار، عن شعبة، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة.

فطعن في أبي وائل حيث قال: (أبو وائل: وهو شقيق بن سلمة، يرويه عن مسروق، وقد قال عاصم بن بهدلة: قيل لأبي وائل: أيها أحب إليك: علي أو عثمان؟ قال: كان علي أحب إلي ثم صار عثمان)!! ويذكر هذا الطاعن بأن كل أهل السنة والجماعة يحبون عثمان أكثر من علي، لأنهم يرون أن عثمان أفضل من علي.

ثم واصل الطعون لورود نعيم بن أبي هند، وقلنا: إن نعيم بن أبي هند ثقة رمي بالنصب، وعرفنا معه بعض الرواة الشيعة الواقفة وهم: الحسن بن محمد بن سماعة، وأحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار، وصفوان بن يحيى، وإدريس بن الفضل، وسليمان الخولاني، وإسحاق بن جرير البجلي الكوفي، وجعفر بن محمد بن سماعة، والحسين بن أبي سعيد هشام بن حيان المكارى، والحسين بن المختار القلانسي وغيرهم الكثير ممن ناصبوا علي الرضا العداء، واستحلوا أموال الكاظم ظلماً وزوراً، ومع ذلك فهم ثقات أجلاء معتبرو الرواية عندهم!

ثم طعن في شعبة بن سوار لأنه مرجئ داعية للإرجاء، وهذا هو قول علماء الجرح والتعديل فيه، وأن روايته يتثبت فيها، ولا تؤخذ على إطلاقها، ولكن قال يحيى بن معين

عن شبابة إنه ثقة في شعبة، وكما قال هذا الطاعن: (فالإمام يحيى بن معين من شيوخ البخاري ومسلم، ومن أئمة الجرح والتعديل، اتفقوا على أنه أعلم أئمة الحديث بصحيحه وسقيمه. توفي سنة (٣٠٢ هـ). ترجم له في: تذكرة الحفاظ (٢/٤٢٩) وغيرها!!!
خامساً: رواية حمزة بن عبد الله بن عمر:

البخاري: عن أحمد بن يونس، عن زائدة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة.
وقد أغضى هذا الطاعن الطرف عن هذه الرواية لأنه لم يجد فيها مطعناً^(١).

شبهة أن أبا بكر يشهد على نفسه:

قال احدهم: (كما سجل التاريخ لأبي بكر مثل هذا، قال: لما نظر أبو بكر إلى طائر على شجرة: طوبى لك يا طائر تأكل الثمر وتقع على الشجر وما من حساب ولا عقاب عليك، لوددت أنني شجرة على جانب الطريق مرّ عليّ جمل فأكلني وأخرجني في بعره ولم أكن من البشر. وقال مرة أخرى: ليت أُمّي لم تلدني، ليتني كنت تبنة في لبنة... إلخ.

ردود العلماء:

لو فرضنا جدلاً ثبوت هذا عن أبي بكر فإنه يدل على قوة إيمانه وخوفه من الله عز وجل، وهذا لا يقدح في إيمانه قط فقد جاء في الصحيحين خبر الرجل الذي أمر أهله بتحريقه وتذرية نصفه في البحر ونصفه في البر مع أنه لم يعمل خيراً قط، وقال: (والله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع

(١) نقلاً عن كتاب الرد على الجاني علي الميلاني، لماجد الصقعي.

ما فيه ثم سأله الله: ما حملك على ما صنعت. قال: من خشيتك يا رب فغفر له^(١)، فإذا كان مع شكّه في قدرة الله على بعثه، إذا فعل ذلك غُفر له بخوفه من الله، علّم أن الخوف من الله من أعظم أسباب المغفرة للأمور الحقيقة إذا قدّر أنها ذنوب.

وقد ورد مثل ذلك عن عدة صحابة منهم عبد الله بن مسعود حيث قال عن نفسه: ههنا رجل ودّ أنه إذا مات لم يبعث يعني نفسه». وروي عن أبي ذر قوله: لوددت أي كنت شجرة تعضد. بل ثبت بالرواية الصحيحة أن النبي ﷺ قال: (لوددت أي كنت شجرة تعضد) فهل يعتبر هذا القول شهادة على نفسه؟! وروى البخاري أيضاً عن ابن مسعود أنه قال: قال لي النبي ﷺ: (اقرأ عليّ، قلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم. فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية فكيف إذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً [النساء: ٤١]) قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان^(٢). أليس هذا يدل على أن من يخاف الله سبحانه في الدنيا دليل على قوة صدق إيمانه بالله؟ وهذه مريم عليها السلام أخبر الله عز وجل عنها بنظير ما ثبت عن أبي بكر، وعمر في قوله: يا لَيْتَنِي مَتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا [مريم: ٢٣]. قال ابن عباس في معنى نسياً منسياً أي: «لم أخلق ولم أك شيئاً». وقال قتادة: «أي: شيئاً لا يُعرف ولا يُذكر». وقال الربيع بن أنس هو: (السَّقَطُ)^(٣). وثبت عن عليا عليه السلام أيضاً أنه قال يوم الجمل لابنه الحسن: «يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة»^(٤). كما ثبت عن أبي ذر قوله: «والله

(١) صحيح البخاري برقم ٣٤٨١، صحيح مسلم برقم ٢٧٥٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٠٥٠.

(٣) تفسير الطبري ٣٢٥/٨، ٣٢٦.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٥٣٧/٤، البداية والنهاية ٢٥١/٧.

لوددت أني شجرة تعضد»^(١)، فهل هؤلاء مذمومون بهذا؟ فإن لم يكونوا مذمومين فلم القدح في الشيخين بمثل ما ثبت عن هؤلاء؟

ثم يسترسل هذا الطاعن فيقول: (وهذا كتاب الله يبشر عباده المؤمنين بقوله: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس : ٦٢] وذكر غيرها من آيات في هذا الباب. ثم قال: فكيف يتمنى الشيخان أبو بكر وعمر أن لا يكونا من البشر الذي كرمه الله على سائر مخلوقاته).

الرد:

١- هذه الآيات لا تنافي خوف العبد من ربه وقد ذكرنا في الفقرة السابقة ثبوت خوف الرسول ﷺ وأصحابه من الله.

٢- وبالنسبة لآية سورة يونس قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى أن أولياءهم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقياً كان لله ولياً فلا خوف عليهم أي فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة ولا هم يحزنون على ما وراءهم في الدنيا)^(٢)، فالخوف في هذه الآية هو في الآخرة، والصحابة جميعاً كانوا يخافون الله في الدنيا وليس في الآخرة وقوله تعالى: وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أي على ما وراءهم في الدنيا، ولا شك أن خوف أبي بكر والصحابة لا يدل على أنهم يحزنون على شيء من الدنيا.

وهكذا سائر الآيات . ومن هنا نعلم أن هذه الآية المستدل بها لا تنطبق على الخليفة الأول أبي بكر. ثم يقول هذا الطاعن: (وإذا كان المؤمن العادي الذي يستقيم في حياته تنزل عليه الملائكة وتبشره بمقامه في الجنة فلا يخاف من عذاب الله ولا يحزن على ما خلف وراءه في الدنيا وله البشرية في الحياة الدنيا قبل أن يصل إلى الآخرة، فما بال عظماء

(١) جامع الترمذي ٥٥٦/٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٥١٤/٢.

الصحابه الذين هم خير الخلق بعد رسول الله كما هو عند أهل السنة، يتمنون أن يكونوا عذرة وبعرة وشعرة وتبنة، ولو أن الملائكة بشرتهم بالجنة ما كانوا ليتمنوا أن لهم مثل طلاع الأرض ذهباً ليفتدوا به من عذاب الله قبل لقاءه، قال تعالى: وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [يونس : ٥٤] وقال أيضاً: وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ [الزمر: ٤٧-٤٨] وإنني أتمنى من كل قلبي أن لا تشمل هذه الآيات صحابة كباراً أمثال أبي بكر الصديق وعمر (الفاروق).

الرد: إن الآيتين هما إخبار الله عن عذاب يوم القيامة حيث لا ينفع الندم ولا التوبة، وليس في الدنيا، ومعلوم لكل عاقل الفرق بين خوف العبد ربه في الدنيا وخوفه منه في الآخرة فقد الصدوق "وهو من كبار علماء الإمامية" عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة)^(١)

ومن هذه الطعون احتجاجهم بما رواه الإمام مالك رحمته الله أن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: (هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله إخوانهم أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟! فقال رسول الله ﷺ: بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي! فبكى أبو بكر ثم بكى ثم قال: إنا لكائنون بعدك...) ^(٢) إلخ.

(١) الخصال لابن بابويه القمي، ٧٩.

(٢) موطأ مالك برقم ٩٨٧.

والرد أن هذا الحديث مرسل ومنقطع عند جميع رواة الموطأ. وشرح الحديث إن قول الرسول ﷺ: (هؤلاء أشهد عليهم) أي: بالإيمان والبذل في سبيل الله فلما قال ذلك سأله أبو بكر الصديق: (ألسنا يا رسول الله إخوانهم أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال النبي ﷺ: بلى!) أي: أنتم مسلمون مثلهم ومجاهدون في سبيل الله (ولكن لا أدري ما تحدثون) أي: لا أعلم ما سوف تفعلون بعد وفاتي، وأبو بكر لم يسأله عن نفسه ولكنه سأله بصيغة الجمع، فأجاب بنفس الصيغة أنه لا يعلم ما سيكون بعده، ومعلوم أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، أي: ما سيحدث في المستقبل وبعد مماته إلا بما أخبره به الله عز وجل. فبكى أبو بكر؛ لأنه علم أن النبي ﷺ سيفارقهم وذلك واضح في قول أبي بكر: أئنا لكائنون بعدك، أي: سنعيش بعدك يا رسول الله، وبالطبع لم يبك لأنه يعلم أنه سيحدث بعد النبي ﷺ!!.

شبهة خلافة الصديق عليه السلام

يقول أحدهم: (لقد آليت على نفسي عند الدخول في هذا البحث أن لا أعتد إلا ما هو موثوق عند الفريقين وأن أطرح ما انفردت به فرقة دون أخرى، وعلى ذلك أبحث في فكرة التفضيل بين أبي بكر وعلي بن أبي طالب وأن الخلافة إنما كانت بالنص على علي كما يدعي الشيعة أو بالانتخاب والشورى كما يدعي أهل السنة والجماعة) ... وقال أيضاً: (والباحث في هذا الموضوع إذا تجرّد للحقيقة فإنّه سيجد النص على علي بن أبي طالب واضحاً جلياً كقوله ﷺ: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) قال ذلك بعدما انصرف من حجة الوداع فعقد لعلي موكب للتهنئة حتى أن أبا بكر نفسه وعمر كانا من جماعة المهنيين للإمام يقولان: (بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة).

وهذا النص مجمع عليه من الشيعة والسنة، ولم أخرج أنا في البحث هذا إلا مصادر السنة والجماعة... إلخ.

ردود العلماء:

- اختلف أهل السنة في خلافة أبي بكر، فقالت جماعة: ان خلافة أبي بكر ثبتت بالنص الجلي أو الخفي، في حين قالت جماعة أخرى من أهل السنة أن الخلافة كانت بموافقة أهل الحل والعقد، وقد استدل الطرف الأول على وجود النص بالخلافة على أدلة قوية، فعلى التقديرين لم يخرج الحق عن أهل السنة.
- أما قوله أن الشيعة يدعون بأن الخلافة كانت بالنص على علي بن أبي طالب عليه السلام مستنديين على عدة أحاديث فهذا فيه نظر كما سيأتي، ومن جانب آخر لو فرضنا أن القول بالنص على الخلافة هو الحق لم يكن لهذا الأمر دليل على ما يدعيه الشيعة الاثني عشرية، فإن الراوندية^(١) القائلين بإمامة العباس بن عبد المطلب يدعون النص الثابت عليه كما يدعي الشيعة أن النص الثابت هو في علي.
- أما قوله: أن الباحث عن الموضوع إذا تجرّد للحقيقة فإنه سيجد النص على علي بن أبي طالب واضحاً جلياً كقوله عليه السلام: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه).

الرد:

أ- اختلف أهل الحديث في تصحيح وتضعيف هذا الحديث فمنهم من ضعفه ومنهم من حسّنه.

ب- الإدعاء أن هذا الحديث نص واضح وجلي على عليٍّ فأقول: البرهان على عدم وجود هذا الوضوح والجلاء هو في نفس النص لأن النص كان بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع عند غدير خم، ومعلوم أنه بعد حجة الوداع لم يرجع المسلمون كلهم مع النبي ﷺ إلى المدينة بل رجع أهل مكة إلى مكة وأهل الطائف إلى الطائف وأهل اليمن إلى اليمن فلم يرجع معه إلا أهل المدينة، فلو كان ما ذكره في غدير خم بلاغاً للناس كافة لذكره في حجة الوداع التي اجتمع فيها المسلمون كافة، ولم يذكر النبي ﷺ في هذه الحجة الإمامة بشيء ولا ذكر علياً أصلاً، ومن هنا نعلم أن إمامة عليٍّ لم تكن وحياً منزلاً ولا منصوباً عليها في دين الله عز وجل، ولا مما أمر ببلاغها، فهذا الحديث ليس حجة على خلافته فضلاً عن وضوحه وجلاته!

ج وبالنسبة لكلمة مولاه فلم يرد بها الخلافة قطعاً ولا اللفظ يدل على ذلك لتعدد معاني المولى، ففي مختار الصحاح يقول الرازي: (المولى المَعْتَقُ والمُعْتَقُ وابن العمِّ والناصر والجار والحليف.. والموالة ضد المعادة. وقال: الولاية بالكسر السلطان والولاية بالفتح والكسر النصر)^(١)، وقال الفيروزآبادي: (الْوَيْ: القرب والدنو... والْوَيْ: الاسم منه، والمحِب والصديق، والناصر، وولي الشيء، وعليه ولايةٌ وولايةٌ أو هي المصدر وبالكسر: الخطة والإمارة والسلطان... والمَوْلى: المالك، والعبد، والمُعْتَقُ، والمُعْتَقُ، والصاحب، والابن، والعم، والنزيل، والشريك، وابن الأخت، والْوَيْ، والرب، والناصر، والمنعم، والمنعم عليه، والمحِب والتابع، والصهر)^(٢).

(١) مختار الصحاح، ٧٤٠.

(٢) القاموس المحيط ص ١٧٣٢.

ومن هنا نعلم أن المولى جاءت بمعنى النصرة وغيرها من التعريفات السابقة فجعلها في معنى السلطان يحتاج إلى دليل واضح لإثبات ذلك، هذا بالإضافة لتعذر حمل المولى على الوالي.

يقول شيخ الإسلام: (وليس في الكلام ما يدل دلالة بيّنة على أن المراد به الخلافة. وذلك أن المولى كالولي، والله تعالى قال: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا [المائدة: ٥٥] وقال: وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ [التحریم: ٤] فبيّن أن الرسول وليّ المؤمنين، وأنهم موالیه أيضاً، كما بيّن أن الله وليّ المؤمنين، وأنهم أولياؤه، وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، فالموالاة ضد المعادة، وهي تثبت من الطرفين، وإن كان أحد المتوالين أعظم قدراً، وولايته إحسان وتفضل، وولاية الآخر طاعة وعبادة، كما أن الله يحب المؤمنين، والمؤمنون يحبونه، فإن الموالاة ضد المعادة والمحاربة والمخادعة، والكفار لا يحبون الله ورسوله، ويحادّون الله ورسوله ويعادونه.

ولكن ما الذي استوجب قوله ﷺ لهذا في حق علي عليه السلام؟

لا جدال في أن علياً عليه السلام كان في اليمن عند خروج الرسول ﷺ إلى حجة الوداع، وأنه عليه السلام لحق به وحج معه^(١). وهناك في اليمن حصلت أمور بينه وبين أصحابه توضحها روايات عدة:

منها: ما رواه عمرو بن شاس الأسلمي: أنه كان مع علي بن أبي طالب في اليمن، فجفاه بعض الجففة فوجد عليه في نفسه، فلما قدم المدينة اشتكاه عند من لقيه، فأقبل يوماً

(١) نقلاً عن كتاب الإمامة والنص، لفصيل نور، ٦٠٥

(٢) الإرشاد: ٨٩، إعلام الوری: ١٣٧، الكافي: ٢/٢٣٣، أمالي الطوسي: ٢٥٢، البحار: ٣٧٣/٢١، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٩١، ٣٩٦.

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، فنظر إليه حتى جلس إليه، فقال: يا عمرو بن شاس، لقد آذيتني، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أعود بالله وبالإسلام أن أؤذي رسول الله، فقال: (من آذى علياً فقد آذاني) (١).

وعن الباقر قال: «بعث النبي ﷺ علياً إلى اليمن، فذكر قضاءه في مسألة فيها أن علياً جهلته قد أبطل دم رجل مقتول، فجاء أولياؤه من اليمن إلى النبي يشكون علياً فيما حكم عليهم، فقالوا: إن علياً ظلمنا وأبطل دم صاحبنا، فقال رسول الله ﷺ: إن علياً ليس بظلام» (٢).

وفي رواية: أن النبي ﷺ لما أراد التوجه إلى الحج كاتب علياً جهلته بالتوجه إلى الحج من اليمن، فخرج بمن معه من العسكر الذي صحبه إلى اليمن ومعه الحلل التي كان أخذها من أهل نجران، فلما قارب مكة خلف على الجيش رجلاً، فأدرك هو رسول الله ص، ثم أمره بالعودة إلى جيشه، فلما لقيهم وجدهم قد لبسوا الحلل التي كانت معهم، فأنكر ذلك عليهم، وانتزعها منهم، فاضطغنوا لذلك عليه، فلما دخلوا مكة كثرت شكايتهم من أمير المؤمنين جهلته، فأمر رسول الله ﷺ مناديه فنادى في الناس: (ارفعوا ألسنتكم عن علي بن أبي طالب؛ فإنه خشن في ذات الله عز وجل، غير مداهن في دينه) (٣).

وعن عمران بن حصين جهلته قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب جهلته، فمشى في السرية وأصاب جارية، فأنكروا ذلك عليه، وتعاقد أربعة من

(١) إعلام الوری: ١٣٧، البحار: ٣٦٠/٢١.

(٢) البحار: ٣٦٢٣٨/٢١، ٣١٦/٤٠، ٣٨٩/١٠٤، ٤٠٠، أمالي الصدوق: ٣٤٨، الكافي: ٣٧٢/٧.

(٣) الإرشاد: ٨٩، إعلام الوری: ١٣٨، البحار: ٣٨٣/٢١، المناقب: ١١٠/٢.

أصحاب رسول الله، فقالوا: إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع علي.. فذكر شكوى الأربعة وإعراض رسول الله ﷺ عنهم، وقوله: (من كنت مولاه فعلي مولاه)^(١). وهكذا بدأت تتضح الصورة.

وعن بريدة جليله قال: بعثنا رسول الله في سرية، فلما قدمنا قال: كيف رأيتم صحابة صاحبكم؟ قال: فيما شكوته أو شكاه غيري، قال: فرفعت رأسي وكنت رجلاً مكباً، قال: فإذا النبي قد احمر وجهه وهو يقول: (من كنت وليه فعلي وليه)^(٢).

وفي رواية عنه أيضاً جليله قال: غزوت مع علي اليمن، فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله ﷺ تنقصته، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال: يا بريدة، أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: (فمن كنت مولاه فعلي مولاه)^(٣).

وفي أخرى: أن رجلاً كان باليمن فجفاه علي بن أبي طالب، فقال: لأشكونك إلى رسول الله ﷺ، فقدم على رسول الله ﷺ فسأله عن علي فشنا عليه، فقال: (أنشدك بالله الذي أنزل علي الكتاب واختصني بالرسالة عن سخط تقول، ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: ألا تعلم أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قال: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه)^(٤).

(١) البحار: ٣٧/٣٢٠، ٣٨/١٤٩.

(٢) البحار: ٣٧/٢٢٠.

(٣) البحار: ٣٧/١٨٧، الطرائف: ٣٥، العمدة: ٤٥.

(٤) أمالي الطوسي: ٦١٠، البحار: ٣٣/٢١٨٣٨/١٣٠.

فدلت هذه الروايات على أن سبب قوله ﷺ لذلك إنما كان بسبب ما ذكرناه من شكوى الناس منه، وأنه ليس المراد به الدلالة على الوصاية إليه لجعله على سبب، وبعد تفرق الحجيج وانصراف كل أهل ناحية إلى ناحيتهم.

وكتب الإمامية تذكر أن قوله ﷺ في حق علي عليه السلام: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، قد كان تكرر منه قبل الغدير بسنين عديدة، مما يدل على أنه ليس فيما كان في يوم الغدير خاصية مختلفة لقوله هذا عن ذي قبل سوى أن قوله يوم ذاك كان في محضر الكثير من أصحابه الذين خرجوا معه للحج، ومن تكرر شكوى الناس منه في اليمن، فتوهم من توهم أن قوله ذلك إنما كان لييان إمامته.

ومن الروايات في ذلك ما كان يوم المؤاخاة الذي ذكرناه، حيث آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار وترك علياً فبكى فذهب إلى بيته، فأرسل رسول الله ﷺ بلالاً عليه السلام في طلبه، فقال: (يا علي، أجب النبي. فأتى علي النبي، فقال النبي: ما يبكيك يا أبا الحسن؟ فقال: آخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله وأنا واقف ترائي وتعرف مكاني ولم تؤاخ بيني وبين أحد، قال: إنما ذخرتك لنفسي، ألا يسرك أن تكون أخا نبيك؟ قال: بلى يا رسول الله، أتى لي بذلك؟ فأخذ بيده فأرقاه المنبر، فقال: اللهم إن هذا مني وأنا منه، ألا إنه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه^(١).

والمؤاخاة كانت في بداية الهجرة.

ومنها: ما كان يوم التصديق بالخاتم، فعن زيد بن الحسن، عن جده عليه السلام قال: سمعت عمار بن ياسر عليه السلام يقول: (وقف لعلي بن أبي طالب سائل وهو راكع في صلاة تطوع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله ﷺ فأعلمه ذلك، فنزل على النبي ﷺ هذه

(١) الروضة: ١١، البحار: ٣٧/١٨٦٣٨/٣٤٤.

الآية: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ [المائدة: ٥٥]، فقرأها رسول الله ﷺ علينا، ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(١).

ومنها: ما جاء في حديث الطير وقول الرسول ﷺ: (اللهم ائني بأحب خلقك إليك، فجاء علي، فقال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)^(٢). وغيرها.

فهذه مواطن ذكرها الإمامية وقال فيها رسول الله ﷺ: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)، وهي مقولة الغدير تماماً.

فإن كان ما نحن فيه من استدلال هو دليل النص على الإمامة، فقد بطلت النصوص السابقة، وإن كان العكس فأبي جديد في الغدير؟!

ويذكرني هذا بقول الصدوق في حديث الغدير: (ونظرنا فيما يجمع له النبي ﷺ الناس ويخطب به ويعظم الشأن فيه، فإذا هو شيء لا يجوز أن يكونوا علموه فكرره عليهم، ولا شيء لا يفيدهم بالقول فيه معنى، لأن ذلك صفة العايب، والعبث عن رسول الله ﷺ منفي)^(٣).

فهذا اعتراف من الصدوق أن كل ما سبق الغدير من استدلال ليس فيه ما يفيد النص على الإمامة لعلي عليه السلام؛ لأنه لا يجوز أن يكون شيئاً علموه فكرره عليهم.

وبعيداً عن كل ما ذكرناه، لتكلم الآن في دلالة ما صح من حديث غدير خم وهو قوله ﷺ: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)، حيث إن هذا الجزء يكاد يتفق عليه جميع المسلمين، وهو صحيح كما ذكرنا في مقدمة هذا الاستدلال.

(١) العياشي: ٣٥٦/١، البرهان: ٤٨٢/١، البحار: ١٨٧/٣٥.

(٢) بشارة المصطفى: ٢٠٢، البحار: ٣٥٤/٣٨.

(٣) معاني الأخبار: ٦٧، البحار: ٢٢٥/٣٧.

فنقول: ورد ذكر الموالة ومشتقاتها في القرآن الكريم في عشرات المواضع وكذلك في السنة الشريفة والآثار، وكلها تدل على أن معنى الموالة تحمل على وجوه عدة ومعانٍ مشتركة قد تبلغ الثلاثين، وقد مر بك ذكرها. ولا شك أن الكثير من هذه الألفاظ لا تنطبق على حديثنا، ولكن أقربها إلى مدلوله هي لفظة [الموالة] التي هي ضد المعادة والمحاربة والمخادعة، وليست الإمارة والخلافة، لذا لم يقل عليه السلام: من كنت واليه فعلي واليه أو قريباً من هذا. وأما كون المولى بمعنى الوالي فهذا باطل، فإن الولاية تثبت من الطرفين؛ فإن المؤمنين أولياء الله وهو مولاهم، وفي الحديث دليل صريح على اجتماع الولايتين في زمان واحد، إذ لم يقع التقييد بلفظ [بعدي]، بل يدل سياق الكلام على التسوية بين الولايتين في جميع الأوقات من جميع الوجوه كما هو الأظهر، وشركة علي عليه السلام للنبي عليه السلام في التصرف في عهده ممتنعة، فهذا أدل دليل على أن المراد وجوب محبته، إذ لا محذور في اجتماع محبتين، بل إحداهما مستلزمة للأخرى، سواء في حياتها أو بعد وفاتها صلوات الله عليهما، أما اجتماع التصرفين ففيه محذورات كثيرة كما لا يخفى.

وهذا يجزنا إلى القول أن إمامته عليه السلام غير مرادة في زمن الخطاب، لأن ذلك عهد النبوة، والإمامة نيابة فلا تتصور إلا بعد انتقال النبي عليه السلام، وإذا لم يكن زمن الخطاب مراداً، تعين أن يكون المراد الزمان المتأخر عن زمن الانتقال ولا حد للتأخير، فليكن ذلك بالنسبة إلى علي بعد مضي زمان أبي بكر وعمر وعثمان عليهم السلام أجمعين، وبهذا يتحقق الوفاق بين الفريقين.

نعم، لا يخلو تخصيص علي عليه السلام بالذكر بهذه الموالة التي هي ضد المعادة من علة، وقد بينا أن ذلك بسبب ما ذكرناه من شكوى الناس، ومن علمه عليه السلام بالوحي من وقوع

الفساد والبغي في زمن خلافته، وإنكار بعض الناس لإمامته بل ومحاربته، حتى احتج هو عليه السلام بحديث الغدير لإلزامهم بمولاته ومناصرته.

وهذا موافق تماماً لقول الإمام العسكري عليه السلام لما سأله الحسن بن طريف: «ما معنى قول رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ قال: أراد بذلك أن جعله علماً يعرف به حزب الله عند الفرقة»^(١).

وهذا الحسين عليه السلام يقول لجيش الشام: «أتعلمون أن علياً ولي كل مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: نعم»^(٢).

فهل فهموا من ذلك أنه إمام منصوص، حتى بايعوا غيره، وقتلوا ابنه عليه السلام؟! وهكذا.. والإمامية أوردوا في مصنفاتهم ما يفيد عدم فهم الناس لحديث غدير خم على أنها الخلافة العامة للمؤمنين، ومن هذه الروايات:

عن أبي إسحاق قال: قلت لعلي بن الحسين: «ما معنى قول النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه...» الرواية^(٣)؟

وعن أبان بن تغلب قال: «سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قول النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقال: يا أبا سعيد، تسأل عن مثل هذا؟»^(٤).

وعن أبي التيهان قال: «أنا أشهد على النبي أنه أقام علياً، فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه ولي من كان رسول الله مولاه»^(٥).

(١) كشف الغمة: ٣/٣٠٣، البحار: ٣٧/٢٢٣٥٠/٢٩٠، إثبات الهداة: ٢/١٣٩.

(٢) أمالي الصدوق: ١٣٥، البحار: ٤٤/٣١٨.

(٣) أمالي الصدوق: ١٠٧، معاني الأخبار: ٦٥، البحار: ٣٧/٢٢٣، إثبات الهداة: ٢/٣٤.

(٤) معاني الأخبار: ٦٦، البحار: ٣٧/٢٢٣.

(٥) الخصال: ٤٦٥، البحار: ٢٨/٢١٣.

ويؤكد هذا رواية الصادق، أن النبي ﷺ قال: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، وعلي أولى به من بعدي، فليل لي: ما معنى ذلك؟ قال: قول النبي ﷺ: من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالاً فلورثته»^(١).

فانظر هنا.. فرغم صراحة اللفظ إلا أنه لم يحمل على الخلافة العامة.. فتأمل!
وعن الصادق أيضاً قال: «لما أقام رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يوم غدِير خم، أنزل الله تعالى على لسان جبرئيل، فقال له: يا محمد، إني منزل غداً ضحوة نجماً من السماء يغلب ضوؤه على ضوء الشمس، فأعلم أصحابك أنه من سقط ذلك النجم في داره فهو الخليفة من بعدك، فأعلمهم رسول الله، فجلسوا كلهم كل في منزله يتوقع أن يسقط النجم في منزله، فما لبثوا أن سقط النجم في منزل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة»^(٢).

فكأن واضح هذه الرواية يؤكد ما نحن بصده من عدم فهم من حضر الغدير وقد عرفت عددهم، وعرفت معنى قول النبي ﷺ: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، من أنها تعني الخلافة بعده، حتى انتظروا إلى يوم التاسع عشر من ذي الحجة ليروا على دار من سيسقط ذلك النجم، فيكون الخليفة بعد النبي ﷺ.

والروايات في الباب كثيرة، وكلها تدل على خلاف هذا الفهم وإليك المزيد:
عن سالم قال: قيل لعمر: «نراك تصنع بعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: إنه مولاي».

وعن الباقر قال: «جاء أعرابيان إلى عمر يختصمان، فقال عمر: يا أبا الحسن، اقض بينهما. فقضى على أحدهما، فقال المقضي عليه: يا أمير المؤمنين، هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر

(١) الكافي: ٤٠٧/١، البحار: ٢٧/٢٤٨، نور الثقلين: ٤/٢٤٠، ٢٣٧.

(٢) فرائد: ٢/٤٥٢، البحار: ٣٥/٢٨٣.

فأخذ بتلابيبه ولبيّه، ثم قال: ويحك ما تدري من هذا؟! هذا مولاي ومولى كل مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن»^(١).

فاسأل نفسك: هل فهم من وثب إلى الأعرابي أنه وثب على حق من اشتكى منه الأعرابي؟

ولعل أبلغ من هذا كله ذكر ما كان من أهل البيت، وهل أنهم فهموا مما كان من شأن الغدير ما ادعاه القوم لهم؟

ذكر الإمامية أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: أما ترضى أن تكون أخي وأكون أخاك وتكون وليي ووصيي ووارثي^(٢)؟

فهل يعني الرسول ﷺ أن يقول لعلي عليه السلام: وتكون أميراً أو خليفة علي؟

وعن الصادق قال: «لما فتح رسول الله مكة قام على الصفا، فقال: يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب، إني رسول الله إليكم، وإني شفيق عليكم، لا تقولوا: إن محمداً منا، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلا المتقون»^(٣).

وعن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ليلة الإسراء: اشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحمة عرشي أن علياً وليي ووليُّ رسولي ووليُّ المؤمنين بعد رسولي»^(٤).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي: (إنك وليي، ووليي ولي الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله). وفي رواية: (ووليك وليي، ووليي ولي الله)^(٥).

فماذا تفهم من هذه النصوص غير الموالاتة التي هي المحبة.

(١) البحار: ١٢٤/٤٠.

(٢) أمالي الطوسي: ٢١١، البحار: ١٤/٣٧.

(٣) صفات الشيعة: ٤، البحار: ١١١/٢١.

(٤) البحار: ٢٨٢/٢٣، تفسير فوات: ٣٤٢/١.

(٥) الخصال: ٥٠/٢، أمالي الشيخ: ٣١٠، سليم بن قيس: ١٥٣، البحار: ٣٣٧/٣٩، ٣٣٩، ٣٥٢.

وعن رسول الله ﷺ قال: (هبط عليّ جبرئيل، وقال: يا محمد، الله يقرئك السلام، ويقول لك: قد فرضت الصلاة ووضعتها عن المعتل والمجنون والصبي، وفرضت الصوم ووضعتة عن المسافر، وفرضت الحج ووضعتة عن المعتل، وفرضت الزكاة ووضعتها عن المعدم، وفرضت حب علي بن أبي طالب وفرضت محبته على أهل السماء والأرض، فلم أعط أحداً رخصة)^(١).

وعن رسول الله ﷺ في أهل الكساء: (من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني)^(٢).

وعن رباح بن الحارث قال: «جاء رهط إلى أمير المؤمنين، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ فقالوا: سمعنا رسول الله يقول يوم غدیر خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، وكان فيهم نفر من الأنصار، منهم: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله»^(٣).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال لزيد جليله: (أنت أخونا ومولانا)^(٤).
فهذه الروايات التي سردناها سرداً دون تعليق وغيرها كثير، تدل بوضوح على معنى الموالاة.

ولعل في ذكرنا للرواية الآتية كخاتمة لما أسلفناه أبلغ التدليل على مقصودنا، ففيها غنى عن كل ما مر. تقول الرواية: «إن هارون الرشيد سأل الكاظم: إنكم تقولون: إن جميع المسلمين عبيدنا وجوارينا، وإنكم تقولون: من يكون لنا عليه حق ولا يوصله إلينا فليس

(١) الروضة: ٢٧، الفضائل: ١٥٥، المختصر: ١٠١، البحار: ٢٧/١٢٩٤٠/٤٧٥٤/٣٨٧.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٨٣، البحار: ٣٥/٢١٠.

(٣) العمدة: ٤٦، البحار: ٣٧/١٤٨، ١٧٧.

(٤) البحار: ٢٠/٣٧٣٣٧/٣٠٧.

بمسلم. فكان مما رد عليه الكاظم: إن الذين زعموا ذلك فقد كذبوا، ولكن ندعي أن ولاء جميع الخلائق لنا - يعني: ولاء الدين - وهؤلاء الجهال يظنون ولاء الملك، حملوا دعواهم على ذلك، ونحن ندعي ذلك لقول النبي يوم غدیر خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، وما كان يطلب بذلك إلا ولاء الدين»^(١).

وقد ذكر الإمامية أن رسول الله ﷺ قال لعلي: سألت الله عز وجل أن يجعلك ولي كل مؤمن ومؤمنة ففعل^(٢).

فتدبر قوله: [ففعل]. فتحصل لديك من كل ما مر بك الاضطراب الشديد في فهم مقصود الموالاتة، مما يتنافى مع القول بأن رسول الله ﷺ قد استخدم كلاماً مبهماً لبس على الناس أمرهم، وهو الذي أوتي جوامع الكلم، والقائل: أنا أفصح العرب.

ثم إن علياً عليه السلام لم يفهم من رواية الغدير ولا غير الغدير أن ولايته واجبة وخلافها كفر وبطلان وهو يقول: «أما بعد: فإن الله سبحانه بعث محمداً، فأنقذ به من الضلالة، ونعش به من الهلكة، وجمع به بعد الفرقة، ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه، فاستخلف الناس أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر، فأحسن السيرة وعدل في الأمة، وقد وجدنا عليهما أن توليا الأمر دوننا ونحن آل رسول الله وأحق بالأمر، فغفرنا ذلك لهما»^(٣). وفي موطن آخر قال: «ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين أحييا السيرة ولم يعدوا السنة»^(٤). وقال فيهما: «فتولى أبو بكر تلك الأمور، وسدد وقارب واقتصد، وتولى عمر الأمر، فكان مرضي السيرة، ميمون النقيية»^(٥).

(١) فرج المهموم: ١٠٧، البحار: ١٤٧/٤٨.

(٢) الاحتجاج: ٨٤، البحار: ٢/٤٠.

(٣) البحار: ٤٥٦/٣٢، وانظر أيضاً: البحار: ٥٦٨/٣٣، ٥٦٩.

(٤) البحار: ٥٣٥/٣٣.

(٥) البحار: ٥٦٨/٣٣.

لم يفهم علي عليه السلام من رواية الغدير ولا غير الغدير أن ولاية من سبقوه إحداه في الدين، وهو يتذكر قول الرسول صلى الله عليه وآله وإخباره له بما يلقي بعده، فقال: (فعلام أقاتلهم؟ قال: على الإحداث في الدين)^(١).

فهل قاتل الأمير أبا بكر وعمر وعثمان عليه السلام أجمعين، أم التزم التقية خوفاً، وهو القائل: والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، أم قال عن ولايتهم كما روى القوم: «فلم أر بحمد الله إلا خيراً»^(٢)؟

هل فهم عليه السلام من رواية الغدير وغير الغدير أنه إمام وهو يقول: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الخطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك...». إلى أن قال: «وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»^(٣).

يقول هذا عندما اضطربت الأمور في عهده، ولم يقله في الشيخين أو ذي النورين عليه السلام، إنما قال فيهما ما قال من حسن السيرة، والعدل في الأمة، والخير الذي رآه في ولايتهم.

(١) أمالي الطوسي: ٥١٣، البحار: ٤٨/٢٨، إثبات الهداة: ٣٠٠/١، نور الثقلين: ٦٩/٥، وانظر روايات أخرى

في عدم إحداه أبي بكر وعمر وعثمان ي في الدين: البحار: ٢٤٣/٣٢، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٨.

(٢) المناقب: ٣٢٣/١، البحار: ٥/٦٧٤١/٢٨.

(٣) نهج البلاغة: ٢٤١، من كلام له يبين سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحق.

ويذكرني هذا برواية الإمامية عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه الذي يروي فيه الرضا، عن آبائه، عن علي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال فيه: (أبو ذر صديق هذه الأمة)^(١)، وهو يقول لعثمان ا: (اتبع سنة صاحبيك، لا يكن لأحدٍ عليك كلام)^(٢).
وفي رواية: «ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله ورأيت أبا بكر وعمر، هل هديك كهديهم؟»^(٣).

وقول ابن عباس رضي الله عنه: «أمرني رسول الله ﷺ أن أبرأ من خمسة: من الناكثين وهم أصحاب الجمل، ومن القاسطين وهم أصحاب الشام، ومن الخوارج وهم أهل النهروان، ومن القدرية وهم الذين ضاهوا النصارى في دينهم، فقالوا: لا قدر، ومن المرجئة الذين ضاهوا اليهود في دينهم، فقالوا: الله أعلم»^(٤).

فهل أمره النبي ﷺ بالتبري من أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وهم الذين اغتصبوا حق الأمير وأتوا بأعظم من أفعال هؤلاء الخمسة الذين أمر بالتبري منهم بزعم المخالفين. أبداً: لم يفهم علي رضي الله عنه أن خلافة الشيخين خلاف هدي النبي ﷺ، أو أن فلاناً دون آخر أحق بالخلافة من غيره.

لم يفهم رضي الله عنه لا من الغدير ولا غير الغدير أنه أحق بالخلافة، وهو لا يزال يردد القول بكراهيته لها، وهو يعلم يقيناً قول الله تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ [الأحزاب: ٣٦]. وقوله: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا

(١) عيون الأخبار: ٧٠/٢، البحار: ٤٠٥/٢٢.

(٢) البحار: ٤١٩/٢٢.

(٣) البحار: ٤١٨/٢٢.

(٤) الكشي: ٣٨، البحار: ١٥٢/٤٢.

يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [القصص : ٦٨]. وقوله:
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ [الزخرف : ٣١].

هل فهم علي عليه السلام من الغدير وغيره أنه الإمام وهو يقول لمن جاءه مبايعاً: «ألا وإن الله عالم من فوق سمائه وعرشه أني كنت كارهاً للولاية على أمة محمد حتى اجتمع رأيكم على ذلك؛ لأنني سمعت رسول الله يقول: أيا والي ولي الأمر من بعدي أقيم على حد الصراط ونشرت الملائكة صحيفته، فإن كان عادلاً أنجاه الله بعدله، وإن كان جائراً انتقض به الصراط حتى تتزائل مفاصله، ثم يهوي إلى النار فيكون أول ما يتقيها به أنفه وحر وجهه، ولكن لما اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم»؟^(١)

هل تفهم - عزيزي القارئ - من هذه الرواية أن هناك نصاً على من يأتي بعده عليه السلام، أو أن هناك شروطاً يجب أن تتوفر فيه فحسب؟ وهل من جاء بعده سينجيّه بعدله، كما قال ا: «فاستخلف الناس أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر، فأحسننا السيرة، وعدلا في الأمة» أم سيتنقض بهم الصراط لجورهم، كما يرى من يدعي أنه من شيعته ا؟

ألم يعلم أنه الخليفة الحق والمنصوب من الله عز وجل وغيره غاصب لهذا الحق، وهو يقول لطلحة والزبير: «نشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتاني إليها وأنا كاره لها» وفي موضع آخر: «فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتوني إليها وحملتوني عليها، فخفت أن أردكم فتختلف الأمة»؟^(٢)

ألم يعلم كل هذا، وهو يقول للمهاجرين والأنصار وقد جاءوا البيعة: «لا حاجة لي في أمركم أنا بمن اخترتم راض»؟^(٣)

(١) أمالي الطوسي: ٧٣٦، البحار: ١٧/٣٢، ٢٦.

(٢) أمالي الطوسي: ٧٣٦، البحار: ٢١/٣٢، ٥٠.

(٣) البحار: ٣١/٣٢ نقلاً عن الكافية لإبطال توبة الخاطئة، للمفيد.

ويقول لطلحة لما برز الناس للبيعة عند بيت المال: «إبسط يدك للبيعة، فقال له طلحة: أنت أحق بذلك مني، وقد استجمع لك الناس ولم يجتمعوا لي»^(١).
 فهل كان له الاختيار والأمر في أن يبايع هذا أو يتركه لذلك، أو أن ذلك إلى الله وليس للبشر حق الاختيار، وأن طلحة وقبله الشيخين عليه السلام سيكونون بذلك أئمة ليسوا من الله؟! الله!

ألم يعلم عليه السلام أنه منصوص من الله ورسوله عليه السلام وهو يقول: «أتيتموني لتبايعوني، فقلت: لا حاجة في ذلك، ودخلت منزلي فاستخر جتموني، فقبضت يدي فبسطتموها وتداكتم علي حتى ظننت أنكم قاتلي، وأن بعضكم قاتل بعض، فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل، وقد علم الله سبحانه أني كنت كارهاً للحكومة بين أمة محمد»^(٢)؟! محمد!

ألم يعلم كل ذلك وهو يقول لما أراده الناس على البيعة بعد مقتل عثمان عليه السلام: «دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً»^(٣)؟!
 فهل رأى عليه السلام أن اختياره أو اختيار الصحابة خير من اختيار الله عز وجل، وهو يقرأ:
 : وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ [القصص: ٦٨].؟! :

(١) البحار: ٣٢/٣٢ نقلاً عن الكافية لإبطال توبة الخاطئة.

(٢) البحار: ٦٣/٣٢.

(٣) نهج البلاغة: ١٧٨، من كلام له لما أراده الناس على البيعة بعد مقتل عثمان ا، البحار: ٨/٣٢، ٢٣، ١١٠/٢، المناقب: ١١٦/٣٥٤١.

وقد قال رسول الله ﷺ كما تروي الإمامية: (إن الله خلق آدم من طين كيف يشاء، ثم قال: ويختار، إن الله اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق فانتجبنا، فجعلني الرسول وجعل علي بن أبي طالب الوصي، ثم قال: ما كان لهم الخيرة، يعني: ما جعلت للعباد أن يختاروا ولكن أختار من أشاء)^(١).

فهل رأى ذلك؟ وهل هذا إلا كمن يقول: إن رسول الله ﷺ قد قال لهذا أو ذاك: أبسط يدك للنبوّة؟!

فهل علم ﷺ هذا وهو يقول: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها وحملتموني عليها فكرهت خلافتكم»^(٢)؟! هل كان يرى مخالفة الله الذي اختاره من دون الناس من فوق سبع سموات، هل كان يرى مخالفته جائزة، وطاعة البشر واجبة؟!

هل علم هذا عندما قال: «وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداكتم علي تداكك الإبل الهيم على حياضها يوم وردّها، حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطيء الضعيف..» إلى آخر ما قاله ﷺ واصفاً بيعته بالخلافة^(٣)؟!

هل علم هذا وهو يقول: «إني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى أكرهوني»^(٤). وقال: «فلما رأيت ذلك منكم رويت في أمري وأمركم، وقلت: إن أنا لم أجهم إلى القيام بأمرهم لم يصيبوا أحداً يقوم فيهم مقامي ويعدل فيهم عدلي»^(٥)؟!

(١) البحار: ١٦٧/٣٦، الطرائف: ٢٤.

(٢) أمالي الطوسي: ٧٤٠، نهج البلاغة: ٣٩٧، البحار: ٣٠/٣٢، ٥٠.

(٣) نهج البلاغة: ٤٣٠، البحار: ٥١/٣٢، وانظر أيضاً: البحار: ٣٤/٣٢، ٧٨، ٥٦٩/٩٨٣٣، = المناقب:

٣٧٥/٢، الإرشاد: ١٣٠، الاحتجاج: ١٦١.

(٤) المناقب: ٣٧/٢، البحار: ١٢٠/٣٢، ١٢٦، ١٣٥، كشف الغمة: ٢٣٨/١.

(٥) الإرشاد: ١٣٩، البحار: ٣٨٧/٣٢.

هل وهل.. وهو لا يزال يردد ويقول بكراسته لأمر لولاه لما خلق الله شيئاً، حتى :
وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [القصص :
٦٨]. قال لابن عباس رضي الله عنه وقد رآه يخصف نعله: «ما قيمة هذه النعل؟ فقال: لا قيمة
لها، فقال: والله هي أحب إلي من إمرتك»^(١).

أبداً لم يكن صلى الله عليه وسلم يرى أن مشروعية خلافته مستمدة من تلك النصوص المزعومة، وأنه لو
كان من ذلك شيء حق لقاتل عليها حتى لو تظاهرت العرب كلها عليه. بل كان يرى أن
شرعية خلافته إنما هي مستمدة من مبدأ الشورى الذي أقره القرآن وأكدته الرسول صلى الله عليه وسلم
بهديه وستته.

كيف لا وهو القائل صلى الله عليه وسلم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من جاءكم يريد أن يفرق الجماعة،
ويغصب الأمة أمرها، ويتولى من غير مشورة فاقتلوه، فإن الله عز وجل قد أذن ذلك)^(٢).
ويقول لمعاوية: «إن الناس تبع المهاجرين والأنصار وهم شهود للمسلمين في البلاد على
ولا تهم وأمراء دينهم، فرضوا بي وبإيعوني، ولست أستحل أن أدع ضرب معاوية يحكم
على هذه الأمة ويركبهم ويشق عصاهم.

فلما بلغ معاوية ذلك قال: ليس كما يقول، فما بال من هو ههنا من المهاجرين والأنصار
لم يدخلوا في هذا الأمر؟ فقال: ويحكمكم! هذا للبدرين دون الصحابة، وليس في الأرض
بدري إلا وقد بايعني وهو معي، أو قد أقام ورضي، فلا يغرنكم معاوية من أنفسكم
ودينكم»^(٣).

(١) البحار: ٧٦/٣٢، ١١٣، الإرشاد: ١٣٢.

(٢) عيون الأخبار: ٦٧/٢.

(٣) البحار: ٤٥٠/٣٢.

وقال لمعاوية في موطنٍ آخر: «إن بيعتي لزمتك بالمدينة وأنت بالشام؛ لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار؛ فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيراً»^(١).

فهو يرى إجماع المهاجرين والأنصار عليه السلام على رجل هو رضا لله. بل ولا يرى بيعته دون رضاهم كما قال: «إن بيعتي لا تكون إلا عن رضا المسلمين وفي ملأ وجماعة»^(٢).

وهو القائل عليه السلام: «وما كان الله ليجعلهم على ضلال ولا يضرهم بعمى»^(٣). وقال له في موطن آخر: «إن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام، وكما لزمت يزيد أخاك بيعة عمر بالمدينة وهو أمير لأبي بكر على الشام.

أما قولك: إن بيعتي لم تصح لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها، فإنها هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب لا يستثنى فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار، والخارج منها طاعن، والمروي فيها مداهن»^(٤).

(١) البحار: ٧٦/٣٦٨٣٣/٣٢، وانظر أيضاً: نهج البلاغة: ٤٤٦، نور الثقلين: ٥٥١/١.

(٢) البحار: ٢٣/٣٢.

(٣) البحار: ٧٨/٣٨٠٣٣/٣٢، شرح النهج للبحراني: ٣٥٦/٤، نهج السعادة: ٩٤/٤.

(٤) البحار: ٨١/٣٣، ٨٢.

وكان يقول له: «واعلم أنك من أبناء الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يعرض فيهم الشورى»^(١).

وكذلك قال ابنه الحسن لمعاوية في كتاب الصلح الذي استقر بينهما: «هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان: صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين»^(٢).

فهل ترى بعد كل هذا أن الأمير أو ابنه ﷺ يرون أن الله عز وجل ورسوله ﷺ قد نصا عليهما ﷺ، أو أنهم يقررون مبدأ الشورى وبه يستمدون شرعية إمامتهم للمؤمنين دون أن يتطرقوا إلى ذكر أي نص من تلك النصوص التي زُعمت لهم، وهم في تلك الحال من الخلاف، وفي موطن هم بأمس الحاجة فيه إلى ذكر نص من تلك النصوص لو وجدت، ليرد به على معاوية الذي احتج عليه بعدم اجتماع أهل الشام عليه؟

فهل قال له علي ﷺ مثلاً: ليس لاختيار أهل الشام أو بيعتهم شأن أو قيمة، ما دام الله عز وجل ورسوله ﷺ قد نصا على إمامتي؟ أو أنه ﷺ دلل على بيعته باجتماع أهل المدينة عليه، حتى لم ير شرعية لخلافته إلا بقياس ذلك علىبيعة الصديق، والفاروق، وذي النورين ﷺ أجمعين، وأن بيعتهم كانت لله رضاً، وأنهم كانوا خلفاء راشدين، يستحقون أن يدعوا من جاء بعدهم بالافتداء بهم، لا أنهم مغتصبون لحق غيرهم.

وأكد إقراره ﷺ بمنهج القرآن الكريم: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ [آل عمران: ١٥٩]. و: وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ [الشورى: ٣٨].

(١) المناقب: ٣٤٩/٢، البحار: ٧٨/٥٧٠٣٣/٣٢.

(٢) كشف الغمة: ١٤٥/٢، البحار: ٦٥/٤٤.

لذا فلا عجب من أن يردد عليه السلام: «إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضىاً».

ولا عجب من أن يقول لمعاوية في المهاجرين والأنصار: «وما كان الله ليجعلهم - وفي لفظ: ليجمعهم - على ضلالة ولا يضرهم بالعمى»^(١). ويقول للخوارج وقد خطئوه وضلّوه: «فإن أبيتم إلا أن ترعموا أني أخطأت وضللت فلم تضللون عامة أمة محمد عليه وآله بضاللي»^(٢)؟ كيف لا وهو عليه السلام قد سمع رسول الله عليه وآله يقول: (لا تجتمع أمتي على ضلالة)^(٣).

ثم يقول هذا الطاعن: (أما الإجماع المدعى على انتخاب أبي بكر يوم السقيفة ثم مبايعته بعد ذلك في المسجد، فإنه دعوى بدون دليل، إذ كيف يكون الإجماع وقد تخلف عن البيعة عليّ والعباس وسائر بني هاشم كما تخلف أسامة بن زيد والزبير وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وخزيمة بن ثابت وأبو بريدة الأسلمي والبراء بن عازب وأبي بن كعب وسهل بن حنيف وسعد بن عباد وقيس بن سعد وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وخالد بن سعيد وغير هؤلاء كثيرون. فأين الإجماع المزعوم يا عباد الله؟ على أنه لو كان علي بن أبي طالب وحده تخلف عن البيعة لكان ذلك كافياً للطعن في ذلك الإجماع إذ أنه المرشح الوحيد للخلافة من قبل الرسول على فرض عدم وجود النص المباشر عليه). ثم يعزو تخلف من ذكرهم عن بيعة أبي بكر

(١) سبق تخريجه.

(٢) البحار: ٣٣/٣٧٣.

(٣) الاحتجاج: ٤٥٠، إرشاد القلوب: ٢٢٥/٢، البحار: ٢٢٥/٢، ٢٠/٥، ٦٨ ١٦/٣٥٠، ٣٩٩ ٤٤/٣٦.

إلى المصادر التالية الطبري، تاريخ ابن الأثير، تاريخ الخلفاء، تاريخ الخميس، الاستيعاب، وكل من ذكر بيعة أبي بكر؟! ولم يشر إلى الجزء أو الصفحة في أي من المصادر السابقة؟؟؟

الرد:

■ لو راجعنا هذه المصادر لم نجد في أي منها ما ادّعه من عدم مبايعة المذكورين للخليفة أبي بكر الصديق، فبالنسبة لتاريخ الطبري فقد ذكر عدة روايات بعضها صحيح والبعض الآخر ضعيف، فذكر حديث ابن عباس الذي أخرجه البخاري وهو حديث طويل وفيه (... أن عمر بن الخطاب قام على المنبر يخطب الناس ليرد على من يقول: لو مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلاناً) فذكر في جملة الحديث قصة السقيفة قوله: (وأنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة، وتخلفت عنا الأنصار بأسرها، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم، فلقينا رجلاً صالحاً قد شهدا بدرًا، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. قالوا: فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم. فقلنا: والله لنأتينهم، قال: فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة. قال: وإذا بين أظهرهم رجل مُزْمَل، قال: قلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عباد، فقلت: ما شأنه؟ قالوا: وجع، فقام رجل منهم فحمد الله، وقال: أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر قريش رهطُ نبينا، وقد دَفَّت إلينا من قومكم دافة، قال: فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر. وقد كنت زوّرت في نفسي مقالةً أقدمها بين يدي أبي بكر، وقد كنت أداري منه بعض الحدّ، وكان هو أوقر مني وأحلم، فلما أردت أن أتكلم، قال: على رسلك. فكرهت أن أعصيه، فقام فحمد الله

وأثنى عليه، فما ترك شيئاً كنت زوّرت في نفسي أن أتكلّم به لو تكلمت، إلا قد جاء به أو بأحسن منه. وقال: أما بعد يا معشر الأنصار، فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا وأنتم له أهل، وإنّ العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش، وهم أوسط العرب داراً ونسباً، ولكن رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي وييد أبي عبيدة بن الجراح. وإني والله ما كرهت من كلامه شيئاً غير هذه الكلمة، إن كنت لأقدم فتضرب عنقي فيما لا يقربني إلى إثم أحبّ إليّ من أن أوامر على قوم فيهم أبو بكر. فلما قضى أبو بكر كلامه، قام منهم رجل فقال: أنا جُذيلُها المُحنك، وعُذيقُها المُرجّب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، قال: فارتفعت الأصوات وكثر اللغط، فلما أشفقت الاختلاف، قلت لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار... ثم ساق الطبري الأثر عن الوليد بن جميع الزهري قال: قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد: (أشهدت وفاة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة. قال: فخالف عليه أحد؟ قال: لا إلا مرتدّ أو من قد كاد أن يرتدّ، لولا أن الله عز وجل ينقذهم من الأنصار، قال: فهل قعد أحد من المهاجرين؟ قال: لا، تتابع المهاجرون على بيعته، من غير أن يدعوهم) ثم ساق رواية حبيب بن أبي ثابت قال: (كان عليّ في بيته إذا أتى فقيل له: قد جلس أبو بكر للبيعة، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء، عجلاً، كراهية أن يبطئ عنها، حتى بايعه، ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأناه فتجلله، ولزم مجلسه)، ثم ساق الطبري بعد ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري من مبايعة عليّ لأبي بكر بعد وفاة فاطمة. وأخيراً ساق رواية أنس بن مالك فيبيعة أبي بكربيعة عامة بعدبيعة السقيفة

ولم يذكر بعدها أي شيء آخر^(١). وأما كتاب تاريخ ابن الأثير فلا يوجد فيه ذكر لما ادعاه هذا الطاعن بشأن تخلف المذكورين عن بيعة أبي بكر. وأما بالنسبة لكتاب تاريخ الخلفاء المنسوب لابن قتيبة فحريّ أن لا نبحت فيه للشك في نسبته إبن قتيبة. وأما تاريخ الخميس فلم أجده مع الأسف الشديد. وأما كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر فقد ساق فيه المؤلف من الأدلة على خلافة الصديق أكثر من أي مطبوع آخر.

■ لو فرضنا جدلاً أن هؤلاء الصحابة المذكورون لم يبايعوا أبا بكر على الخلافة، فهذا أيضاً لا يقدح في البيعة لأنها لا تحتاج إلى إجماع كل الناس، ولكن يكفي موافقة أهل الشوكة والجمهور الذي يقام بهم أمر الخلافة، وهذا ما اتفق عليه أهل العلم. يقول علي عليه السلام كما في نهج البلاغة: لعمرى لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى يحضرها عامّة الناس فما إلى ذلك سبيل!!، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، وليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار.

ثم يتابع هذا الطاعن فيقول: (وإنما كانت بيعة أبي بكر من غير مشورة بل وقعت على حين غفلة من الناس وخصوصاً أولى الحل والعقد منهم كما يسميهم علماء المسلمين إذ كانوا مشغولين بتجهيز الرسول ودفنه، وقد فوجئ سكان المدينة المنكوبة بموت نبيهم وحمل الناس على البيعة بعد ذلك قهراً. كما يشعرونا بذلك تهديدهم بحرق بيت فاطمة إن لم يخرج المتخلفون عن البيعة فكيف يجوز لنا بعد هذا أن نقول بأن البيعة كانت بالمشورة وبالإجماع؟).

الرد:

■ إذا كانت بيعة أبي بكر وقعت من غير مشورة وعلى حين غفلة من المسلمين فكيف يوفق هذا الطاعن بين قوله هذا وقوله قبلاً أن بعضاً من الصحابة قد تخلّفوا عن البيعة؟! فهل كان المسلمون هم الفئة القليلة؟!

■ الإمامية يؤكدون هذه الحقيقة، فهذا إمام الشيعة الاثني عشرية الحسن بن موسى النوبختي يؤكد ذلك في كتابه فرق الشيعة فيقول: (... فصار مع أبي بكر السواد الأعظم والجمهور الأكثر فلبثوا معه ومع عمر مجتمعين عليهما راضين بهما)^(١). وهذا إبراهيم الثقفني أحد كبار الشيعة الاثني عشرية يورد قول علي بن أبي طالب عليه السلام في جزء من رسالة له لأصحابه: «... فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر وإجفاهم إليه ليبياعوه...»^(٢). ثم يشرح محقق الكتاب انثيال الناس، أي: انصبابهم من كل وجه كما ينثال التراب، على أبي بكر! ويقول: قال المجلسي: الإجفال: الإسراع!^(٣) ثم يأتي هذا الطاعن بعد كل ذلك ليكتشف ما غاب عن السنة والشيعة، وهو أن أبا بكر وعمر حملوا الناس على البيعة قهراً؟!!

■ أما قوله عن حرق بيت فاطمة فسيأتي بيانه إن شاء الله.

■ قوله: (وقد شهد عمر بن الخطاب نفسه بأن تلك البيعة كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها، وقال: فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، أو قال: فمن دعا إلى مثلها فلا بيعة له ولا لمن بايعه). أقول: لم ترد الرواية عن عمر بهذا السياق لا في البخاري ولا في غيره، بل وردت في حديث طويل رواه ابن عباس: (أن عمر قام خطيباً في المدينة ليرد شبهة أثارها فلان من الناس وكان مما قال... ثم لأنه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: والله لو قد

(١) فرق الشيعة ص ٢٣، ٢٤.

(٢) الغارات ٣٠٥/١.

(٣) المصدر السابق ٣٠٦/١.

مات عمر بايعة فلاناً، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنها كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن وقى الله شرّها، وليس فيكم من تُقطعُ الأعناقُ إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرةً أن يُقتل^(١)، ومعنى قول عمر أنها كانت فلتة أي: فجأة دون استعداد لها، وهكذا وقعت بيعة أبي بكر فجأة من دون أن يستعدوا أو يتهيئوا لها فوقى الله شرّها، أي: فتنتها، وعلل لذلك بقوله: مباشرة، وليس فيكم من تُقطعُ الأعناقُ إليه مثل أبي بكر، أي: ليس فيكم من يصل إلى منزلة أبي بكر وفضله، فالأدلة عليه واضحة، واجتماع الناس إليه لا يحوزها أحد. يقول الخطابي: (يريد أن السابق منكم الذي لا يلحق في الفضل لا يصل إلى منزلة أبي بكر، فلا يطمع أحد أن يقع له مثل ما وقع لأبي بكر من المبايعه له أولاً في الملاء اليسير ثم اجتماع الناس عليه وعدم اختلافهم عليه لما تحققوا من استحقاقه، فلم يحتاجوا في أمره إلى نظر ولا إلى مشاورة أخرى، وليس غيره في ذلك مثله)^(٢). وبالطبع كان سبب قول عمر هذا؛ لأنه علم أن أحدهم قد قال: لو مات عمر لبايعت فلاناً، أي: يريد أن يفعل كما حدث لأبي بكر، ويتعذر بل يستحيل أن يجتمع الناس على رجل كاجتماعهم على أبي بكر، فمن أراد أن ينفرد بالبيعة دون ملاء من المسلمين فسيعرض نفسه للقتل، وهذا هو معنى قول عمر: تغرةً أن يُقتل، أي: من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضهما للقتل، وهنا يظهر معنى ما أراده عمر في هذه القضية، وهذا الطاعن نقل نقلاً مبتوراً عن عمر وذلك لعدم نقله سبب قوله ذاك، فإذا عرف السبب بطلت الحجّة التي يستند عليها هذا الطاعن، بل وانقلبت عليه لأن عمر عندما ذكر ذلك أراد إظهار الفضيلة والسبق لأبي بكر، وهي

(١) صحيح البخاري برقم ٦٨٣٠.

(٢) نقلاً عن فتح الباري لابن حجر ١٥٠/١٢.

اجتماع الناس عليه واثيأهم إليه، وهذا ما حدث والتاريخ يشهد على ذلك، فمن ظنّ

أنّ قول عمر منقصة لأبي بكر فليعلم أن هذا بسبب نقصان فهمه ليس إلا!!

■ ثم يقول: (أن علياً قال في حق الخلافة: أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرّحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير).

الرد:

١- نحن نجلّ علياً من أن يقول هذا الكلام في حق أبي بكر أو يدعي لنفسه الخلافة، لأنّ أبا بكر لا يتقمص ما ليس من حقه، ولو كان علي محله من الخلافة محل القطب من الرّحى كما يدعيه الطاعن، لما بايعه باتفاق السنة والشيعة.

٢- لو فرضنا جدلاً أن علياً قال ذلك فليس فيه أي قدح في أبي بكر، بل القدح في عليّ أظهر منه في أبي بكر، لأننا قد بينا أن الإجماع قد انعقد لأبي بكر دون إكراه لأحد، فالأنصار والمهاجرون وبمن فيهم بنو هاشم بايعوا دون إكراه ولا قهر، فلم يكن هذا تقمصاً من أبي بكر، وأما الادعاء بأن علياً قال أنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرّحى، فأقول: حاشى لأبي بكر أن يتقدم أحداً ثبت بالنص أنه الخليفة، فلو كانت الخلافة من حق عليّ لباعه الناس دون أبي بكر، فإذا علم ذلك علمنا أن الذي محله من الخلافة محل القطب من الرّحى هو أبو بكر وقد كان، وأما الأدلة التي يقال أنها تثبت الخلافة لعليّ فهي أوهى من بيت العنكبوت فلا تقف في وجه الأدلة على أحقية أبي بكر.

٣- ثبت بالدليل الواضح مبايعة عليّ بن أبي طالب لأبي بكر بالخلافة سواءً في بداية المبايعة أم بعدها بستة أشهر، فكيف يقال أن علياً قال ما قاله فيما يسمّى «الخطبة الشقشقية»، فإن قلنا أنه بايع والكلام مكذوب عليه كان كلامنا حقاً، ولو قالوا: بل بايع تقيّة، قلنا: حاشا

علي أن يكون الحق معه بالنص الواضح والجلي ثم يتنازل عنه لأي أحد وأن يتظاهر بالموافقة على بيعة أبي بكر فهذا عين النفاق والجبن، ونحن ننزهه عالياً من ذلك.

٤ - هل قرأ هذا الطاعن كتاب نهج البلاغة كله أم اختار فقرات معينة لنقلها في كتابه مثبتاً بها ادعاءه؟ ولو راجعنا رسائل علي لوجدنا بها ما يضاد ما نقله هذا الطاعن، ففي إحدى رسائله إلى معاوية التي يحتج بها على أحقيته بالخلافة والبيعة بقوله: «إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لَشَاهِدٍ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ، وَسَمُّوهُ إِمَاماً، كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضاً، فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْعَنٍ، أَوْ بِدْعَةٍ، رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتِلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى»^(١). سبحان ربي! كيف يتوافق قول علي: «لقد تقمَّصها ابن أبي قحافة» مع قوله هنا: «لقد بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان فكيف يكون أبو بكر متقمَّصاً وبنفس الوقت يحتج بها عليّ على صحة خلافته، وكيف يتفق قوله: «إنه ليعلم محلي منها محل القطب من الرحي» مع قوله: «لم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد»!! إضافةً لقوله: «إنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل، وسموه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن، أو بدعة، ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين»!!!

ثم يقول: (إن سعد بن عبادة هاجم أبا بكر وعمر وحاول منعها من الخلافة وأنه لولا مرضه لقاومهم وقتلهم...) إلى آخر هذا الهراء.

الرد :

١- أن هذه الرواية لو كانت صحيحة لكانت قدحاً في سعد وليست مكرمة له، ولكن هذا الفعل والقول في الرواية أجلّ من أن يصدر عن صحابي كأمثال سعد بن عباد سيد الأنصار.

٢- مجرد النقل من كتاب تاريخ الخلفاء المنسوب لابن قتيبة لا يعد صحيحاً.

٣- أنا لن أرد على كذب الرواية بالأدلة والحجج السنية، بل سأرد بما ورد في نهج البلاغة، فقد قال عليّ أن أبابكر بايعه المهاجرون والأنصار، والشورى لهم، وقال أيضاً: «فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه»، وعلى فرض صدور ما ادعاه هذا الطاعن على سعد، فأئني مدح أو حجة على مهاجمة سعد لأبي بكر وعمر؟ وقد بايعه المهاجرون والأنصار! فهل عمل سعد هذا يبطل شورى المهاجرين والأنصار؟! وهل إذا خرج عليهم بطعن، يريد قتالهم يكون فعله حقاً؟! أم يجب أن يرد عن ذلك ويقاوم على اتباعه غير سبيل المؤمنين!!

شبهة أن أبا بكر خالف سنة النبي ﷺ في قتاله لمانعي الزكاة:

ومن هذه الشبهات قول البعض: أن أبا بكر خالف سنة النبي ﷺ في قتاله لمانعي الزكاة وأنه اختلف فيها مع أقرب الناس إليه وهو عمر بن الخطاب الذي قال له: لا تقاتلهم لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فمن قالها عصم مني ماله ودمه وحسابه على الله). ولكن أبا بكر لم يقتنع بهذا الحديث وقال: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال»، أو قال: «والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه»،

واقتنع عمر بن الخطاب بعد ذلك وقال: «ما إن رأيت أبا بكر مصمماً على ذلك حتى شرح الله صدري»، ولست أدري كيف يشرح الله صدور قوم بمخالفتهم سنة نبيهم).

الجواب على هذه الشبهة:

■ إن قرار أبي بكر في قتال مانعي الزكاة هو الحق الموافق للكتاب والسنة، وما اتفقت عليه الأمة وفي هذا يقول الله سبحانه: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [التوبة: ٥] وقوله تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [التوبة: ١١] فبيّن الله سبحانه في هاتين الآيتين أن شروط التوبة والدخول في الإسلام يلزم منها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وعدم التفريق بينهما لذلك قال عبد الله بن مسعود: «أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومن لم يزك فلا صلاة له»، وعن ابن عباس: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ [التوبة: ١١]، قال: «حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة»، ويقتضي ذلك أنهم إذا أخلوا بأداء الصلاة أو إيتاء الزكاة فإنه يباح قتالهم حتى يعودوا إلى أدائها كاملة، وهذا ما فعله الصديق عليه السلام مع مانعي الزكاة لذلك قال ابن كثير معلقاً على هذه الآية: (ولهذا اعتمد الصديق عليه السلام في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال وهي الدخول في الإسلام والقيام بأداء واجباته، ونبه بأعلاها على أدناها، فإن أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة التي هي حق الله عز وجل وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج، وهي

أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين، ولهذا كثيراً ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة، وقال عبد الرحمن بن زيد: افترضت الصلاة والزكاة جميعاً لم يفرّق بينهما، وقرأ: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [التوبة: ١١]، وأبأ أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة، وقال: رحم الله أبا بكر، ما كان أفقهه).

■ أما السنة فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقّ الإسلام، وحسابهم على الله)^(١)، فهذا الحديث الصحيح يظهر بوضوح أن عصمة الدم والمال لا تتحقق إلا بتحقيق الإيمان، والإيمان الحقيقي لا يتحقق إلا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وإذا منع الناس الزكاة وجب هنا القتال من أجل أخذها من المطالب بها إلى مستحقيها، وهذا ما فعله أبو بكر الصديق.

■ يبدو أن هذا الطاعن لا يعلم أن كتب المسلمين من شيعة وسنة يشتمون أن الزكاة مثل الصلاة تماماً، ومن المسلم به أن تارك الصلاة يقتل على القول الصحيح المؤيد بالكتاب والسنة فجعل الزكاة مثل الصلاة يبين أن حكمهما واحد. يقول المحقق المحدث المتبحر محمد الحر العاملي في كتابه وسائل الشيعة: (عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قالاً: فرض الله الزكاة مع الصلاة، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال: أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ. فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة لم يقم الصلاة)^(٢)، وهذا رئيس المحدثين يروي في كتابه من لا يحضره الفقيه وهو أحد الكتب الأربعة التي تمثل مرجع الإمامية في الفروع والأصول: (عن

(١) صحيح البخاري برقم ٢٥، صحيح مسلم برقم ٢١.

(٢) وسائل الشيعة ١١/٦.

أبي عبد الله عليه السلام: «من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قول الله عزوجل: حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] وفي رواية أخرى: لا تقبل له صلاة. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «بينا رسول الله ﷺ في المسجد إذ قال: قم يا فلان قم يا فلان قم يا فلان حتى أخرج خمسة نفر فقال: اخرجوا من مسجدنا لا تصلّوا فيه وأنتم لا تزكون». وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»، ولا يكتفي بذلك بل يبيح قتله صراحة فيورد عن أبان بن تغلب عنه عليه السلام أنه قال: «دمان في الإسلام حلال من الله تبارك وتعالى لا يقضي فيهما أحد حتى يبعث الله عزوجل قائمنا أهل البيت، فإذا بعث الله عزوجل قائمنا أهل البيت حكم فيهما بحكم الله عزوجل، الزاني المحصن يرمه، ومانع الزكاة يضرب عنقه»^(١) فكيف إذن يعترض هذا الطاعن على أبي بكر قتاله لمانعي الزكاة حتى يعطوها وليس قتلهم بالطبع.

■ اعتراض عمر بن الخطاب رضي الله عنه في البداية على أبي بكر لأن الأمر قد استشكل عليه فقال: (كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَدَمَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحَسَابِهِ عَلَى اللَّهِ) فاستدل على العموم وبظاهر الكلام ولم ينظر في آخره وهو بحقه، ولما تبين ذلك لعمر وظهر له صواب قول أبي بكر تابعه على قتال القوم.

شبهة موقف أبي بكر من خالد بن الوليد ومقتل مالك بن نويرة:

يقول أحدهم: أن خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة صبراً ونزاً على زوجته فدخل بها في نفس الليلة. وكان عمر يقول لخالد: يا عدوّ الله قتلت امرأة مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمتك بالأحجار، ولكن أبا بكر دافع عنه وقال هبه يا عمر، تأول فأخطأ فارع لسانك عن خالد، وهذه فضيحة أخرى سجّلها التاريخ لصحابي من الأكابر!! إذا ذكرناه، ذكرناه بكل احترام وقداسة، بل ولقبناه بسيف الله المسلول!! ماذا عساني أن أقول في صحابي يفعل مثل تلك الأفعال يقتل مالك بن نويرة الصحابي الجليل!!! سيد بني تميم وسيد يربوع وهو مضرب الأمثال في الفتوة والكرم والشجاعة. وقد حدّث المؤرخون أن خالداً غدر بهالك وأصحابه وبعد أن وضعوا السّلاح وصلّوا جماعة أوثقوهم بالحبال وفيهم ليلى بنت المنهال زوجة مالك وكانت من أشهر نساء العرب بالجمال ويقال أنه لم ير أجمل منها وفتن خالد بجمالها، وقال له مالك: يا خالد! ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، وتدخّل عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري وألحّا على خالد أن يبعثهم إلى أبي بكر فرفض خالد وقال: لا أقالني الله إن لم أقتله. فالتفت مالك إلى زوجته ليلى وقال لخالد: هذه التي قتلتني، فأمر خالد بضرب عنقه وقبض على ليلى زوجته ودخل فيها في تلك الليلة.

الرد:

■ هذا الطاعن لا يذكر إلا الرواية المكذوبة ويتجاهل الروايات التي أوردتها كل كتب التاريخ المعروفة ومن هذه الروايات: لما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوا بكل من لم يجب وإن امتنع أن يقتلوه. وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذّنوا إذا نزلوا منزلاً فإن أذن القوم فكفوا عنهم وإن لم يؤذّنوا فاقتلوا

وانهبوا، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة، فإن أقروا فاقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم. قال: فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع فاختلفت السرية فيهم. وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلّوا فلما اختلفوا أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد منادياً فنادى دفئوا أسراكم وهي في لغة كنانة القتل، فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدفء فقاتلوهم فقتل ضرار بن الأزور مالكا، وسمع خالد الواقعة فخرج وقد فرغوا منهم. فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. وأما الرواية الأخرى: أن خالداً استدعى مالك بن نويرة فأنبه على ما صدر منه من متابعة سجّاح، وعلى منعه الزكاة وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار اضرب عنقه، فضربت عنقه.

■ أما ادعاؤه أن عمر قال لخالد: (يا عدوّ الله قتلت امرأة مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجننك بالأحجار). ويعزوها إلى تاريخ الطبري وأبي الفداء واليعقوبي والإصابة، فهذا من المين الواضح، فبمجرد مراجعة تاريخ اليعقوبي والإصابة فلا تجد لهذه الجملة أثراً؟! وأما تاريخ الطبري فقد أوردها ضمن رواية ضعيفة لا يحتاج بها مدارها على ابن حميد ومحمد بن اسحاق، فمحمد بن اسحاق مختلف في صحته، وابن حميد هو محمد بن حميد بن حيان الرازي ضعيف، قال عنه يعقوب السدوسي: كثير المناكير، وقال البخاري: حديثه فيه نظر، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الجوزجاني: رديء المذهب غير ثقة، وضعّفه ابن حجر في التّريب^(١)، فهذه الرواية ضعيفة الإسناد لا يحتاج بها، ولو فرضنا جدلاً أن عمر قد أشار بقتله فيقال: غاية هذا أن تكون مسألة

اجتهاد، كان رأي أبي بكر فيها أن لا يقتل خالداً، وكان رأي عمر فيها قتله، وليس عمر بأعلم من أبي بكر: لا عند السنة ولا عند الشيعة.

- أما قوله: (وهذه فضيحة أخرى سجلها التاريخ لصحابي من الأكابر، إذا ذكرناه، ذكرناه بكل احترام وقداسة بل ولقبناه بسيف الله المسلول). أقول: أما لقب سيف الله المسلول فالذي لقبه بذلك هو إمام الخلق محمد ﷺ كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيداً فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب. وعيناه تذر فان: حتى أخذها سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم)^(١).
- أما قوله: (بأن مالك بن نويرة صحابي جليل) فهذا الذي لا يقره الواقع والتاريخ، فالمؤرخون أثبتوا أن مالكا كان قد ارتد بعد وفاة النبي ﷺ ولم يكن يؤدي الزكاة وفرق الصدقات بين قومه، وعندما جيء به لخالد وجادله بأمر الزكاة قال له: قد كان صاحبكم يزعم ذلك؟! ومعنى قوله ذلك أنه لم يقر بالزكاة هذا أولاً، وثانياً ذكر النبي ﷺ بقوله: صاحبكم، وهذا هو قول المشركين الذين لم يقرؤا بنبو محمد ﷺ وعدم الإقرار وحده بالزكاة كافياً لقتله، وهذه الرواية ذكرها جميع المؤرخين بما في ذلك الأصفهاني في الأغاني وابن خلكان بخلاف اليعقوبي المعروف بالكذب فكيف يقال بعد ذلك أن مالكا صحابي جليل؟ بل قد ذكر المؤرخون دليلاً آخر على موت مالك مرتداً فقالوا: التقى عمر بن الخطاب متمم بن نويرة أخو مالك، واستنشد عمر متمماً بعض ما رثى به أخاه، وأنشده متمم، فلما سمع عمر ذلك قال: هذا والله التائبين، ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيدا بمثل ما رثيت أخاك. قال متمم: لو أن

أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته، فسر عمر عليه السلام لمقالة متمم وقال: ما عزاني أحد عن أخي بمثل ما عزاني به متمم^(١). وجاء في سياق آخر قول متمم صريحاً فقال: يا أمير المؤمنين! إن أخاك مات مؤمناً ومات أخي مرتداً، فقال عمر عليه السلام: ما عزاني أحد عن أخي بأحسن مما عزيتني به عنه^(٢)، فهل يوجد أوضح من ذلك دليلاً على ردة مالك؟! على ردة مالك؟!

■ أما زواجه بامرأة مالك ودخوله بها في نفس الليلة فهو خلاف الحق، فقد ذكر ابن كثير أن خالدًا اصطفى امرأة مالك ولما حلت بَنَّا بها^(٣)، وذكر الطبري زواج خالد بقوله: .. وتزوج خالد أم تميم ابنة المنهال، وتركها لينقضي طهرها^(٤)، وفي الكامل: (وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك)^(٥). ويقول ابن خلكان الذي استشهد به هذا الطاعن: (وقبض خالد امرأته، فقيل: أنه اشتراها من الفيء وتزوج بها، وقيل: أنها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها إلى نفسه فأجابته؟!)^(٦).

شبهة قول الحسن والحسين عليهما السلام للصدیق عليه السلام له: انزل عن منبر جدنا؟

قالوا: أنه — أي الصدیق عليه السلام — صعد يوماً على منبر رسول الله ﷺ، فقال له السبطان: (انزل عن منبر جدنا) فعلم أن ليس له لياقة الإمامة.

(١) انظر: الكامل لابن الأثير ٢/٢١٨.

(٢) كتاب الأمالي لأبي عبد الله الزيدي ص ٢٥، ٢٦.

(٣) البداية والنهاية ٦/٣٢٢.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٧٣.

(٥) الكامل في التاريخ ٢/٣٥٨.

(٦) وفيات الأعيان ٦/١٤.

والجواب على فرض التسليم:

أن السبطين كانا إذ ذاك صغيرين، فإن الحسن ولد في الثالثة من الهجرة في رمضان، والحسين في الرابعة منها في شعبان، والخلافة في أول الحادية عشرة، فأفعالهما إن اعتبرت بحيث تترتب عليها الأحكام لزم ترك التقية الواجبة، وإلا فلا نقص ولا عيب، فمن دأب الأطفال أنهم إذا رأوا أحداً في مقام محبوبهم ولو برضائه يزاحمونه ويقولون له: قم عن هذا المقام، فلا يعتبر العقلاء هذا الكلام، وهم وإن ميزوا عن غيرهم لكن للصبي أحكاماً، ولهذا اشترط في الاقتداء البلوغ إلى حد كمال العقل. ألا ترى أن الأنبياء لم يبعثوا إلا على رأس الأربعين إلا نادراً كعيسى، والنادر كالمعدوم لا حكم له.

شبهة أن النبي ﷺ لم يأمر أبا بكر قط أمراً مما يتعلق بالدين فلم يكن حرياً بالإمامة.

والجواب:

أن هذا كذب محض تشهد على ذلك السير والتواريخ، فقد ثبت تأميره لمقاتلة أبي سفيان بعد أحد، وتأميره أيضاً في غزوة بني فزارة كما رواه الحاكم عن سلمة بن الأكوع، وتأميره في العام التاسع ليحج بالناس أيضاً ويعلمهم الأحكام من الحلال والحرام، وتأميره أيضاً بالصلاة قبيل الوفاة، وهذا التأمر في حياته وهو معهم ﷺ فكفا منقبة وتزكية، إلى غير ذلك مما يطول. ويجاب أيضاً - على تقدير التسليم - بأن عدم ذلك ليس لعدم اللياقة بل لكونه وزيراً ومشيراً على ما هي العادة. روى الحاكم عن حذيفة بن اليمان أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إني أريد أن أرسل الناس إلى الأقطار البعيدة لتعليم الدين والفرائض كما كان عيسى أرسل الحواريين. فقال بعض الحضار: يا رسول الله! مثل هؤلاء الناس موجودون فينا كأبي بكر وعمر، قال: إنه لا غنى لي عنهما، إنهما من الدين

كالسمع والبصر^(١)، وأيضاً قال ﷺ: (أعطاني الله أربعة وزراء: وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر)^(٢).

شبهة عدم تولية النبي ﷺ أبا بكر البتة عملاً في وقته:

قالوا: (لم يؤل النبي ﷺ أبا بكر البتة عملاً في وقته، بل ولّى عليه عمرو ابن العاص تارة وأسامة أخرى. ولما أنفذه بسورة «براءة» ردّه بعد ثلاثة أيام بوحي من الله، وكيف يرتضي العاقل إمامة من لا يرتضيه النبي ﷺ بوحي من الله لأداء عشر آيات من «براءة؟!»).

والجواب:

أن هذا من أئبن الكذب؛ فإنه من المعلوم المتواتر عند أهل التفسير والمغازي والسير والحديث والفقه وغيرهم: أن النبي ﷺ استعمل أبا بكر على الحج عام تسع، وهو أول حج كان في الإسلام من مدينة رسول الله ﷺ، ولم يكن قبله حج في الإسلام، إلا الحجة التي أقامها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية من مكة؛ فإن مكة فتحت سنة ثمان، وأقام الحج ذلك العام عتاب بن أسيد، الذي استعمله النبي ﷺ على أهل مكة، ثم أمر أبا بكر سنة تسع للحج، بعد رجوع النبي ﷺ من غزوة تبوك، وفيها أمر أبا بكر بالمناداة في الموسم: (أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان)^(٣). ولم يؤمر النبي ﷺ غير أبي بكر على مثل هذه الولاية؛ فولاية أبي بكر كانت من خصائصه، فإن النبي ﷺ لم يؤمر على الحج أحداً كتأمير أبي بكر، ولم يستخلف على الصلاة أحداً كاستخلاف أبي بكر،

(١) مستدرک الحاكم ٣/٧٨ ٤٤٤٨.

(٢) رواه الترمذي برقم ٣٦٨٠، والحاكم في المستدرک ٢/٢٩٠ ٣٠٤٧.

(٣) سبق تخريجه.

وكان عليٌّ من رعيته في هذه الحجة؛ فإنه لحقه فقال: (أمير أو مأمور؟ فقال عليٌّ: بل مأمور)^(١). وكان عليٌّ يصلي خلف أبي بكر مع سائر المسلمين في هذه الولاية، ويأتمر لأمره كما يأتمر له سائر من معه، ونادى عليٌّ مع الناس في هذه الحجة بأمر أبي بكر. وأما ولاية غير أبي بكر فكانت مما يشاركه فيها غيره، كولاية عليٍّ وغيره؛ فلم يكن لعليٍّ ولاية إلا ولغيره مثلها، بخلاف ولاية أبي بكر، فإنها من خصائصه، ولم يؤلَّ النبي ﷺ على أبي بكر لا أسامة بن زيد ولا عمرو بن العاص. فأما تأمير أسامة عليه فمن الكذب المتفق على كذبه. وأما قصة عمرو بن العاص، فإن النبي ﷺ كان أرسل عمرًا في سرية، وهي غزوة ذات السلاسل، وكانت إلى بني عذرة، وهم أحوال عمرو، فأمر عمرًا ليكون ذلك سببًا لإسلامهم، للقرابة التي له منهم. ثم أردفه بأبي عبيدة، ومعه أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين. وقال: (تطاوعا ولا تختلفا. فلما لحق عمرًا قال: أصلي بأصحابي وتصلي بأصحابك. قال: بل أنا أصلي بكم؛ فإنما أنت مدد لي. فقال له أبو عبيدة: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أطاوعك، فإن عصيتني أطعتك. قال: فإني أعصيك. فأراد عمرو أن ينازعه في ذلك، فأشار عليه أبو بكر أن لا يفعل)^(٢). ورأى أبو بكر أن ذلك أصلح للأمر، فكانوا يصلّون خلف عمرو، مع علم كل أحد أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة أفضل من عمرو. وكان ذلك لفضلهم وصلاتهم؛ لأن عمرًا كانت إمارته قد تقدّمت لأجل ما في ذلك من تألف قومه الذين أرسل إليهم لكونهم أقاربه. ويجوز تولية المفضول لمصلحة راجحة، كما أمر أسامة بن زيد، ليأخذ بثأر أبيه زيد بن حارثة، لما قُتل في غزوة مؤتة. فكيف والنبي ﷺ لم يؤمّر على أبي بكر أحدًا في شيء من الأمور؟! وأما قولهم: إنه لما أنفذه ببراءة رده بعد ثلاثة أيام؛ فهذا من الكذب المعلوم أنه كذب. فإن النبي ﷺ لما أمر أبا بكر على الحج،

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة ١٩٠/٤.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه ١٤٧/٢، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٢٤/٢.

ذهب كما أمره، وأقام الحج في ذلك العام، عام تسع، للناس، ولم يرجع إلى المدينة حتى قضى الحج، وأنفذ فيه ما أمره به النبي ﷺ؛ فإن المشركين كانوا يحجون البيت، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، وكان بين النبي ﷺ وبين المشركين عهود مطلقة، فبعث أبا بكر وأمره أن ينادي: (أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان). فنأدى بذلك من أمره أبو بكر بالنداء ذلك العام، وكان علي بن أبي طالب من جملة من نادى بذلك في الموسم بأمر أبي بكر، ولكن لما خرج أبو بكر أردفه النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب لينبذ إلى المشركين العهود. وكان من عادة العرب أن لا يعقد العهود ولا يفسخها إلا المطاع، أو رجل من أهل بيته، فبعث علياً لأجل فسخ العهود التي كانت مع المشركين خاصة، لم يبعثه شيء آخر؛ ولهذا كان علي يصلي خلف أبي بكر، ويدفع بدفعه في الحج، كسائر رعية أبي بكر الذين كانوا معه في الموسم.

شبهة أن أبا بكر استخلف عمر والنبي ﷺ لم يستخلف أحداً:

ومنها أن أبا بكر استخلف عمر والنبي ﷺ لم يستخلف أحداً، فقد خالف بهذا هدي النبي ﷺ !!

والجواب:

أن النبي ﷺ أشار إلى استخلاف أبي بكر، والإشارة إزاء ذلك كالعبرة. وفي زمن الصديق كثر المسلمون من العرب، وهم حديثو عهد بالإسلام وأهله فلا معرفة لهم بالرموز والإشارات، فلا بد من التنصيص والعبارات، حتى لا تقع المنازعات والمشاجرات. وفي كل زمان رجال، ولكل مقام مقال. وأيضاً عدم استخلاف النبي ﷺ إنما كان لعلمه عن طريق الوحي بخلافة الصديق كما ثبت في صحيح مسلم، والصديق لا

يوحى إليه فعمل بالأصلح للأمة كما أدى إليه اجتهاده، ونعم ما عمل، فقد فتح الفاروق البلاد، ورفع قدر ذوي الرشاد، وأباد الكفار وأعان الأبرار.

شبهة قول الصديق عليه السلام: إن لي شيطاناً يعتريني:

ومنها: أن أبا بكر كان يقول: «إن لي شيطاناً يعتريني، فإن أستقممت فأعينوني، وإن زغت فقوموني». ومن هذا حاله لا يليق للإمامة.

والجواب:

أن هذا غير ثابت. بل الثابت أنه أوصى عمر قبل الوفاة فقال: «والله ما نمت فحلمت، وما شبعت فتوهمت، وإن لي على السبيل ما زغت، ولم آل جهداً. وإنني أوصيك بتقوى الله تعالى»^(١) إلخ. نعم قال في أول خطبة خطبها على ما في مسند الإمام أحمد: «يا أصحاب الرسول! أنا خليفة الرسول فلا تطلبوا مني الأمرين الخاصين بالنبي ﷺ: الوحي، والعصمة من الشيطان. وفي آخرها: إنني لست معصوماً بإطاعتي فرض عليكم فيما وافق الرسول وشريعة الله تعالى من أمور الدين، ولو أمرتكم بخلافها فلا تقبلوه مني ونبهوني عليه». وهذا عين الإنصاف.

ولما كان الناس معتادين عند المشكلات الرجوع إلى وحي إلهي وإطاعة النبي ﷺ كان لازماً على الخليفة التنبيه على الاختصاص بالجناب الكريم. وقد روي الكليني عن جعفر الصادق عليه السلام قال: أن لكل مؤمن شيطاناً يقصد إغواءه، وفي الحديث المشهور ما يؤيد هذا أيضاً فقد قال ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن. فقالت الصحابة: حتى أنت يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن الله غلبني عليه لأسلم وآمن من

شره) فأَي طعن فيما ذكروه؟ والمؤمن يعتريه الشيطان بالوسوسة فينتبه، قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ [الأعراف: ٢٠١]. نعم إن النقصان في اتباع الشيطان، وهو بمعزل عنه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: هذا الحديث من أكبر فضائل الصديق عليه السلام وأدناها على أنه لم يكن يريد علواً في الأرض ولا فساداً، فلم يكن طالب رياسة، ولا كان ظالماً، وإنه إنما كان يأمر الناس بطاعة الله ورسوله، والشيطان الذي يعتريه يعترى جميع بني آدم؛... وفي الصحيح عنه قال: (لما مرَّ به بعض الأنصار وهو يتحدث مع صفية ليلاً، قال: على رسلكم، إنها صفية [بنت حيي]. ثم قال: إني خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكم شيئاً؛ إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)^(١). ومقصود الصديق بذلك: إني لست معصوماً كالرسول ص. وهذا حق.

وأما القول: كيف تجوز إمامة من يستعين على تقويمه بالرعية؟ فكلام جاهل بحقيقة الإمامة. فإن الإمام ليس هو رباً لرعيته حتى يستغني عنهم، ولا هو رسول الله إليهم حتى يكون هو الواسطة بينهم وبين الله. وإنما هو والرعية شركاء يتعاونون هم وهو على مصلحة الدين والدنيا؛ فلا بد له من إعانتهم، ولا بد لهم من إعانتة، كأمر القافلة الذي يسير بهم في الطريق: إن سلك بهم الطريق اتبعوه، وإن أخطأ عن الطريق نبّهوه وأرشدوه، وإن خرج عليهم صائل يصول عليهم تعاون هو وهم على دفعه. لكن إذا كان أكملهم علماً وقدرة ورحمة كان ذلك أصلح لأحوالهم. وكذلك إمام الصلاة إن استقام صلّوا بصلاته، وإن سها سبّحوا به فقوّموه إذا زاغ. والناس بعد الرسول عليه السلام لا يتعلمون الدين من الإمام، بل الأئمة والأمة كلهم يتعلمون الدين من الكتاب والسنة. ولهذا لم يأمر الله

عند التنازع برد الأمر إلى الأئمة، بل قال تعالى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ [النساء: ٥٩] الآية؛ فأمر بالرد عند التنازع إلى الله والرسول لا إلى الأئمة وولاية الأمور، وإنما أمر بطاعة ولاية الأمور تبعاً لطاعة الرسول. ولهذا قال النبي ﷺ: (إنما الطاعة في المعروف)^(١). وقال: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^(٢). وقال: (من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه)^(٣).

شبهة قول الصديق: إني لست بخير منكم، وعلي فيكم:

ومنها أن أبا بكر كان يقول للصحابه: «إني لست بخير منكم، وعلي فيكم». فإن كان صادقاً في هذا القول لم يكن لائقاً للإمامة البتة، إذ المفضول لا يليق مع وجود الفاضل. وإن كان كاذباً فكذلك الكاذب فاسق والفاسق لا يصلح للإمامة. والجواب على فرض التسليم فهذا الإمام السجاد عليه السلام كان يقول: «أنا الذي أفنت الذنوب عمره... إلخ» فإن كان صادقاً بهذا الكلام لم يكن لائقاً للإمامة، لأن المرتكب للذنوب لا يصلح للإمامة وهو مناف للعصمة، وكذا إن كان كاذباً، لما مر. فجوابهم في ذلك فهو جوابنا.

شبهة قول الصديق: أقيلوني أقيلوني:

قال البعض أن قوله «أقيلوني أقيلوني» إستعفاء من الإمامة فلا يكون قابلاً لها.

والجواب:

(١) رواه البخاري برقم ٤٣٤٠، ومسلم برقم ١٨٤٠.

(٢) رواه أحمد برقم ١٠٩٥.

(٣) رواه ابن ماجه برقم ٢٨٦٣.

على فرض تسليمه يجاب بما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي لم يقبل الخلافة بعد شهادة عثمان إلا بعد أن كثر إلحاح المهاجرين والأنصار كما في نهج البلاغة، على أنه لو صح ذلك عن أبي بكر لكان دليلاً على عدم طمعه وحبه للرياسة. ويقول ابن تيمية أن هذا كذب، ليس في شيء من كتب الحديث، ولا له إسناد معلوم. فإنه لم يقل: «وعليّ فيكم» بل الذي ثبت عنه في الصحيح أنه قال يوم السقيفة: «بايعوا أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح. فقال له عمر: بل أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ». قال عمر: كنت والله لأن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثم، أحب إليّ من تأمري على قوم فيهم أبا بكر». ثم لو قال: (وعليّ فيكم) لاستخلفه مكان عمر؛ فإن أمره كان مطاعاً.

شبهة جهل الصديق ببعض المسائل الشرعية:

ومنها أن أبا بكر ما كان يعلم بعض المسائل الشرعية، فقد أمر بقطع يد السارق اليسرى، وأحرق لوطياً، ولم يعلم مسألة الجدة والكالالة، فلا يكون لائقاً للإمامة، فالعلم بالأحكام الشرعية من شروط الإمامة بإجماع الفريقين.

الجواب:

- قطع يد السارق اليسرى في السرقة الثالثة موافق للحكم الشرعي.
- الصديق عليه السلام لم يحرق أحداً في حال الحياة، بل الرواية الصحيحة إنما جاءت عن سويد عن أبي ذر أنه أمر بلوطي فضربت عنقه ثم أمر به فأحرق، وإحراق الميت لعبارة الناس جائز كالصلب، ولذلك فإن الميت لا تعذيب له بمثل هذه الأمور لعدم الحياة.

وهذا كما جاء عن حرق علي عليه السلام لبعض الزنادقة، وكما روى المرتضى الملقب بعلم الهدى في كتاب (تنزيه الأنبياء والأئمة) أن علياً أحرق رجلاً أتى غلاماً في دبره^(١).

■ والجواب عن الثالث أن هذا الطعن لا يوجب إلزام أهل السنة، إذ العلم بجميع الأحكام بالفعل ليس شرطاً في الإمامة عندهم، بل الاجتهاد. ولما لم تكن النصوص مدونة في زمنه ولا روايات الأحاديث مشهورة في أيام خلافته استشار الصحابة. وقد روى عبد الله بن بشر أن علياً سئل عن مسألة فقال: (لا علم لي بها). وكذلك كان يجهل حكم المذي فسأل المقداد أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

شبهة تأخر علي عنبيعة الصديق عليه السلام إلى ما بعد وفاة فاطمة عليها السلام.
الجواب:

هذه البيعة هي البيعة الثانية لعلي عليه السلام وذلك أن علياً عليه السلام بايع أبا بكر بيعتين: الأولى: بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. والثانية: بعد وفاة فاطمة عليها السلام. ومن هنا جاء الالتباس، فظن البعض أن علياً لم يبايع أبا بكر إلا بعد وفاة فاطمة، رضوان الله عليهم أجمعين؛ وفي ذلك يقول ابن كثير رحمه الله: (ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية، اعتقد بعض الرواة أن علياً لم يبايع قبلها فنفي ذلك، والمثبت مقدم على النافي كما هو مقرر، والله أعلم)^(٢). أما البيعة الأولى فقد أخرجها الحاكم والبيهقي، وفيما يلي نصها: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان، أحدهما منكم، والآخر منا، قال: فتتابع خطباء الأنصار على

(١) تنزيه الأنبياء ص ٢١١.

(٢) البداية والنهاية ٢٨٦/٥.

ذلك، فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإن الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ. فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم، ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم، ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، ثم انطلقوا. فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير علياً فسأل عنه، فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟! فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه. ثم لم ير الزبير بن العوام فسأله عنه حتى جاؤوا به. فقال: ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟! فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله ص، فبايعاه^(١). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). وقال البيهقي: (قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث: فكتبته له في رقعة وقرأته عليه فقال: هذا حديث يسوى بدنة، فقلت: يسوى بدنة، بل يسوى بدرة!)^(٢). وقال ابن كثير: (هذا إسناد صحيح)^(٣).

وهنا توجب سؤال عن سبب تجديد علي رضي الله عنه البيعة لأبي بكر رضي الله عنه؟

وجواب ذلك أن فاطمة رضي الله عنها كانت أشد الناس توجعاً لوفاة رسول الله ﷺ، حيث حزنّت لفراق والدها رضي الله عنه حزناً شديداً، وأخذت تذبل - رضوان الله عليها - من جراء ذلك يوماً بعد يوم، حتى توفيت بعد ستة أشهر من وفاة رسول الله ﷺ. قال ابن كثير عن توجع فاطمة رضي الله عنها: (ويقال: إنها لم تضحك في مدة بقائها بعده، وأنها كانت تذوب

(١) مستدرک الحاكم ٣/ ٨٠، ٤٤٥٧، سنن البيهقي الكبرى برقم ١٦٣١٥.

(٢) سنن البيهقي الكبرى برقم ١٦٣١٦.

(٣) البداية والنهاية ٥/ ٢٤٩.

من حزنها عليه، وشوقها إليه^(١). وقد أدى ذلك إلى كثرة ملازمة علي عليه السلام لها وقلة ملازمته لأبي بكر الصديق عليه السلام فأشاع المنافقون أن علياً عليه السلام كاره لخلافة الصديق عليه السلام مما دفع علياً إلى تجديد بيعته لأبي بكر الصديق بعد وفاة فاطمة عليها السلام.

شبهة قول أبي بكر: فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته:

وإستدلوا بما ذكره الطبراني في المعجم الكبير من عبد الرحمن بن عوف قال: (دخلت على أبي بكر عليه السلام أعوده في مرضه الذي توفي فيه، فسلمت عليه وسألته: كيف أصبحت، فاستوى جالساً... إلى أن قال: أما إني لا آسى على شيء، إلا على ثلاث فعلتهن، ووددت أني لم أفعلنهن، وذكر منها: فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته، وأن أغلق علي الحرب.. الحديث.

الجواب:

هذا الأثر الضعيف أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ومن طريقه الضياء في المختارة وابن زنجويه في كتاب الأموال والعقيلي في الضعفاء وابن عساكر في تاريخ دمشق والطبري في تاريخه^(٢). وفيه عدة علل:

الأولى: مداره من جميع طرقه على علوان بن داود البجلي وهو راو ضعيف أطبق الأئمة على تضعيفه. قال البخاري عنه: منكر الحديث، وهكذا قال ابن يونس وقد ذكره غير واحد بهذا الأثر وأنه من منكراته منهم الحافظ الذهبي في ميزانه والحافظ ابن حجر في

(١) المصدر السابق ٣٣٤/٦.

(٢) معجم الطبراني الكبير ٤٣ ٦٢/١، الأحاديث المختارة للضياء ٩٠/١، كتاب الأموال ص ١٧٥، تاريخ دمشق ٤٢١/٣٠، ضعفاء العقيلي ٤٢٠/٣.

اللسان والعقيلي في الضعفاء^(١). قال العقيلي في الضعفاء: (لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به)، وقال الهيثمي في المجمع: (رواه الطبراني وفيه علوان بن داود وهو ضعيف وهذا الأثر مما أنكر عليه)^(٢). فإن قيل: قد روي من وجه آخر ليس فيه علوان بن داود كما في رواية ابن عساكر في تاريخه. قلنا: هذا الطريق غير محفوظ، وذلك لأن أبا الهيثم خالد بن القاسم هذا متروك تركه الناس، أي: أئمة الحديث ونقله، تركوه وذلك لأنه كان كذاباً يزيد في الأسانيد وينقص لا سيما عن الليث، وقد خالفه تلاميذ الليث ممن في طبقتهم وهم الثقات فرووه عن الليث بن سعد عن علوان بن داود عن صالح بن كيسان به منهم يحيى بن عبد الله بن بكير وهو ثقة في الليث ومنهم عثمان بن صالح المصري صدوق ومنهم كاتبه أي كاتب الليث أبو صالح، ولا شك أن الجماعة مقدمة في الليث على ذلك الفرد المتروك. ويؤكد ذلك أن الليث بن سعد قد تابعه سعيد بن عفير عند الطبراني فرواه عن علوان بن داود البجلي عن حميد به وسعيد بن عفير ثقة. وعليه فالصحيح أن هذا الأثر كما سبق عن الأئمة من مفردات علوان بن داود ومن منكراته ولا يعرف إلا من طريقه. ولذا قال ابن عساكر في تاريخه وهو الذي أخرج تلك الرواية قال: (رواه خالد بن القاسم المدائني وأسقط منه علوان بن داود وقد وقع لي عالياً من حديث الليث وفيه ذكر علوان ثم أكد ذلك بإسناده العالي عن محمد بن ربح عن الليث عن علوان)^(٣). قلت: ومحمد بن ربح هذا ثقة ثبت. فهؤلاء أربعة من الثقات قد خالفوا ذلك المدائني الكذاب، وعليه فالحديث حديث علوان بن داود لا ريب وهو ضعيف منكر الحديث.

(١) انظر: لسان الميزان ٤/ ١٨٨.

(٢) مجمع الزوائد ٥/ ٣٦٧.

(٣) تاريخ دمشق ٣٠/ ٤١٩.

العلة الثانية: اضطراب علوان بن داود هذا في إسناد حديثه، فمرة يرويه كما سبق عن حميد بن عبد الرحمن بن حميد عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه. ومرة يرويه بإسقاط الرجلين، أي: مباشرة عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه. ومرة يرويه مرسلاً، أي: عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي بكر، أي: دون أن يرويه عن أبيه. ولا غرابة في اضطرابه فهو كما ذكرنا ضعيف منكر الحديث لا يحتمل منه إلا ذلك.

ولأجل ما سبق أطبق جماعة من أئمة الحديث على تضعيف هذا الأثر منهم الحافظ العقيلي في الضعفاء والإمام الذهبي في الميزان والحافظ ابن حجر في اللسان على ما تقدم.

شبهات حول عمر عليه السلام

رزية الخميس.

مر الكلام في قصة رزية الخميس عند الحديث عن الصحابة عليهم السلام.

قصة حرق عمر عليه السلام لبیت فاطمة عليها السلام.

- قالوا أن الصديق عليه السلام قال: وددت أني لم أحرق بيت فاطمة. وقد ذكرنا الرد على هذا وقلنا أن في الرواية علوان بن داود البجلي^(١). قال البخاري وأبو سعيد بن يونس وابن حجر والذهبي: (منكر الحديث). وقال العقيلي (الضعفاء للعقيلي ٣/ ٤٢٠).
- أن ابن أبي شيبة قد أورد رواية أخرى من طريق محمد بن بشر نا عبيد الله بن عمر حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه أسلم «أنه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فيشاورونها ويرجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ﷺ والله ما من أحد أحب إلينا من أبيك، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بهانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك إن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت. قال: فلما خرج عمر جاؤوها فقالت: تعلمون أن عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت وأيم الله ليمضين لما حلف عليه فانصرفوا راشدين فروا رأيكم ولا ترجعوا إلي. فانصرفوا عنها فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي بكر^(٢). الرد: أن هذه رواية منقطعة لأن أسلم كان يرسل وأحاديثه عن عمر

(١) لسان الميزان ٢١٨/٤ ترجمة رقم ١٣٥٧ - ٥٧٠٨، وميزان الاعتدال ١٠٨/٣ ترجمة ٥٧٦٣.

(٢) المصنف ٤٣٢/٧ ترجمة ٤٥٣٧٠.

منقطعة كما صرح به الحافظ ابن حجر^(١)، وكذلك الشيخ الألباني^(٢). ثن أن هذه الرواية فيها أبطال للقول بحصول التحريق إلى التهديد بالتحريق. وأبطال للقول بأن علياً لم يبايع؛ لأن هذه الرواية تقول: فلم يرجعوا إلى فاطمة حتى بايعوا أبا بكر.

■ وفي رواية: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: «والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة. فخرج عليه الزبير مصلاً السيف فعرث فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه»^(٣). والرد: أن في الرواية آفات وعلل منها: جرير بن حازم وهو صدوق يهم، وقد اختلط كما صرح به أبو داود والبخاري في التاريخ الكبير^(٤). والمغيرة وهو ابن المقسم. ثقة إلا أنه كان يرسل في أحاديثه لا سيما عن إبراهيم. ذكره الحافظ ابن حجر في المرتبة الثالثة من المدلسين وهي المرتبة التي لا يقبل فيها حديث الراوي إلا إذا صرح بالسماع.

■ وفي رواية: البلاذري، المتوفى سنة (٢٧٩هـ)، عن سليمان التيمي، وعن ابن عون: «أن أبا بكر أرسل إلى علي عليه السلام، يريد البيعة، فلم يبايع. فجاء عمر ومعه فتيلة أي: شعلة نار، فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا بن الخطاب! أترأك محرقاً علي بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك!»^(٥). الرد: هذا إسناد منقطع من طرفه الأول ومن طرفه الآخر. فإن سليمان التيمي تابعي، والبلاذري متأخر عنه فكيف يروي عنه مباشرة بدون وسيط؟ وأما ابن عون فهو تابعي متأخر بينه وبين أبي بكر انقطاع.

(١) تقريب التهذيب رقم ٢١١٧.

(٢) إزالة الدش ٣٧، ومعجم أسامي الرواة الذين ترجم لهم الألباني ٧٣/٢.

(٣) تاريخ الطبري ٢٣٣/٢.

(٤) ٢٢٣٤/٢.

(٥) أنساب الأشراف ٥٨٦/١.

وفيه علتان: أولاً: جهالة مسلمة بن محارب. ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل^(١)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ولم أجد من وثقه أو ذمه. ثانياً: الانقطاع الكبير من ابن عون وهو عبد الله بن عون توفي سنة (١٥٢) هجرية. ولم يسمع حتى من أنس والصدّيق من باب أولى الحادثة، مع التذكير بأن الحادثة وقعت في السنة الحادية عشر من الهجرة. وكذلك سليمان التيمي لم يدرك الصدّيق توفي سنة (١٤٣) هجرية.

■ رواية: ابن خذابة في كتابه «الغدر» عن زيد بن أسلم قال: «كنت من حمل الخطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع علي وأصحابه من البيعة، فقال عمر لفاطمة: اخرجي كل من في البيت أو لأحرقنه ومن فيه!». قال: وكان في البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي ﷺ. فقالت فاطمة: أفتحرق علي ولدي!! فقال عمر: إي والله، أو ليخرجنّ وليبايعنّ!! الرد: هذا المؤلف مختلف في ضبط اسمه فمنهم من ضبطه باسم (ابن خنزابة) ومنهم باسم (ابن خذابة) ومنهم (خرذابة) ومنهم (ابن جيرانه) ومنهم (ابن خيرانة) ورجح محقق البحار أنه ابن (خنزابة). ولكن ضبطه الزركلي في الأعلام^(٢) باسم (ابن خنزابة جعفر بن الفضل بن جعفر) توفي (٣٩١ هـ). أما كتابه فهو كتاب الغرر وليس كتاب الغدر. ومنهم من ضبطه باسم (العدر). وحسب الرواية كل هذا.

■ رواية ابن عبد ربه في العقد الفريد^(٣)، قال: الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر، علي، والعباس، والزبير، وسعد بن عباد. فأما علي والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة

(١) الجرح والتعديل ٢٦٦/٨.

(٢) الأعلام ١٢٦/٢.

(٣) العقد الفريد ٢٠٥/٢ ط المطبعة الأزهرية، سنة ١٣٢١ هجرية.

حتى بعث إليهم أبو بكر، عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم! فأقبل بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار، فلقيته فاطمة، فقال: يا بن الخطاب! أجئت لتحرق دارنا؟! قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة!!
الرد: أولاً: ابن عبد ربه من أعيان المعتزلة^(١). ثانياً: أنه كان مشهوراً بالنصب أيضاً. فإنه كان يعتقد أن الخلفاء أربعة آخرهم معاوية. ولم يدرج علي بن أبي طالب من جملة الخلفاء (الأعلام للزركلي ١/ ٢٠٧) ومثل هذا نصب عند أهل السنة. ثالثاً: كتابه كتاب في الأدب.

■ رواية محمد بن جرير الطبري في تاريخه (٢٠٣/٣) وما بعدها، قال: دعا عمر بالخطب والنار وقال: لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقنها على من فيها. فقالوا له: إن فيها فاطمة! قال: وإن!! **الرد:** هذه الرواية لا وجود لها في تاريخ الطبري بهذا اللفظ. وإنما هو في كتاب الإمامة والسياسة منسوب ومنحول على ابن قتيبة. وهذا الكتاب لم يثبت له لأسباب منها: أن الذين ترجحوا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً يدعى الإمامة والسياسة. أن مؤلف الكتاب يروي عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه قاضي الكوفة توفي سنة (١٤٨هـ)، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة (٢١٣هـ) أي: بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً. أن الكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى دينور.

■ رواية ابن الحديد في شرح نهج البلاغة (٥٦/٢) روى عن أبي بكر الجوهري، فقال: (قال أبو بكر: وقد روي في رواية أخرى أن سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت

فاطمة ؑ، والمقداد بن الأسود أيضاً، وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً ؑ، فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت، وخرجت فاطمة تبكي وتصيح... إلى آخره. وفي موقع آخر قال: (قال أبو بكر: وحدثنا عمر بن شبة بسنده عن الشعبي، قال: سأل أبو بكر فقال: أين الزبير؟! فقيل: عند علي وقد تقلد سيفه. فقال: قم يا عمر! قم يا خالد بن الوليد! انطلقا حتى تأتيا بي بهما. فانطلقا، فدخل عمر، وقام خالد على باب البيت من الخارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ فقال: نبايع علياً. فاخرطه عمر فضرب به حجراً فكسره، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه وقال: يا خالد! دونكه فأمسكه. ثم قال لعلي: قم فبايع لأبي بكر! فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير فأخرجه، ورأت فاطمة ما صنع بهما، فقامت على باب الحجرة وقالت: يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله!...) إلى آخره. وقال ابن أبي الحديد: (فأما امتناع علي ؑ من البيعة حتى أخرج على الوجه الذي أخرج عليه. فقد ذكره المحدثون ورواه أهل السير، وقد ذكرنا ما قاله الجوهرى في هذا الباب، وهو من رجال الحديث ومن الثقات المأمونين، وقد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثرة). الجواب: ابن أبي الحديد حجة على مثله لا علينا. قال الخونساري -العالم الشيعي-: (هو عز الدين عبد الحميد بن أبي الحسن بن أبي الحديد المدائني صاحب شرح نهج البلاغة، المشهور، هو من أكابر الفضلاء المتبعين، وأعظم النبلاء المتبحرين موالياً لأهل بيت العصمة والطهارة.. وحسب الدلالة على علو منزلته في الدين وعلوه في ولاية أمير المؤمنين ؑ، شرحه الشريف الجامع لكل نفيسة وغريب، والحاوي لكل نافحة ذات طيب.. كان مولده في غرة ذي الحجة (٥٨٦)، فمن تصانيفه «شرح نهج البلاغة» عشرين مجلداً، صنفه لخزانة كتب الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي، ولما فرغ من تصنيفه

أنفذه على يد أخيه موفق الدين أبي المعالي، فبعث له مائة ألف دينار، وخلعة سنية، وفرساً^(١).

- رواية مسلم بن قتيبة بن عمرو الباهلي، المتوفى سنة (٢٧٦) هجرية، قال في كتاب «الإمامة والسياسة»: (إن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي عليه السلام فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالخطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها. فقيل له: يا أبا حفص! إن فيها فاطمة! فقال: وإن!...). إلى آخره. الرد: تقدم الكلام في كتاب الإمامة والسياسة وأنه منسوب ومنحول على ابن قتيبة.

شبهة سقط الجنين المزعومة:

- قال المفترون: ذكر المسعودي صاحب تاريخ «مروج الذهب» المتوفى سنة (٣٤٦) هجرية، وهو مؤرخ مشهور ينقل عنه كل مؤرخ جاء بعده، قال في كتابه «إثبات الوصية» عند شرحه قضايا السقيفة والخلافة: (فهمجوا عليه [علي عليه السلام] وأحرقوا بابه، واستخرجوه كرهاً وضغطوا سيده النساء بالباب حتى أسقطت محسناً!!). الرد: نعم المسعودي مؤرخ مشهور، ولكنه ليس من أهل السنة. فلا حجة به عندنا وإن كان مشهوراً.
- نقل أبو الفتح الشهرستاني في كتابه الملل والنحل (٥٧/١): (وقال النظام: إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها. وكان يصيح [عمر] احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين). انتهى

(١) روضات الجنات ٢٠/٥، ٢١. وانظر الكنى والألقاب للقمي ١٨٥/١، الذريعة، آغا بزرك الطهراني ١٥٨/٤١.

كلام الشهرستاني. وقال الصفدي في كتاب «الوافي بالوفيات ٧٦/٦» في حرف الألف، عند ذكر إبراهيم بن سيار، المعروف بالنظام، ونقل كلماته وعقائده، يقول: (إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها!). الرد: إن الشهرستاني يعدد هنا مخازي وضلالات النظام المعتزلي، وذكر من بلاياه أنه زعم أن عمر ضرب فاطمة حتى ألقت جنينها. قال الشهرستاني: (ثم زاد على خزيه بأن عاب علياً وابن مسعود وقال: أقول فيهما برأيي)^(١). كذلك فعل الصفدي في تعداد مخازي عقائد المعتزلة.

شبهة نسب عمر عليه السلام:

هذا هو نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه السلام الحقيقي وليس كما يفترى عليه. أولاً: اسمه ونسبه: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي. أبو حفص^(٢). ثانياً: اسم أمه ونسبها: هي حنمة ابنة هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وقيل: حنمة بنت هشام بن المغيرة، فعلى هذا تكون أخت أبي جهل وعلى الأول تكون ابنة عمه. قال أبو عمر: (ومن قال ذالك يعني بنت هشام فقد أخطأ ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل والحارث ابني هشام وليس كذلك إنما هي ابنة عمهما؛ لأن هاشماً وهشاماً ابني المغيرة أخوان. فهاشم والد حنمة وهشام والد الحارث وأبي جهل وكان يقال لهاشم: جد عمر (ذو الرمحين)^(٣). وقال ابن مندة: (أم عمر أخت أبي جهل. قال أبو نعيم: هي بنت

(١) الملل والنحل ٥٢/١.

(٢) يلتقي نسب أمير المؤمنين مع الرسول ﷺ في كعب.

(٣) الاستيعاب ١١٤٤/٣.

هشام أخت أبي جهل وأبو جهل خاله. ورواه عن ابن إسحاق. وقال الزبير: حنتما بنت هاشم فهي ابنة عم أبي جهل كما قال أبو عمر وكان هاشم أولاد فلم يعقبوا^(١). أما أم حنمة: فهي الشفاء بنت عبد قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص وقد كان هاشم بن المغيرة ولد فلم يعقبوا^(٢). ثالثاً: اسم الخطاب ونسبه: هو الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي. أمه حية بنت جابر بن أبي حبيب الفهمية. وولد نفيل بن عبد العزى: الخطاب بن نفيل أو عبدنهم^(٣)، لا بقية له، قتل في الفجار، وأمهما: حية بنت جابر بن أبي حبيب، بن فهم وأخوهما لأُمهما: زيد بن عمر بن نفيل^(٤).

فهذا هو نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه السلام الصحيح، أما ما يرويه المخالفين فلا يعتد به.

شبهة في عدالة عمر عليه السلام:

قالوا: (إننا نسمع الكثير عن عدل عمر الذي سارت به الركبان حتى قيل: «عدلت فتمت» وقيل: دفن عمر واقفاً لثلاً يموت العدل معه وفي عدل عمر حدث ولا حرج، ولكن التاريخ الصحيح يحدثنا بأن عمر حين فرض العطاء في سنة عشرين للهجرة لم يتوخَّ سُنَّة رسول الله ولم يتقيَّد بها، فقد ساوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين جميع المسلمين في العطاء فلم يفضل أحداً على أحد، وأتبعه في ذلك أبو بكر مدة خلافته «!»، ولكن عمر بن الخطاب

(١) أسد الغابة ١٣٧/٤، ١٣٨.

(٢) نسب قريش، ٣٠١.

(٣) عبد نهم اسم رجل وهو أخو الخطاب.

(٤) نسب قريش، ٣٤٧.

اخترع طريقة جديدة وفضل السابقين على غيرهم وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة، وفضل العرب على سائر العجم، وفضل الصريح على المولى وفضل مضر على ربيعة، ففرض لمضر ثلاثمائة ولربيعة مائتين وفضل الأوس على الخزرج، فأين هذا التفضيل من العدل يا أولي الأبواب؟.

الجواب:

■ نعم كان عمر يفضل بالعطاء وليس ذلك مما يعاب عليه؛ لأنه لا يوجد دليل في وجوب التسوية في العطاء ولم يقل به أحد من أهل العلم، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان أحياناً يفضل بالعطاء فقد أخرج البخاري في صحيحه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قسّم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً، قال: فسره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن معه فرس فله سهم)^(١).

■ (والمجوزون للتفضيل قالوا: بل الأصل التسوية، وكان أحياناً يفضل، فدلّ على جواز التفضيل، وهذا القول أصح: أن الأصل التسوية، وأن التفضيل لمصلحة راجحة جائز. وعمر لم يفضل لهوى ولا حابى، بل قسّم المال على الفضائل الدينية، فقدّم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ثم من بعدهم من الصحابة، ثم من بعدهم وكان ينقص نفسه وأقاربه عن نظائرهم، فنقص ابنه وابنته عمّن كانا أفضل منه، وإنما يطعن في تفضيل من فضل لهوى، أما من كان قصده وجه الله تعالى وطاعة رسوله، وتعظيم من عظّمه الله ورسوله وتقديم من قدّمه الله ورسوله فهذا يمدح ولا

يُذم، ولهذا كان يُعطي علماً والحسن والحسين ما لا يعطي لنظائريهم، وكذلك سائر أقارب النبي ﷺ ولو سوى لم يحصل لهم إلا بعض ذلك).

■ قسم عمر أهل العطاء إلى طبقات: الطبقة الأولى فئة البدرين من المهاجرين، ثم فئة البدرين من الأنصار، ثم المهاجرين الذين لم يشتركوا في بدر، ثم الأنصار الذين لم يشتركوا في بدر واشتركوا في بقية الغزوات، ثم الذين شهدوا الحديبية وفتح مكة، ثم الذين اشتركوا في فتح القادسية واليرموك، ثم فرض لأناس رواتب خاصة منهم الحسن والحسين، وكان يساوي بين العربي والمولى بخلاف ما يقوله هذا الطاعن، فقد أعطى أهل بدر العرب والموالي على السواء وكتب إلى أمراء الجند: ومن أعتقتم من الحمراء الموالى فأسلموا فألحقوهم بمواليهم، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوتكم في العطاء والمعروف.

شبهة جهل عمر رضي الله عنه بالأحكام:

قال أحدهم: (ونسمع عن علم عمر بن الخطاب الكثير الذي لا حصر له حتى قيل أنه أعلم الصحابة، وقيل أنه وافق ربّه في كثير من آرائه التي ينزل القرآن بتأييدها في العديد من الآيات التي يختلف فيها عمر والنبي. ولكنّ الصحيح من التاريخ يدلّنا على أنّ عمر لم يوافق القرآن حتى بعد نزوله، عندما سأله أحد الصحابة أيام خلافته فقال: يا أمير المؤمنين إني أجنت فلم أجد الماء فقال له عمر: لا تصلّ واضطرّ عمار بن ياسر أن يذكره بالتيمة ولكن عمر لم يقنع بذلك وقال لعمار: إنا نحملك ما تحملت، فأين علم عمر من آية التيمم المنزلة في كتاب الله وأين علمه من سنة النبي الذي علّمهم كيفية التيمم كما علّمهم الوضوء).

الرد:

- لم يرو البخاري هذا الأثر بهذا اللفظ، إنما جاء عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه قال (جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني أجنب فلم أٌصب الماء، فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنّا كنّا في سفر أنا وأنت، فأما أنت لم تُصلّ، وأما أنا فتمعّكت فصلّيت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: إنما كان يكفيك هكذا، فضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفيه^(١).
- من المعلوم أن عمر بن الخطاب كان لا يميز للجنب التيمم ويأخذ بظاهر قوله تعالى: وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا [المائدة: ٦] وقوله: وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا [النساء: ٤٣] وبقي عمر كذلك حتى ذكره عمار بالحادثة بينهما ولكنه لم يتذكر ذلك، ولهذا قال لعمار كما جاء في رواية مسلم: (اتّق الله يا عمار) قال النووي شارح مسلم: (معنى قول عمر: «اتّق الله يا عمار» أي فيما ترويه وتنبّت فيه)^(٢)، «فلعلك نسيت أو اشتبه عليك، فإني كنت معك ولا أتذكر شيئاً من هذا) ولما قال له عمار: «إن شئت لم أحدث به فقال له عمر: نوليك ما توليت وليس نحملك ما تحملت» أي: لا يلزم من كوني لا أتذكره أن لا يكون حقاً في نفس الأمر، فليس لي منعك من التحدّث به فكل ما في الأمر أن عمر لم يتذكر هذه الحادثة، وعمر ليس معصوماً حتى يُجعل هذا مما يعاب عليه.
- وأما قوله: (فأين عمر من آية التيمم المنزلة في كتاب الله، وأين علمه من سنة النبي ﷺ الذي علّمهم كيفية التيمم كما علّمهم الوضوء). والرد أن عمر يعلم هذه الآية ولم يجهلها ويعلم كيفية التيمم، ولكن المشكلة عنده هي هل تشمل الجنب أم لا؟ فالله

(١) رواه البخاري برقم ٣٣٨، ومسلم برقم ٣٦٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٦٢/٤.

سبحانه يقول: وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا [النساء: ٤٣] وعمر لم ير الجنب داخلاً في هذه الآية، والملازمة التي في الآية فسرها بملازمة اليد لا بالجماع لذلك كان يرى وجوب الوضوء لمن لمس المرأة.

شبهة تحريم عمر عليه السلام للمتعة.

قالوا: (وكان عمر بن الخطاب يجتهد ويتأول مقابل النصوص الصريحة من السنن النبوية بل في مقابل النصوص الصريحة من القرآن الحكيم فيحكم برأيه، كقوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما).

الجواب:

■ بالنسبة لتحريم متعة الحج فالصحيح أن عمر لم يحرمها نهى تحريم، وإنما كان يريد إرشاد الناس إلى ما هو أفضل والنهي هنا هو نهى أولوية للترغيب في القران بدل التمتع بالعمرة إلى الحج، وحتى لا يخلو بيت الله الحرام من المعتمرين باقي أيام السنة، ولأن التمتع كان من السهولة بحيث ترك الاعتماد في غير أشهر الحج، ولهذا أراد عمر ألا يخلو بيت الله من المعتمرين فنهاهم عن التمتع على سبيل الاختيار لا على التحريم، وإلا فقد ثبت عن عمر بإباحته فعن ابن عباس قال: (سمعت عمر يقول: والله إني لا أنهاكم عن المتعة، وإنما لفي كتاب الله، وقد فعلها رسول الله ﷺ يعني العمرة في الحج)^(١) وعن الصُّبِّي بن معبد في جزء من الحديث أنه قال لعمر: (إني أحرمت بالحج والعمرة، فقال له عمر: هديت لسنة نبيك ص)^(٢)، ولا شك أن

(١) رواه النسائي برقم ٢٧٣٦.

(٢) رواه أبو داود برقم ١٧٩٨، والنسائي برقم ٢٧٢١، وابن ماجه برقم ٢٩٧٠.

الاعتبار في غير أشهر الحج أفضل من المتعة باتفاق الكثير من الفقهاء. ثبت أيضاً عن أبي ذر أنه كان يحرم متعة الحج مطلقاً كما ثبت ذلك في صحيح مسلم عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله خاصة) (١).

■ وبالنسبة لمتعة النساء فلم يحرمها عمر من تلقاء نفسه بل لأن النبي صلى الله عليه وآله حرّمها فقد أخرج مسلم في صحيحه عن الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدّثه، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهنّ شيء فليخلّ سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) (٢). وأخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن الزهري عن الحسن بن محمد بن علي، وأخوه عبد الله عن أبيهما (أن علياً رضي الله عنه قال لابن عباس: إن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية، زمن خيبر) (٣). فنكاح المتعة حرّم عام الفتح، ولا إشكال في الرواية الأخرى التي فيها أنها حرّمت يوم خيبر، والصحيح أنها لم تحرم عام خيبر (بل عام خيبر حرّمت لحوم الحمر الأهلية، وكان ابن عباس يبيح المتعة ولحوم الحمر فأنكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذلك عليه، وقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله حرّم متعة النساء وحرّم لحوم الحمر يوم خيبر، فقرن علي رضي الله عنه بينهما في الذّكر لما روى ذلك لابن عباس رضي الله عنهما، لأن ابن عباس كان يبيحهما. وقد روى ابن عباس رضي الله عنه أنه رجع عن ذلك لما بلغه حديث النهي عنهما). ولهذا كان سفيان بن

(١) صحيح مسلم برقم ١٢٢٤.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٤٠٦.

(٣) صحيح البخاري برقم ٥١١٥، ومسلم برقم ١٤٠٧.

عينيّة يقول: «قوله: (يوم خير) يتعلّق بالحرّم الأهلية لا بالمتعة»^(١). وقال أبو عوانة في صحيحه: (سمعت أهل العلم يقولون: معنى حديث علي أنه نهى يوم خير عن لحوم الحرّم، وأما المتعة فسكت عنها وإنما نهى عنها يوم الفتح)^(٢). وقيل أنها حرّمت يوم خير ثم أبيحت، ثم حرّمت مرة أخرى، وعلى العموم فقد ثبت تحريمها بالاتفاق عام الفتح من فم النبي ﷺ، واستقر الأمر على النهي حتى توفي ﷺ. وقد قال بهذا بعض علماء الإمامية، وبيّنوا أن متعة النساء حرّمت في عهد النبي ﷺ وأن عمر لم يحرمها من تلقاء نفسه. ولما لم يعلم الكثير من الناس بأمر التحريم نبه على ذلك عمر وأعلنه للناس فعن ابن عمر قال (لما ولي عمر بن الخطاب، خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثاً، ثم حرمها. والله! لا أعلم أحداً يتمتع وهو محصن إلا رجسته بالحجارة. إلا أن يأتيني بأربعة يشهدون أن رسول الله أحلّها بعد إذ حرمها). لذلك قال سعيد بن المسيّب: (رحم الله عمر لولا أنه نهى عن المتعة لصار الزنا جهاراً).

قول عمر رحمته : لولا علي لهلك عمر.

الرد:

لو سلمنا جدلاً بصحة هذه الجملة، فهذه الجملة لها سبب، وهو أن عمر أراد أن يرمي امرأة، فأخبره علي بأنها مجنونة، فترك حدّها وقال هذه المقولة، وفي أثر آخر: أن عمر أراد أن يرمي امرأة حامل فنبهه علي، فقال هذه المقولة، والذي أشار إلى ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب، ومحب الطبري في الرياض النضرة، إضافة إلى ابن المطهر الذي ذكر هاتين

(١) فتح الباري ٧٣/٩.

(٢) المصدر السابق ٧٤/٩.

الروایتین بهذا السياق، وأما بالنسبة للرواية الأولى فقد ذكرها أحمد في الفضائل، عن ابن ظبيان الجنبی أن عمر بن الخطاب «أتى امرأة قد زنت فأمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم علي فقال: ما لهذه؟ قالوا: زنت، فأمر عمر برجمها، فانتزعها علي من أيديهم ورددهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردكم؟ قالوا: ردنا علي، قال: ما فعل هذا علي إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى علي، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: ما لك رددت هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبي ﷺ يقول: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلي حتى يعقل؟) قال: بلى. قال علي: هذه مبتلاة بني فلان فلعله أتاها وهو بها. فقال عمر: لا أدري. قال: وأنا لا أدري فلم يرجعها»^(١)، وقد تتبعته الرواية من مظانها فلم أجد في أي منها مقولة عمر «لولا علي لهلك عمر»! المقولة نفسها تثبت عدم قول عمر لهذه المقولة وهي أنه كان لا يعرف بجنون المرأة عندما قال: (لا أدري)، ولا شك أن عمر يكون في هذه الحالة معذور؛ لأنه خفي عنه أمر المرأة ولا ذنب عليه، فلماذا يقول إذاً: «لولا علي لهلك عمر»؟ ولماذا يهلك عمر؟! فإن كان قال ذلك تواضعاً منه فهل هذا مما يعتبر ذماً له؟! أما الرواية الأخرى وهي: أن عمر أراد أن يرمي امرأة حامل فقد بحث عنها فوجدت ابن أبي شيبه قد روى عن أبي سفيان عن أشياخه «أن امرأة غاب عنها زوجها، ثم جاء وهي حامل فرفعها إلى عمر، فأمر برجمها فقال معاذ: إن يكن لك سبيل عليها فلا سبيل لك على ما في بطنها، فقال عمر: احبسوها حتى تضع، فوضعت غلاماً له ثنتين، فلما رآه أبوه قال: ابني، فبلغ ذلك عمر فقال: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، لولا معاذ هلك عمر»^(٢). ثم قال ابن أبي شيبه: (حدثنا خالد الأحمر عن

(١) فضائل الصحابة ٧٠٧/٢ برقم ١٢٠٩.

(٢) مصنف ابن أبي شيبه ٥٥٨/٦.

حجاج عن القاسم عن أبيه عن علي مثله^(١). وفي سنده الحجاج وهو ابن أرواه ضعيف، كثير التدليس، ويقول الذهبي (الحجاج بن أرواه لا يحتج به) فهذه الرواية ضعيفة لا حجة فيها، أما الرواية التي ذكرها محب الطبري «أن عمر أراد رجم المرأة التي ولدت لسته أشهر، فقال له علي: إن الله تعالى يقول وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا [الأحقاف: ١٥]، وقال تعالى: وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ [لقمان: ١٤] فالحمل ستة أشهر، والفصال في عامين، فترك عمر رجمها، وقال: لولا علي لهلك عمر» أخرجه العقيلي، وأخرجه ابن السمان عن أبي حزم بن أبي الأسود^(٢). قلت: قوله أبو حزم خطأ، والصواب أبو حرب بن أبي الأسود، وفي سند هذه الرواية عثمان بن مطر الشيباني (قال يحيى بن معين: ضعيف لا يكتب حديثه، ليس بشيء، وقال علي بن المديني: عثمان بن مطر ضعيف جداً، وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث، وقال صالح البغدادي: لا يكتب حديثه، وقال أبو داود: ضعيف، وقال النسائي: ليس بثقة)^(٣). (وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان: كان عثمان بن مطر ممن يروي الموضوعات عن الأثبات)^(٤). ولو فرضنا أن هذه الروايات صحيحة، فهي لا تقدر في فضل عمر وعلمه، وليس هو معصوماً عن الوقوع في الخطأ والزلل حتى تصبح هذه القضية منقصة له، ولا تقدر في علمه، ولا أن الله وضع الحق على لسانه، فقد وافق حكم الله في أكثر من قضية (فإذا خفيت عليه قضية من مائة ألف قضية ثم عرفها أو كان نسيها فذكرها فأى عيب في

(١) المصدر السابق.

(٢) الرياض النضرة ١٦١/٢.

(٣) تهذيب الكمال ٤٩٤/١٩.

(٤) ميزان الاعتدال ٥٣/٣.

ذلك)، والذي يدل على علمه وفقهه هو رجوعه إلى الحق وعدم تمسكه برأيه فهل في ذلك مذمة أو مثلبة؟

شبهة قول عمر رضي الله عنه: «كل الناس أفقه من عمر حتى ربات الحجال»

الجواب:

■ لو صحت هذه الرواية فليست بهذا اللفظ بل روي عنه قوله: «كل أحد أفقه من عمر» ولا شك أن لهذا القول سبب ولكن هذا الطاعن أخفاه ليوهم أن عمر يقول ذلك دون سبب، فالرواية بتمامها هي ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن الشعبي قال: «خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا لا تغالوا في صداق النساء، فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين أكتاب الله أحق أن يتبع أم قولك؟ قال: بل كتاب الله عز وجل، فما ذلك؟ قالت: نهيت الناس أنفاً أن يغالوا في صداق النساء، والله عز وجل يقول في كتابه: وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً [النساء: ٢٠] فقال عمر: (كل أحد أفقه من عمر) مرتين أو ثلاثاً، ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: إني نهيتكم أن لا تغالوا في صداق النساء ألا فليفعّل رجل في ماله ما بدا له»^(١). وهذه الرواية باطلة سنداً وممتناً، فأما من ناحية السند: ففيه علتان: الأولى الانقطاع، قال البيهقي عقب روايته: (هذا منقطع) لأن الشعبي لم يدرك عمر، يقول ابن أبي الرازي في كتاب (المراسيل): (سمعت أبي وأبا زُرعة يقولان: الشعبي عن عمر

مرسل). والعلّة الثانية: أن في سنّده مجالد وهو ابن سعيد، قال عنه البخاري: (كان يحيى القطان، وكان ابن مهدي لا يروي عنه عن الشعبي)^(١). وقال النسائي: (كوفي ضعيف). وقال الجوزجاني: (مجالد بن سعيد يضعّف حديثه). وقال ابن عدي: سألت أحمد بن حنبل عن مجالد فقال: (ليس بشيء، يرفع حديثاً منكراً لا يرفعه الناس وقد احتمله الناس)، وقال ابن عدي أيضاً: (عامّة ما يرويه غير محفوظ، وقال ابن معين: لا يحتج بحديثه وقال أيضاً: ضعيف واهي الحديث)^(٢). وقال ابن حجر: (ليس بالقوي، لقد تغير في آخر عمره)^(٣). وأما من ناحية المتن: ففيه نكارة وذلك للأسباب التالية: أ- أنه ثبت عن عمر صريحاً نفيه عن المغالاة في المهور بالسند الصحيح، فقد روى أبو داود عن أبي العجفاء السلمي قال: (خطبنا عمر فقال: ألا لا تغالوا بصّدق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها النبي ﷺ امرأة من نسائه، ولا أُصِدِّقَت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية)^(٤). فهذا الحديث الصحيح يظهر نهي عمر عن المغالاة في المهور وهو يظهر بطلان الرواية الأخرى. ب- مخالفتها لنصوص صحيحة صريحة في الحث على عدم المغالاة في المهور وتيسير أمر الصداق منها: ما أخرجه أبو داود في سنّنه عن عمر قال: (خير النكاح أيسره)^(٥). وأيضاً ما أخرجه الحاكم وابن حبان في موارد الظمآن عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (من يُمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها)^(٦). وما أخرجه

(١) الضعفاء الصغير ص ١١٦ رقم ٣٦٨.

(٢) تهذيب الكمال ٢٧/٢٢٢.

(٣) تقريب التهذيب ٢/١٥٩.

(٤) سنن أبي داود برقم ٢١٠٦.

(٥) سنن أبي داود برقم ٢١١٧.

(٦) صحيح ابن حبان برقم ٤٠٩٥، مستدرک الحاكم ١٩٧/٢ ٢٧٣٩، موارد الظمآن برقم ١٢٥٦.

مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار. فقال له النبي ﷺ: هل نظرت إليها؟ فإن في عيون الأنصار شيئاً، قال: قد نظرت إليها، قال: على كم تزوجتها؟ قال: على أربعة أواق، فقال له النبي ﷺ: على أربع أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه) (١). وغير هذه الأحاديث التي تحث على تقليل الصداق. ت- هذه الآية التي استدلت بها المرأة معترضة بمفهومها على عمر في نهيه عن المغالات في مهور النساء، لا تنافي توجيه عمر، فغاية ما تدل عليه جواز دفع القادر على الصداق الكثير المنوه عنه بالآية بالقنطار لا تكليف العاجز ما لا يقدر عليه أو يستطيعه، بدليل إنكار النبي على الرجل المتزوج امرأة من الأنصار بأربع أواق صنيعها لكون ذلك لا يتناسب وحالها أو لكثرة، هذا فيما لو كانت الآية تدل على المغالاة في المهور. أما وأنها لا تدل على إباحة المغالاة في الصداق لأنه تمثيل على جهة المبالغة في الكثرة.

شبهة أن عمر رضي الله عنه سئل عن معنى الكلالة فلم يعلمها.

الجواب:

١- ما أخرجه مسلم في صحيحه عن معدان بن أبي طلحة: (أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعة فذكر نبي الله ﷺ وذكر أبا بكر. ثم قال: إني لا أدعُ بعدي شيئاً أهم عندي من الكلالة، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، ما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال: يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في

آخر سورة النساء؟ وإني إن أعش أقض فيها بقضية، يقض بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن^(١). ومن هذا الحديث نعلم أنّ عمر لم تكن عدم معرفته بالكلالة سببه قصوره في العلم بل لأن النبي ﷺ أراد له وللصحابه الاعتناء بالاستنباط من النصوص، فأخفى النص الصريح بذلك واكتفى بإرشاده إلى الآية التي تكفيه للوصول لمعنى الكلالة كما في قوله: (يا عمر! ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء) وهي قوله تعالى: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّكُمُ فِي الْكَلَالَةِ [النساء : ١٧٦] ويقول النووي: (ولعل النبي ﷺ أغلظ له خوفه من اتكاله واتكال غيره على ما نص عليه صريحاً وتركهم الاستنباط من النصوص وقد قال الله تعالى: وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ [النساء : ٨٣] فالاعتناء بالاستنباط من أكد الواجبات المطلوبة؛ لأن النصوص الصريحة لا تفي إلا بيسير من المسائل الحادثة، فإذا أهمل الاستنباط فات القضاء في معظم الأحكام النازلة أو في بعضها والله أعلم^(٢). وكان عمر يرى رأي أبي بكر في أن الكلالة من لا والد له ولا ولد، وهذا ما اتفقت عليه جماهير العلماء ومن بعدهم وكان عليّ أيضاً يرى رأيهم.

شبهة فرار عمر   في غزوة حنين:

قال أحدهم: إن عمر فر وانهمز من معركة حنين.

الرد:

يقول الإمام ابن حجر: أن ممن ثبتوا يوم حنين سيدنا أبو بكر وعمر وعلي  . وقال الطبري: الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود، وأما الاستطراد للكثرة فهو

(١) صحيح مسلم برقم ١٦١٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٥٧/١١.

كالتحيز إلى فئة. وقال: ... عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه، قال: قد بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته. وممن ثبت معه من المهاجرين: أبو بكر، عمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عبيد - وهو أيمن بن أم أيمن - وأسامة بن زيد بن حارثة. (١).

شبهة أمر الفاروق رضي الله عنه بقتل بعض أهل الشورى:

قالوا: (إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بالآل: إذا اختلف أهل الشورى فاقتل الأقل. يعني إذا اتفق أربعة ضد ثلاثة اقتل الثلاثة. وإذا اتفق خمسة ضد اثنين اقتل الاثنين. وإذا اتفق ستة ضد واحد اقتل الواحد. قال: أقتله يا أمير المؤمنين؟! قال: اقتله، لا أريد خلافاً بين المسلمين!).

الجواب:

هذا الخبر الباطل سنداً ومتناً مخالف لما ثبت في الصحاح عن حقيقة الشورى. وحقيقة الأمر في هذه الجزئية من قصة الشورى ما أخرجه الإمام أبو بكر الخلال بإسناد صحيح، من طريق عمرو بن ميمون قال: (قال عمر لما حضر: ادعوا لي علياً، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعداً، قال: فلم يكن أحد منهم إلا علي وعثمان. فقال: يا علي، لعل هؤلاء يعرفون لك قرابتك، وما آتاك الله من العلم والفقه، فاتق الله، وإن وليت هذا الأمر فلا ترفعن بني فلان على رقاب الناس. وقال: يا عثمان لعل هؤلاء القوم

يعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ وسنك وشرفك، فإن أنت وليت هذا الأمر فاتق الله ولا ترفعن بني فلان على رقاب الناس. ثم قال: ادعوا لي صهيياً، فقال: صل بالناس ثلاثاً، وليجتمع هؤلاء القوم، وليخلوا هؤلاء الرهط، فإن اجتمعوا على رجل فاضربوا رأس من خالفهم^(١). أي أن عمر رضي الله عنه أمر بقتل من يخالف أصحاب الشورى ويرفض من يرشحونه خليفة للمسلمين، ويدعو إلى نفسه، وذلك عملاً بقوله ﷺ: (من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه)^(٢).

شبهة درء عمر رضي الله عنه حد الزنا عن المغيرة بن شعبة:

ومنها أن عمر درأ حد الزنا عن المغيرة بن شعبة مع ثبوته بالبينة وهي أربعة رجال، ولقن الرابع كلمة تدرأ الحد فقد قال له لما جاء للشهادة: أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلاً من المسلمين.

الجواب:

أن درء الحد إنما يكون بعد ثبوته، ولم يثبت لعدم شهادة الرابع كما ينبغي، وتلقيه الشاهد كذب وبهتان من أهل العدوان، إذ قد يثبت في التواريخ المعتمدة كتاريخ البخاري وابن الأثير وغيرهما أنه لما جاء الرابع وهو زياد بن أبيه قالوا له: (أتشهد كأصحابك؟ قال: أعلم هذا القدر، إني رأيت مجلساً ونفساً حثيثاً وانتهازاً ورأيت مستبطنها - أي: مخفيها تحت بطنه - ورجلين كأنهما أذنا حمار، فقال عمر: هل رأيت كالميل في المكحلة؟ قال: لا). وقد وقع ذلك بمحضر الأمير وغيره من الصحابة. ولفظ (أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلاً من المسلمين) إنما قاله المغيرة في ذلك الحين كما هو حال الخصم مع الشهود.

(١) تاريخ دمشق ٣٩/١٩١.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٨٥٢.

شبهة أن عمر لم يعط أهل البيت سهمهم من الخمس:

ومنها: أن عمر لم يعط أهل البيت سهمهم من الخمس الثابت في القرآن.

الجواب:

أن فعل عمر موافق لفعل النبي ﷺ. وتحقيقه أن أبا بكر وعمر كانا يخرجان سهم ذوي القربى من الخمس ويعطيانه لفقرائهم ومساكينهم كما كان ذلك في زمن النبي ﷺ وعليه الحنفية وجمع كثير من الإمامية، وذهب الشافعية إلى أن لهم خمس الخمس يستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ويقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، ويكون بين بني هاشم والمطلب دون غيرهم، والأمير أيضاً عمل كعمل عمر، فقد روى الطحاوي والدارقطني عن محمد بن إسحق أنه قال: «سألت أبا جعفر محمد بن الحسين: إن أمير المؤمنين على بن أبي طالب لما ولي أمر الناس كيف كان يصنع في سهم ذوي القربى؟ فقال: سلك به والله مسلك أبي بكر وعمر»^(١).

شبهة صلاة التراويح:

ومنها أن عمر أحدث في الدين ما لم يكن منه كصلاة التراويح وإقامتها بالجماعة، فإنها بدعة كما اعترف هو بذلك، وكل بدعة ضلالة.

الجواب:

أنه قد ثبت عند أهل السنة بأحاديث مشهورة متواترة أنه ﷺ صلى التراويح بالجماعة مع الصحابة ثلاث ليال من رمضان جماعة ولم يخرج في الليلة الرابعة وقال: (إني خشيت

(١) شرح معاني الآثار ٣/٣٤٣، سنن البيهقي الكبرى ٦/٣٤٣.

أن تفرض عليكم^(١)، فلما زال هذا المحذور بعد وفاته ﷺ أحيا عمر هذه السنة السنية. وقد ثبت في أصول الفريقين أن (الحكم إذا كان معللاً بعلّة نص عليها الشارع يرتفع ذلك الحكم إذا زالت العلة) وأما اعتراف عمر بكونها بدعة حيث قال: «نعمت البدعة هي» فمراده أن المواظبة عليها بالجماعة شيء حديث لم يكن في عهد النبي ﷺ. ولو سميت بدعة فهي حسنة، والحديث مخصوص بإحداث ما لم يكن له أصل في الشرع. ويمكن أنه قد قالها من باب التعريض، والتنبيه، إلى من تسول له نفسه، ويظن سوءاً أن فعل عمر هذا بدعة، فأراد بقوله: إن كان هذا الأمر بدعة في ظن من يظن ذلك فنعم البدعة إذن، ومعنى ذلك أن هذا ليس بدعة، وهذا نظير ما قصده الإمام الشافعي في قوله:

إن كان رفضاً حبّاً آل محمدٍ *** فليشهد الثقلان بأنّي رافضي

فهو يقصد أنه ليس بالضرورة أن كل من يجب آل بيت النبي هو رافضي، وهذا هو المعنى المطلوب. ولو كان هذا الأمر بدعة لماذا سكت الصحابة عنها، ولماذا وافقوه عليها. ثم أعلم أن الإمامية رووا من طرقهم ما يؤيد ذلك فعن أبي جعفر ﷺ قال: «خطب رسول الله ﷺ الناس في آخر جمعة من شعبان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه قد أظلكم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، وهو شهر رمضان فرض الله صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلاة كمن تطوع بصلاة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور»^(٢). وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا جاء شهر رمضان زاد في الصلاة وأنا أزيد فزيدوا»^(٣). وهذا نص صريح في جواز الزيادة في رمضان بل الإمام جعفر الصادق نفسه يدعو إلى الزيادة ويبارسها شخصياً. وعن محمد بن يحيى قال: كنت عند أبي عبد الله ﷺ

(١) رواه البخاري برقم ٩٢٤، ومسلم برقم ٧٦١.

(٢) الكافي للكليني ٦٦/٤، تهذيب الأحكام للطوسي ٥٧/٣.

(٣) تهذيب الأحكام للطوسي ٦٠/٣، وسائل الشيعة ١٧٤/٥.

فُسئِل: هل يُزاد في شهر رمضان في صلاة النوافل؟ فقال: نعم، قد كان رسول الله ﷺ يصلي بعد العتمة في مصلاه فيكثر، وكان الناس يجتمعون خلفه ليصلّوا بصلاته، فإذا كثروا خلفه تركهم ودخل منزله، فإذا تفرق الناس عاد إلى مصلاه فصلى كما كان يُصلي، فإذا كثر الناس خلفه تركهم ودخل منزله، وكان يفعل ذلك مراراً^(١). وقال ﷺ: كان رسول الله ﷺ يزيد في صلاته في شهر رمضان إذا صلى العتمة صلى بعدها، يقوم الناس خلفه فيدخل ويدعهم ثم يخرج أيضاً فيجيئون ويقومون خلفه فيدخل ويدعهم مراراً، قال: وقال: لا تصل بعد العتمة في غير شهر رمضان^(٢).

شبهة ابتداعه للطلاق الثلاث في مجلس واحد:

الجواب:

لم يبتدع عمر رضي الله عنه ذلك، وما كان عمر رضي الله عنه ليبتدع، بل لا يُعرف في الصحابة مُبتدعاً. وما فعله عمر رضي الله عنه يُعتبر من السياسة الشرعية لا من التشريع، وبينهما فرق. فالتشريع: هو سنّ أمر لم يكن في شريعة الإسلام والسياسة الشرعية: أن يأخذ الناس بالخزم في أمر مشروع. ومن باب السياسة الشرعية إلزام الناس بالطلاق الثلاث، أي بإيقاعها. وهذا ليس تشريعاً، فإن التشريع لو أن أحداً قال: يُزاد طلقة رابعة مثلاً. فهذا الذي ذهب إليه عمر رضي الله عنه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيته عليهم، فأمضاه عليهم). رواه مسلم. وهذا قد وافقه عليه الصحابة وهم مُتوافرون.

(١) تهذيب الأحكام ٦١/٣.

(٢) المصدر السابق، الاستبصار ٤٦١/١.

شبهة إدخال عمر الصلاة خير من النوم في الأذان:

قالوا: لماذا تقبلون بدعته التي أدخلها على الأذان: الصلاة خير من النوم. من الذي أعطاه الحق ليجتهد مقابل النص النبوي والإلهي؟

الرد:

إن قول: «الصلاة خير من النوم» ليست من مخترعات عمر بل هي من السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ. ففي حديث أبي محذورة رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله علمني سنة الأذان. قال: فمسح مقدم رأسي، وقال: تقول: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله.. أشهد أن محمداً رسول الله - ثم تقول: أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله.. أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله.. أشهد أن محمداً رسول الله. حي على الصلاة.. حي على الصلاة، حي على الفلاح.. حي على الفلاح، فإن كان صلاة الصبح قلت: الصلاة خير من النوم.. الصلاة خير من النوم، الله أكبر.. الله أكبر. لا إله إلا الله)^(١). رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي. قال محذورة: «كنت أؤذن للنبي ﷺ فكنت أقول في أذان الفجر الأول: حي على الصلاة.. حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم.. الصلاة خير من النوم، الله أكبر.. الله أكبر لا إله إلا الله»^(٢). فهذا يدل على أن قول المؤذن لصلاة الفجر: «الصلاة خير من النوم» ليس مما ابتدعه عمر رضي الله عنه.

(١) مسند أحمد برقم ١٥٤١٦، سنن أبي داود برقم ٥٠٠، سنن النسائي برقم ٦٣٣.

(٢) رواه النسائي برقم ٦٤٧.

الكلام في دعاء فاطمة على عمر بما فعله أبو لؤلؤة به:

قالوا: ولما وعظت فاطمة أبا بكر في فذك، كتب لها كتاباً بها، ورددها عليها، فخرجت من عنده، فلقىها عمر بن الخطاب فحرق الكتاب، فدعت عليه بما فعله أبو لؤلؤة به.

الجواب:

أن هذا من الكذب الذي لا يستريب فيه عالم، ولم يذكر هذا أحد من أهل العلم بالحديث، ولا يُعرف له إسناد. وأبو بكر لم يكتب فذكاً قط لأحد: لا لفاطمة ولا غيرها، ولا دعت فاطمة على عمر. وما فعله أبو لؤلؤة كرامة في حق عمر عليه السلام، وهو أعظم مما فعله ابن ملجم بعلي عليه السلام، وما فعله قتلة الحسين عليه السلام به. فإن أبا لؤلؤة كافرٌ قتل عمر كما يقتل الكافر المؤمن. وهذه الشهادة أعظم من شهادة من يقتله مسلم؛ فإن قتل الكافر أعظم درجةً من قتل المسلمين، وقتل أبي لؤلؤة لعمر كان بعد موت فاطمة، بمدة خلافة أبي بكر وعمر إلا ستة أشهر، فمن أين يُعرف أن قتله كان بسبب دعاء حصل في تلك المدة. والداعي إذا دعا على مسلم بأن يقتله كافر، كان ذلك دعاء له لا عليه، كما كان النبي صلى الله عليه وآله يدعو لأصحابه بنحو ذلك، كقوله: (يغفر الله لفلان. فيقولون: لو أمتعتنا به)^(١) وكان إذا دعا لأحد بذلك استشهد.

ولو قال قائل أن علياً ظلم أهل صفين والخوارج حتى دعوا عليه بما فعله ابن ملجم، لم يكن هذا أبعد عن المعقول من هذا. وكذلك لو قال: إن آل سفيان بن حرب دعوا على الحسين بما فعل به.

(١) رواه البخاري برقم ٤١٩٦، ومسلم برقم ١٨٠٢.

شبهة أنه عليه السلام كان يعطي أزواج النبي ﷺ من بيت المال أكثر مما ينبغي. وكان يعطي عائشة وحفصة من المال في كل سنة عشرة آلاف درهم).

الجواب:

أما حفصة فكان ينقصها من العطاء لكونها ابنته، كما نقص عبد الله بن عمر. وهذا من كمال احتياطه في العدل، وخوفه مقام ربه، ونهيه نفسه عن الهوى. وهو كان يرى التفضيل في العطاء بالفضل، فيعطي أزواج النبي ﷺ أعظم مما يعطي غيرهن من النساء، كما كان يعطي بني هاشم من آل أبي طالب وآل العباس أكثر مما يعطي من عداهم من سائر القبائل. فإذا فضل شخصاً كان لأجل اتصاله برسول الله ﷺ، أو لسابقته واستحقاقه. وكان يقول: «ليس أحد أحق بهذا المال من أحد، وإنما هو الرجل وغناؤه، والرجل وبلاؤه، والرجل وسابقته، والرجل وحاجته». فما كان يعطي من يُتهم على إعطائه بمحابة في صداقة أو قرابة، بل كان ينقص ابنه وابنته ونحوهما عن نظرائهم في العطاء، وإنما كان يفضل بالأسباب الدينية المحضة، ويفضل أهل بيت النبي ﷺ على جميع البيوتات ويقدمهم.

شبهات حول عثمان بن عفان رضي الله عنه

شبهة القول بأن الصحابة أجمعوا على قتل عثمان:

قالوا: أن قتلة عثمان بالدرجة الأولى هم الصحابة أنفسهم وفي مقدمتهم أم المؤمنين عائشة التي كانت تنادي بقتله وإباحة دمه على رؤوس الأشهاد. وأن الصحابة هم الذين منعوا دفن جثته في مقابر المسلمين فدفن في «حش كوكب» بدون غسل ولا كفن.. الخ.

الجواب:

■ الصحابة رضي الله عنهم لم يشاركوا في قتل عثمان، ولم يرضوا بذلك أصلاً، بل على العكس من ذلك فإنهم مانعوا عنه ووقفوا بجانبه ولكنه رضي الله عنه خشي الفتنة فمنعهم من الدفاع عنه، ولأنه كان يعلم أنه سيقتل مظلوماً كما أعلمه النبي ﷺ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ذكر الفتنة فقال: (يقتل فيها هذا مظلوماً) يعني: عثمان رضي الله عنه. وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري في جزء منه (... ثم جاء آخر يستأذن، فسكت هنيهة ثم قال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه، فإذا عثمان بن عفان)^(١). وقد شارك خيار الصحابة في الدفاع عن عثمان وأعلنوا غضبهم لقتله، فهذا علي يرفع يديه يدعو على القتلة فعن عبد الرحمن بن ليل قال: «رأيت علياً رافعاً حضينه يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان». وعن عميرة بن سعد قال: «كنا مع علي على شاطئ الفرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها، فقال علي: يقول الله عز وجل: وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ [الرحمن: ٢٤] والذي أنشأها في بحر من

بحاره ما قتلت عثمان ولا مالات على قتله»^(١). وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه «أن علياً أرسل إلى عثمان: إنَّ معي خمسمائة ذراع، فأذن لي فأمنعك من القوم، فإنك تحدث شيئاً يستحلّ به دمك. قال أي عثمان: جزيت خيراً، ما أحب أن يهراق دم في سببي»^(٢). وحتى أولاد علي وأولاد الصحابة شاركوا في الدفاع عن عثمان فعن محمد بن سيرين قال: «انطلق الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان كلهم شاكي السلاح حتى دخلوا الدار، فقال عثمان: اعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم»^(٣). وعن كنانة مولى صفية قال: «شهدت مقتل عثمان، فأخرج من الدار أمامي أربعة من شبان قریش ملطخين بالدم، محمولين، كانوا يدرأون عن عثمان رضي الله عنه: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن حكم»^(٤). وعن سلمة بن عبد الرحمن «أن أبا قتادة الأنصاري ورجلاً آخر معه من الأنصار دخلا على عثمان وهو محصور فاستأذن في الحج فأذن لهما ثم قالوا: مع من تكون إن ظهر هؤلاء القوم؟ قال: عليكم بالجماعة. قالوا: رأيت إن أصابك هؤلاء القوم وكانت الجماعة فيهم. قال: الزموا الجماعة حيث كانت. قال: فخرجنا من عنده فلما بلغنا باب الدار لقينا الحسن بن علي داخلاً، فرجعنا على أثر الحسن لننظر ما يريد، فلما دخل الحسن عليه قال: يا أمير المؤمنين إنا طوع يدك، فمرني بما شئت. فقال له عثمان: يا ابن أخي ارجع فاجلس في بيتك حتى يأتي الله بأمره فلا حاجة لي في هراقة الدماء»^(٥). وعن عبد الله بن الزبير قال: «قلت لعثمان يوم الدار: اخرج فقاتلهم، فإن

(١) تاريخ المدينة ٢/٢٧٦.

(٢) تاريخ دمشق ص ٤٠٣.

(٣) تاريخ خليفة الخياط ص ١٧٤.

(٤) الاستيعاب ٣/١٠٦٤.

(٥) الفضائل لأحمد ١/٤٦٤، ٤٦٥ رقم ٧٥٣.

معك من قد نصر الله بأقل منه، والله قتالهم لحلال، قال: فأبى»^(١). وفي رواية أخرى لابن الزبير: «لقد أحل الله لك قتالهم، فقال عثمان: لا والله لا أقاتلهم أبداً»^(٢). وقد لبس ابن عمر درعه مرتين يوم الدار وتقلد سيفه حتى عزم عليه عثمان أن يخرج مخافة أن يقتل»^(٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قلت لعثمان: اليوم طاب الضرب معك، قال: اعزم عليك لتخرجن»^(٤). وعن ابن سيرين قال: «جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال: هذه الأنصار بالباب، قالوا: إن شئت أن نكون أنصار الله مرتين، قال: أما قتال فلا»^(٥). وعن قيس بن أبي حازم -ثقة- قال: سمعت سعيد بن زيد يقول: «والله لو أن أحداً انقضّ فيما فعلتم في ابن عفان كان محقوقاً أن ينقضّ»^(٦). وعن خالد بن الربيع العبسي قال: «سمعنا بوجع حذيفة، فركب إليه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه في نفر أنا فيهم إلى المدائن، قال: ثم ذكر قتل عثمان، فقال: اللهم إني لم أشهد، ولم أقتل، ولم أَرْض»^(٧). وعن جندب بن عبد الله -له صحبة- أنه لقي حذيفة فذكر له أمير المؤمنين عثمان فقال: «أما أنهم سيقتلونه! قال: قلت فأين هو؟ قال: في الجنة، قلت: فأين قاتلوه؟ قال: في النار»^(٨). وعن أبي بكرة قال: «لأن آخر من السماء إلى الأرض أحبّ إليّ من أن أشرك في قتل عثمان»^(٩). وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «إن قتل عثمان

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١/٦٨١، ٦٨٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/٧٠.

(٣) تاريخ دمشق ٣٩/٣٩٣.

(٤) تاريخ خليفة الخياط ص ٣٨.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٣٧٠٨٢، السنة للخلال ٢/٣٣٣.

(٦) أخرجه البخاري برقم ٣٨٦٧.

(٧) تاريخ دمشق ٣٩/٤٧٩.

(٨) تاريخ دمشق ٣٩/٣٨٢.

(٩) البداية والنهاية ٧/١٩٤.

جاءه لو كان هدى احتلبت به الأمة لبناء، ولكنه كان ضالاً فاحتلبت به دماً^(١). وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما سرّني أني رميت عثمان بسهم أصاب أم أخطأ وأن لي مثل أحد ذهباً»^(٢). وروى ربيعة مولاة أسامة بن زيد قالت: «بعثني أسامة إلى عثمان يقول: فإن أحببت نقبنا لك الدار وخرجت حتى تلحق بمأمنك يقاتل من أطاعك من عصاك»^(٣). وعن حارثة بن النعمان قال لعثمان وهو محصور: «إن شئت أن نقاتل دونك»^(٤). وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: «لا تقتلوا عثمان فإنكم إن فعلتم لم تصلّوا جميعاً أبداً»^(٥). وقال سمرة بن الجندب: إن الإسلام كان في حصن حصين، وإنهم ثلموا في الإسلام ثلثة بقتلهم عثمان، وأنهم شرطوا شرطية، وإنهم لن يسدّوا ثلمتهم إلى يوم القيامة، وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيهم»^(٦). وعن ابن عمر قال: «لقيت ابن عباس وكان خليفة عثمان على موسم الحج عام قتل فأخبرته بقتله، فعظم أمره وقال: والله إنه لمن الذين يأمرون بالقسط، فتمنيت أن أكون قتلت يومئذ»^(٧). وبعد هذا السرد لموقف الصحابة العظيم من مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه نعلم جيداً أنهم لم يشاركوا ولم يرضوا بقتل هذا الصحابي الجليل. ومن طرق الإمامية يقول المسعودي الشيعي في كتابه مروج الذهب: (... فلما بلغ علياً أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم

(١) تاريخ المدينة ١٢٤٥/٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٣٢٠٥٨، معجم الطبراني الكبير ١٦٩/٩ ٨٨٣٨، تاريخ دمشق ٣٥٥/٣.

(٣) تاريخ المدينة ١٢١١/٣.

(٤) التاريخ الصغير ٧٦/١، تاريخ دمشق ٣٩٧/٣٩.

(٥) فضائل الصحابة ٤٧٤/١.

(٦) تاريخ دمشق ٤٨٣/٣٩.

(٧) المصدر السابق ٢١٩/٣٩.

أن يمنعه منهم، وبعث الزبير ابنه عبد الله، وبعث طلحة ابنه محمداً، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم أبائهم بمن ذكرنا، فصدّوهم عن الدار^(١).

■ الإدعاء بأن أم المؤمنين عائشة عليها السلام في مقدمة قتلة عثمان رضي الله عنه لا يصح، فهذه الرواية مدارها على نصر بن مزاحم قال فيه العقيلي: (كان يذهب إلى التشيع وفي حديثه اضطراب وخطأ كثير)^(٢). وقال الذهبي: (رافضي جلد، تركوه. وقال أبو خيثمة: كان كذاباً، وقال أبو حاتم: واهي الحديث، متروك، وقال الدارقطني: ضعيف)^(٣). وقال الجوزجاني: (كان نصر زائغاً عن الحق مائلاً، وقال صالح بن محمد: نصر بن مزاحم روى عن الضعفاء أحاديث مناكير، وقال الحافظ أبي الفتح محمد بن الحسين: نصر بن مزاحم غال في مذهبه)^(٤). وعلى ذلك فهذه الرواية لا يعول عليها ولا يلتفت إليها إضافة إلى مخالفتها للروايات الصحيحة الناقضة لها. فالروايات الصحيحة الثابتة تظهر أن عائشة تأملت لمقتل عثمان ودعت على قاتليه، فعن مسروق -تابعي ثقة- قال: قالت عائشة: «تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، قال مسروق: فقلت: هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه، فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتى جلست مجلسي هذا. قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها»^(٥). وأخرج أحمد في فضائله عن عائشة أنها كانت تقول أي في مقتل عثمان: «ليتني كنت نسياً منسياً، فأما الذي كان من شأن عثمان فوالله ما أحببت أن ينتهك من عثمان أمر

(١) مروج الذهب ٣٤٤/٢، ٣٤٥.

(٢) ضعفاء العقيلي ٣٠٠/٤.

(٣) ميزان الاعتدال ٢٥٣/٤.

(٤) تاريخ بغداد ٢٨٢/١٣.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٣٢٠٥١، الطبقات الكبرى لابن سعد ٨٢/٣، البداية والنهاية ١٩٥/٧.

قط إلا انتهك مني مثله حتى لو أحببت قتله قتلت»^(١). وروى ابن شبة عن طلق بن حُشَّان قال: قلت لعائشة: «فيم قتل أمير المؤمنين عثمان؟ قالت: قتل مظلوماً، لعن الله قتلته»^(٢). وأخرج أحمد في الفضائل عن سالم بن أبي الجعد قال: «كنا مع ابن حنيفة في الشعب فسمع رجلاً ينتقص وعنده ابن عباس، فقال: يا ابن عباس! هل سمعت أمير المؤمنين عشيّة سمع الضجة من قبل المريد فبعث فلان بن فلان فقال: اذهب فانظر ما هذا الصوت؟ فجاء فقال: هذه عائشة تلعن قتلة عثمان والناس يؤمنون. فقال عليّ: وأنا ألعن قتلة عثمان في السهل والجبل، اللهم العن قتلة عثمان، اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل، ثم أقبل ابن الحنيفة عليه وعلينا فقال: أما فيّ وفي ابن عباس شاهدا عدل؟ قلنا؟ بلى! قال: قد كان هذا»^(٣). والمعلوم عند جميع المؤرخين أن عائشة خرجت تطالب بدم عثمان فكيف يوفق بين موقفها هذا وقولها: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»؟! أما أن محمد بن أبي بكر فقد توفي النبي ﷺ ولم يتم من عمره أربعة أشهر، فهل يعد هذا من مشاهير الصحابة كما زعموا؟. أما أن طلحة والزبير فالروايات الصحيحة الثابتة تبين أنهما تألماً لقتل عثمان غاية الألم بل وحاولا الدفاع عنه فعن أبي حبيبة قال: (بعثني الزبير إلى عثمان وهو محصور، فدخلت عليه في يوم صائف وهو على كرسي، وعنده الحسن بن عليّ، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فقلت: بعثني إليك الزبير بن العوام وهو يقرئك السلام ويقول لك: إني على طاعتي لم أبدل ولم أنكث، فإن شئت دخلت الدار معك وكنت رجلاً من القوم، وإن شئت أقمت، فإن بني عمرو بن عوف وعدوني أن يصبحوا على بابي، ثم يمضون على

(١) فضائل الصحابة ٤٦٢/١.

(٢) تاريخ المدينة ٢٦٥/٢ و ٢٧٩/٢.

(٣) فضائل الصحابة ٤٥٥/١.

ما أمرهم به. فلما سمع الرسالة قال: الله أكبر، الحمد لله الذي عصم أخي، أقرئه السلام ثم قل له: إن يدخل الدار لا يكن إلا رجلاً من القوم، ومكانك أحب إليّ، وعسى الله أن يدفع بك عني، فلما سمع الرسالة أبو هريرة قام فقال: ألا أخبركم ما سمعت أذناي من رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى، قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: تكون بعدي فتن وأمور، فقلنا: فأين المنجى منها يا رسول الله؟ قال: إلى الأمين وحزبه، وأشار إلى عثمان بن عفان. فقام الناس فقالوا: قد أمكننا البصائر، فأذن لنا في الجهاد؟ فقال عثمان: أعزم على من كانت لي عليه طاعة ألا يقاتل^(١). ولا يختلف اثنان في أن طلحة والزبير كانا من أوائل المطالبين بدم عثمان، والاقتصاص من قاتليه، ولم يخرجوا، إلا لهذا السبب.

■ والقول بأن الصحابة هم الذين منعوا دفن جثته في مقابر المسلمين، فدفن في «حش كوكب» وهي أرض يهودية بدون غسل ولا كفن؟! فالجواب: أن حش كوكب ليست أرض يهودية، ولم تكن كذلك إطلاقاً، لأن حش بمعنى البستان، وقد اشتراه عثمان من كوكب -وهو رجل من الأنصار- وعندما توفي دفن في بستانه الذي اشتراه من ماله، فأى شيء في ذلك؟ و اليهود لم يكونوا موجودين في المدينة فقد أجلاهم النبي ﷺ عنها، ثم أجلاهم عمر من الجزيرة كلها. ثم أعلم أن أكثر الصحابة لم يكونوا بالمدينة فقد كان مقتل عثمان رحمته الله في موسم الحج فكانوا بمكة وبعضهم في اليمن والشام والكوفة والبصرة وخراسان وفي جيوش الفتوح، وأهل المدينة بعض المسلمين.

شبهة تولية عثمان رضي الله عنه للظالمين:

منها: أن عثمان ولى وأمر من صدر منه الظلم والخيانة وارتكاب الأمور الشنيعة كالوليد بن عقبة الذي شرب الخمر وأم الناس في الصلاة وهو سكران وصلى الصبح أربع ركعات ثم قال: هل أزيدكم؟ وولى معاوية الشام التي هي عبارة عن أربع ممالك فتقوى حتى أنه نازع الأمير وبغى عليه في أيام خلافته. وولى عبد الله بن سعد مصر فظلم أهلها ظلماً شديداً حتى اضطهرهم إلى الهجرة إلى المدينة وخرجوا عليه. وجعل مروان وزيره وكتابه فمكر في حق محمد بن أبي بكر وكتب مكان اقبلوه اقتلوه. ولم يعزلهم بعد الاطلاع على أحوالهم حتى تضجرت الناس منه فآل أمره إلى أن قتل، ومن كان في هذا حاله فهو غير لائق بالإمامة.

الجواب:

قد عزل عثمان رضي الله عنه بعض من تحقق لديه سوء حاله كما عزل الوليد. ومعاوية لم يبلغ في زمنه حتى يستحق العزل، بل قد أجرى خدمات كثيرة، كما غزا الروم وفتح منها بلاداً متعددة. وأما الشكايات التي وقعت على عبد الله بن سعد فمن تزوير عبد الله ابن سبأ وتسويلاته

شبهة أن عثمان أدخل الحكم (أبا مروان) بن العاص المدينة وقد أخرجه رسول الله ﷺ.

الجواب:

أن الرسول ﷺ إنما أخرجه إن صحت القصة فلحبه المنافقين وتهيجه الفتن بين المسلمين ومعاونته الكفار، ولما زال الكفر والنفاق بعد وفاته ﷺ وقوى الإسلام في خلافة الشيخين لم يبق محذور من إرجاعه إليها. وقد سبق مما هو مقرر عند الفريقين أن

(الحكم إذا علل بعلّة ثم زالت زال) وعدم إرجاع الشيخين إياه لما حصل عندهما من ظن بقائه على ما كان عليه في زمن الرسول ﷺ، وقد ارتفع ذلك عن عثمان زمن خلافته؛ لأن الحكم كان ابن أخيه، على أن عثمان قال: اعترضوا عليه بذلك: إني كنت أخذت الإذن من رسول الله ﷺ في مرض موته على دخول الحكم المدينة وعدم قبول أبي بكر ذلك مني لطلبه شاهداً آخر على إذنه ﷺ له بالدخول المدينة. وكذلك عمر. ولما أدت النوبة إلى عملت بما علمت. وأيضاً قد ثبت أن الحكم قد تاب في آخر عمره من النفاق ومما كان يفعله من التزوير والاختلاق.

شبهة أن عثمان وهب لأهل بيته وأقاربه كثيراً من المال:

ومنها أن عثمان وهب لأهل بيته وأقاربه كثيراً من المال، وصرف من بيت المال مصارف كثيرة في غير محلها مما يدل على إسرافه، كما أعطى الحكم مائة ألف درهم وأعطى مروان خمس إفريقية^(١) وخالد بن سید بن العاص ثلاث مائة ألف درهم وذلك لما جاء من مكة، إلى غير ذلك من الإسراف الوافر والبذل المتكاثر، ومن كان بهذه الأحوال كيف يستحق الإمامة من بين الرجال.

الجواب:

على فرض التسليم فأن عثمان رحمته الله بذل ذلك من كيسه لا من بيت المال، فإنه كان من الممولين قبل أن يكون خليفة، ومن راجع كتب السير أقر بهذا الأمر، فقد كان رحمته الله يعتق في كل جمعة رقبة، ويضيف المهاجرين والأنصار، ويطعمهم في كل يوم، قد روي عن الإمام الحسن البصري أنه قال: «إني شهدت منادي عثمان ينادي: «يا أيها الناس أعدوا على

(١) هو خمس الخمس لا الخمس، وقد أعطاه لعبد الله بن سعد فاتح إفريقية لا مروان، وقد علمت مما نقلناه آنفاً عن الطبري أنه استرجعه من عبد الله بن سعد.

أعطيتكم «فيغدون فيأخذونها وافرة» يا أيها الناس أغدوا على رزقكم» فيغدون فيأخذونها وافية حتى والله لقد سمعته أذناي يقول: «أغدوا على كسوتكم» فيأخذون الحلل^(١). ومن راجع كتب التواريخ علم درجة عثمان رضي الله عنه، ولم ينقل عن أحد أن الإنفاق في سبيل الله تعالى موجب للطعن. والذي صح في ابن أبي السرح هو إعطاؤه خمس الخمس جزاء جهاده المشكور، ثم عاد فاسترده منه.

شبهة أن عثمان قد وهب لأصحابه ورفقائه كثيراً من أراضي بيت المال وأتلف حقوق المسلمين:

الجواب:

أنه كان يأذن لهم بإحياء أراضي الموات، ومن يحيى الموات فهي له لقوله ﷺ: (موتان الأرض لله ولرسوله فمن أحيا منها شيئاً فهو له)^(٢)، ولم يهب لأحد أرضاً معمورة مزروعة كما يعلم ذلك من التاريخ.

شبهة أن عثمان درأ القصاص عن عبيد الله بن عمر وقد قتل الهرمزان:

ومنها: أن عثمان درأ القصاص عن عبيد الله بن عمر وقد قتل الهرمزان ملك الأهواز الذي أسلم في زمن عمر بعد أن اتهمه في مشاركة من قتل عمر^(٣)، مع أن القاتل كان أبا

(١) معجم الطبراني الكبير ٨٧/١، الاستيعاب ١٠٤١/٣.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم ١١٥٦٦.

(٣) قال القاضي أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم، ١٠٧: كان ذلك والصحابة متوافرون والأمر في أوله وقد قيل: إن الهرمزان سعى في قتل عمر وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه. وفي تاريخ الطبري ٤٢/٥ شهادة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق على الهرمزان مروية عن سعيد بن المسيب. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ٢٠٠/٣: وقد قال عبد الله بن عباس لما طعن عمر، وقال له عمر: كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر

لؤلؤة فقط وقد قتل ابنته وقتل أيضاً حنيفة النصراني لاثامه بذلك، وقد اجتمع الصحابة عليه ليقتص من عبيد الله فلم يوافقهم وأدى ديتهم عنه فخالف حكم الله فليس يليق للإمامة.

الجواب:

أن القصاص لم يثبت في تلك الصور، لأن ورثة الهرمزان لم يكونوا في المدينة بل كانوا في فارس، ولما أرسل عليهم عثمان لم يحضروا المدينة خوفاً كما ذكر المرتضى في بعض كتبه^(١). وشرط حضور جميع ورثة المقتول كما ذهبت إليه الحنفية، فلم يبق إلا الدية، وقد أعطاه من بيت المال لا من القاتل، ولأن بنت أبي لؤلؤة كانت مجوسية، وجفينة كان نصرانياً، وقد قال عليه السلام (لا يقتل مسلم بكافر)^(٢)، وهذا ثابت عندهم، على أنه لو اقتص عثمان من عبيد الله لوقعت فتنة عظيمة لأن بني تيم وبني عدي كانوا مانعين من القتل، وكانوا يقولون: لو اقتص عثمان من عبيد الله لحاربناه، ونادى عمرو بن العاص وهو رئيس بني سهم فقال: أيقتل أمير المؤمنين أمس ويقتل ابنه اليوم؟ لا والله لا يكون هذا أبداً، وهذا كما ثبت عندهم من أن الأمير لم يقتص من قتلة عثمان خوفاً من الفتنة.

شبهة أن عثمان غير سنة رسول الله ﷺ لأنه صلى أربع ركعات في منى:

العلوج بالمدينة، فقال ابن عباس: إن شئت نقتلهم. قال ابن تيمية: فهذا ابن عباس وهو أقره من عبيد الله بن عمر وأدين وأفضل بكثير يستأذن عمر في قتل علوج الفرس مطلقاً الذين كانوا في المدينة. لما اقموهم بالفساد، اعتقدوا جواز مثل هذا.

(١) في رواية للطبري في تاريخه ٤٣/٥، ٤٤ عن سيف بن عمر عن أشياخه أن القماد بن الهرمزان دعاه عثمان وأمكنه من عبيد الله فقال القماد باذ: تركته لله ولكم. وانظر تفاصيل ذلك في التعليقات على العواصم من

القواصم، ١٠٦ - ١٠٨.

(٢) رواه البخاري برقم ١١١.

الجواب:

أن عثمان ما كان إذ ذاك مسافراً لأنه تزوج في مكة وتبوأ منزلاً فيها وأقام في تلك البقعة المباركة، ولما اطلع الأصحاب على حقيقة الحال زال عنهم الإنكار والإشكال.

شبهة ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه وابن مسعود حتى كسر أضلعه ومنعه عطاءه:

الجواب:

أما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً. وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن يشتغل بها؛ لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل، ولا نذهب الزمان في مماشة الجهال، فإن ذلك لا آخر له.

شبهات حول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

عائشة ~~رضي~~ والفتنة:

يقول أحدهم: (ونتساءل عن حرب الجمل التي أشعلت نارها أم المؤمنين عائشة إذ كانت هي التي قادتها بنفسها، فكيف تخرج أم المؤمنين عائشة من بيتها التي أمرها الله بالاستقرار فيه بقوله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى [الأحزاب: ٣٣]. ونسأل: بأي حق استباححت أم المؤمنين قتال خليفة المسلمين علي بن أبي طالب. وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة.

الجواب:

■ أما أن عائشة أشعلت حرب الجمل فهذا من أبين الكذب؛ لأن عائشة لم تخرج للقتال، بل خرجت للإصلاح بين المسلمين، واعتقدت في خروجها مصلحة ثم ظهر لها أن عدم خروجها هو الأسلم لذلك ندمت على خروجها، وثبت عنها أنها قالت: «وددت أني كنت غصنا رطباً ولم أسر مسيري هذا»^(١)، وعلى فرض أن عائشة قاتلت علياً مع طلحة والزبير، فهذا القتال يدخل في قوله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الحجرات: ٩-١٠]

فأثبت لهم الإيذان مع أنهم قاتلوا بعضهم بعضاً، وإذا كانت هذه الآية يدخل فيها المؤمنون فالأولى دخول هؤلاء المؤمنين أيضاً، بل خيارهم.

■ الأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة أو خرجت مع زوجها في سفرة، فإن هذه الآية نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهنّ رسول الله ﷺ بعد ذلك، كما سافر في حجة الوداع بعائشة رضي الله عنها وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن كما كنّ يحججن معه في خلافة عمر رضي الله عنه وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائز فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين، فتأولت في ذلك.

■ لو راجعنا تاريخ الطبري الذي أرّخ حوادث سنة ست وثلاثين للهجرة يثبت أن عائشة جاءت مع طلحة والزبير من أجل الإصلاح، فيذكر أن علياً يبعث القعقاع بن عمرو إلى أهل البصرة يستفسرهم عن سبب خروجهم (... فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة فسلم عليها، وقال: أي أمة، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بنية إصلاح بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما فجاءا، فقال: إني سألت أم المؤمنين: ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قالوا: متابعان^(١). ويثبت أن المتسببين بقتل الألو ف من المسلمين هم قتلة عثمان فيقول: (فلما نزل الناس واطمأنوا خرج عليّ وخرج طلحة والزبير فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصّالح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانتشاع، وأنه لا يُدرك، فافترقوا عن موقفهم على ذلك،

ورجع علي إلى عسكره، وطلحة والزبير إلى عسكرهما، وبعث علي من العشيّ عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير، وبعثاهما من العشيّ محمد بن طلحة إلى عليّ، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه، فقالوا: نعم، فلما أمسوا وذلك في جمادى الآخرة أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل عليّ إلى رؤساء أصحابه، ما خلا أولئك الذين هُضموا عثمان، فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا مثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه، والنزوع عما انتهى الذين اشتبهوا، وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرّ ليلة باتوها قطّ، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلّها، حتى اجتمعوا على إنشأ الحرب في السرّ، واستسروا بذلك خشية أن يفتن بما حاولوا من الشرّ، فغدوا مع الغلس، وما يشعر بهم جيرانهم، انسَلَوْا إلى ذلك الأمر انسلاّلاً، وعليهم ظلمة، فخرج مُضْرِبُهُمْ إلى مُضْرِبِهِمْ، وَرَبْعِيهِمْ إلى رَبْعِيهِمْ، وبمانيّهم إلى بمانيّهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم...^(١). وقال الطبري أيضاً: (وقالت عائشة: خلّ يا كعب عن البعير، وتقدّم بكتاب الله عز وجل فادعهم إليه، ودفعت إليه مصحفاً. وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعليّ من خلفهم يزعمهم ويأبون إلا إقداماً، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً، فقتلوه، ورموا عائشة في هودجها، فجعلت تنادي: يا بنيّ، البقية البقية ويعلو صوتها كثرة الله الله، اذكروا الله عز وجل والحساب، فيأبون إلا إقداماً، فكان أوّل شيء أحدثته حين أبوا قالت: أيّها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وأقبلت تدعو. وضجّ أهل البصرة بالدعاء، وسمع عليّ بن أبي طالب الدعاة فقال: ما هذه الضجّة؟ فقالوا:

عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم، فأقبل يدعو ويقول: اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم^(١). وهذا هو ما أرخه أيضاً ابن الأثير في تاريخه^(٢)، ويعضد هذه الحقيقة الروايات الصحيحة التي تثبت أن عائشة والزبير وطلحة وعلي لم يكونوا يريدون قتال بعضهم بعضاً، ولذلك ندمت عائشة على مسيرها وقالت: «وددت أني غصناً رطباً ولم أسر مسيري هذا». وقالت أيضاً: «وددت أني كنت ثكلت عشرة مثل الحارث بن هشام وأنني لم أسر مسيري مع ابن الزبير»^(٣). فلو كانت تريد القتال دون الإصلاح فلماذا الندم؟!

شبهة إشارة النبي ﷺ نحو مسكن عائشة وقوله: ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان:

روى البخاري: (قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان)).

الجواب:

النبي ﷺ أراد المشرق، ولو أراد بيت عائشة لقال الراوي: (إلى) وليس (نحو). وفي رواية مسلم عن ابن عمر: (خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان، يعني المشرق)^(٤). وعن ابن عمر أيضاً (أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: ألا إن الفتنة ها هنا، ألا إن الفتنة ها هنا من

(١) المصدر السابق ٤٣/٣.

(٢) الكامل في التاريخ ٢٣٣/٣، ٢٤٥.

(٣) رواه الحاكم في المستدرک ١٢٨/٣ ٤٦٠٩.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٩٠٥.

حيث يطلع قرن الشيطان^(١). فالرسول ﷺ أراد جهة المشرق ولم يرد مسكن عائشة رضي الله عنها، ومعروف أن مسكن عائشة يقع شرق منبر الرسول ﷺ حينذاك، ويؤكد ذلك زيادة تفسير الرسول ﷺ بقوله: (حيث يطلع قرن الشيطان). فقد روى البخاري عن ابن عمر قال: قال: (اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قال: قالوا: وفي نجدنا؟ قال: قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قال: قالوا: وفي نجدنا؟ قال: قال: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان). ومعروف أن نجد العراق إلى الشرق من المدينة المنورة. وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان أو الشيطان لا أدري أي ذلك قال هشام). وعن عبد الله الصنابحي أن رسول الله ﷺ قال: (الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقتها فإذا استوت قارنها، فإذا زالت فارقتها، فإذا دنت للغروب قارنها، فإذا غربت فارقتها ونهى رسول الله ﷺ عن الصلاة في تلك الساعات). والمقصود بنجد هي أرض العراق وما جاورها من بلاد فارس أرض الفتن والمحن حيث ظهرت منها الفتن التالية: السبئية، الخوارج، المعتزلة، الخرمية، القرامطة، البابية، البهائية، وغير ذلك كثير.

شبهة سوء خلقها ﷺ مع النبي ﷺ:

يقول أحدهم: أخرج البخاري في صحيحه عنها أشياء عجيبة وغريبة في سوء أدبها مع النبي حتى ضربها أبوها فأسال دمها وفي تظاهرها على النبي حتى هددها الله بالطلاق وأن يبدله ربه خيراً منها وهذه قصص أخرى يطول شرحها).

الجواب:

- لا يوجد في البخاري شيء مما ذكر هذا الطاعن.
- أما قوله: (وفي تظاهرها على النبي ﷺ حتى هددها الله بالطلاق وأن يبدله ربه خيراً منها) فالرد أننا لا نقول بعصمتها فكل إنسان معرض للوقوع في الذنوب الكبيرة والصغيرة، خلا النبي ﷺ. وأما قوله: (أن الله هددها بالطلاق وأن يبدله أي محمد ﷺ خيرٌ منها) فغير صحيح فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عمر رضي الله عنه قال: (اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لمن: عسى ربه إن طلقك أن يبدله أزواجاً خيراً منك فنزلت هذه الآية)^(١). فالآية كما هو ظاهر ليست تهديداً وإنما تخيير من الله لنبيه ﷺ في التطليق، لذلك سميت آية التخيير، إضافة إلى أنها لا تخص عائشة وحدها بل تشمل أيضاً بقية زوجاته.

شبهة منع عائشة لدفن الحسن رضي الله عنه قرب قبر النبي ﷺ:

قالوا: أنها اعترضت جنازة الحسن سيد شباب أهل الجنة ومنعت أن يدفن بجانب جده رسول الله قائلة: لا تدخلوا بيتي من لا أحب ونسيت أو تجاهلت قول الرسول فيه وفي أخيه: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) أو قوله: (أحب الله من أحبهما وأبغض الله من أبغضهما)، أو قوله: (أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم)، وغير ذلك كثير

لست في معرض الكلام عنه... كيف لا وهما ريجانتاه من هذه الأمة). وقالوا: وإذا كانت فاطمة الزهراء التي أوصت بدفنها سرّاً فلم تدفن بالقرب من قبر أبيها كما ذكرت فما بال ما حصل مع جثمان ولدها الحسن لم يدفن قرب قبر جده؟! حيث منعت هذا «أم المؤمنين» عائشة وقد فعلت ذلك عندما جاء الحسين بأخيه الحسن ليدفنه إلى جانب جدّه رسول الله، فركبت عائشة بغلة وخرجت تنادي وتقول: لا تدفنوا في بيتي من لا أحب. واصطف بنو أمية وبنو هاشم للحرب، ولكنّ الإمام الحسين قال لها: بأنه سيطوف بأخيه على قبر جدّه ثم يدفنه في البقيع لأن الإمام الحسن أوصاه أن لا يهرقوا من أجله ولو محجمة من دم. وقال لها ابن عباس أبياتاً مشهورة:

تجمّلت تبغلت ولو عشت تقيّلت لك التسع من الثمن وبالكل تصرفت)

الجواب:

■ كل ما يروى عنها في هذا الباب فهو كذب، وليس له أثر في أي من كتب أهل السنة، بل هناك العكس، فقد أورد ابن الأثير في خبر وفاة الحسن بن عليّ عليه السلام أن (الحسين استأذن عائشة أي في دفن أخيه فأذنت له)^(١). وفي الاستيعاب (فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة فطلب ذلك إليها فقالت: نعم وكرامة)^(٢)! وفي البداية (أن الحسن بعث يستأذن عائشة في ذلك فأذنت له)^(٣).

■ أما ادعاؤه على ابن عباس أنه قال عن أم المؤمنين بيتين من الشعر، فمع ركافة هذين البيتين فينقضها ما قاله في حقها عند وفاتها، فقد أخرج أحمد في الفضائل عن ذكوان مولى عائشة (أنه استأذن لابن عباس على عائشة وهي تموت وعندها ابن أخيها عبد

(١) الكامل في التاريخ ٤٦٠/٣.

(٢) الاستيعاب ٣٩٢/١.

(٣) البداية والنهاية ٤٤/٨.

الله بن عبد الرحمن فقال: هذا ابن عباس يستأذن عليك وهو من خير بنيك، فقالت: دعني من ابن عباس، ومن تركيته، فقال لها عبد الله بن عبد الرحمن: أنه قارئ لكتاب الله فقيه في دين الله فأذني له ليسلم عليك وليودعك. قالت: فأذن له إن شئت. قال: فأذن له. فدخل ابن عباس ثم سلم وجلس فقال: أبشري يا أم المؤمنين؛ فوالله ما بينك وبين أن يذهب عنك كل أذى ونصب أو قال: وصب وتلقي الأجرة محمد وحزبه أو قال: أصحابه إلا أن يفارق روحك جسدك، فقالت: وأيضاً، فقال ابن عباس: كنت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه ولم يكن ليحب إلا طيباً، وأنزل الله عز وجل براءتك من فوق سبع سماوات فليس في الأرض مسجد إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، وسقطت قلاذك ليلة الأبواء فاحتبس النبي ﷺ في المنزل والناس معه في ابتغائها أو قال: في طلبها حتى أصبح القوم على غير ماء فأنزل الله عز وجل: فَتَكُونُوا صَعِيداً طَيِّباً [النساء: ٤٣]، فكان في ذلك رخصة للناس عامة في سبيلك، فوالله إنك لمباركة، فقالت: دعني يا ابن عباس من هذا فوالله لوددت لو أني كنت نسياً منسياً^(١). وفي مناقشته للخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام احتج عليهم بقوله: (قلت -أي ابن عباس-: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم. أفتسبون أمكم عائشة، وتستحلّون منها ما تستحلّون من غيرها، وهي أمكم؟ فإن قلت: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها، فقد كفرتم «!!!»، ولأن قلت: ليست بأمنا، فقد كفرتم «!!!»، لأن الله تعالى يقول: النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ [الأحزاب: ٦]. فأنتم تدورون بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج. قلت:

(١) فضائل الصحابة ٨٧٣/٢، حلية الأولياء ٤٥/٢.

فخرجت من هذه؟ قالوا: نعم..^(١). فهذه الروايات الصحيحة ترد هذه الرواية المجهولة المصدر.

شبهة مقاتلة عائشة لعلي عليه السلام وهي ظالمة:

مر بعض الكلام في هذه المسألة، وحديث : (تقاتلين علياً وأنت ظالمة له) فهذا لا يُعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف. وعائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها. وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي عليه السلام أجمعين، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في الاقتتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم، فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير، وقصدوا الاتفاق على المصلحة، وأنهم إذا تمكّنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة، وكان علي غير راض بقتل عثمان ولا مُعيناً عليه، كما كان يحلف فيقول: «والله ما قتلت عثمان ولا مألأت على قتله»، وهو الصادق البار في يمينه، فخشي القتلة أن يتفق عليّ معهم على إمساك القتلة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير أن علياً حمل عليهم، فحملوا دفعاً عن أنفسهم، فظن عليّ أنهم حملوا عليه، فحمل دفعاً عن نفسه، فوقع الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة عليها راحة: لا قاتلت، ولا أمرت بالقتال. هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار.

شبهة موقف أم المؤمنين عائشة من مقتل عثمان بن عفان:

(١) خصائص أمير المؤمنين برقم ١٨٥.

مر الكلام في هذه الشبهة.

شبهة أيتكن تنبح عليها كلاب الحوآب:

عن قيس بن أبي حازم أن عائشة لما نزلت على الحوآب سمعت نباح الكلاب فقالت: (ما أظنني إلا راجعة سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيتكن ينبح عليها كلاب الحوآب؟ فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله أن يصلح بك بين الناس)^(١). وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لنسائه: (ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب تخرج فينبحها كلاب الحوآب يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ثم تنجو بعد ما كادت)^(٢).

الحديث صحيح كما بين الألباني، ولكنه نبه على رواية (فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء الحوآب.. فكانت أول شهادة زور في الإسلام)^(٣). وقد عاتب الشيخ الألباني القاضي ابن العربي نكارتة للحديث غير أنه وافقه في كذب شهادة الزور المزعومة. وأوضح أن خروج عائشة كان خطأ ولكن ليس فيه معصية للحديث. فإن الحديث يشير إلى أنها سوف تكون في مكان تقع فيه فتن ويموت فيه كثير من الناس، فلما قفلت عائدة ذكرها طلحة والزبير بأهمية موقفها لتحقيق الصلح الذي كان يطمع الناس في حصوله ببركتها وتقدير الناس لها. وهي مع ذلك مخطئة. وإذا كنا نرى مواقف عاتب الله عليها أنبياء فتوقع الخطأ ممن هو دون النبي أولى، فموسى قتل نفساً ونسي ما عاهد به الخضر. وذا النون ذهب مغاضباً. ثم هذا لا ينقص شيئاً من فضائلها بل هو في ذاته فتنة للمحرومين من الإنصاف والعقل والدين. ولذلك قال عمار بن ياسر: «والله إني لأعلم أنها زوجة نبيكم في الدنيا

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) رواه البخاري ورجال ثقات. انظر: مجمع الزوائد ٢٣٤/٧.

(٣) سلسلة الصحيحة ٢٢٧/١ عند حديث رقم ٤٧٥.

والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي» رواه البخاري. ثم روى الألباني روايات تؤكد أن عبد الله بن الزبير كان معها وهو محرم لها.

الرد على شبهة رواية عائشة شوفت جارية وطافت بها:

حدثنا أبو بكر قال: نا وكيع عن العلاء بن عبد الكريم اليامي عن عمار بن عمران رجل من زيد الله عن امرأة منهم عن عائشة أنها شوفت جارية وطافت بها وقالت: «لعلنا نصطاد بها شباب قريش».

الجواب:

فيه مجهول وهو المرأة وغيرها ضعيف وهو عمار بن عمران. وعمار بن عمران هو الزيدي الجعفي، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣٩٢/٦)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في موضعين الأول برقم (١٧٦٦٤)، والثاني برقم (٢٢٣٥١) بنفس السند لكن بلفظ: (نصيب). قال ابن حجر: (عمار بن عمران عن سويد بن غفلة: «كان بلال يسوي مناكبنا في الصلاة» الصلاة، وعنه الأعمش وبعضهم يرويه عن الأعمش فقال: عن عمار عن عمران بن مسلم لا يصح حديثه ذكره في الضعفاء) (١). وهذه الرواية وردت عن وكيع بن الجراح عن عمار بن عمران عن امرأة من زيد عن عائشة رضي الله عنها، وعمار بن عمران والمرأة مجهولان فلا تقبل هذه الرواية. إذاً فهذه الرواية لا تقبل. بالرغم من أن الباب الذي رويت به هذه الرواية هو باب تزوين السلعة للبيع أي أرادت بيعها.

(١) لسان الميزان ٢٧٢/٤. وانظر: ميزان الاعتدال ١٦٦/٣.

الكلام في تعظيم منزلة عائشة على سائر نساء النبي ﷺ:

قالوا: وأعظموا أمر عائشة على باقي نسوانه، مع أنه ﷺ كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد، وقالت له عائشة: إنك تكثر من ذكرها، وقد أبدلك الله خيراً منها. فقال: والله ما بدّلت بها ما هو خير منها؛ صدّقني إذ كذّبتني الناس، وآوتني إذ طردني الناس، وأسعدتني بماها، ورزقني الله الولد منها، ولم أرزق من غيرها).

الجواب:

أولاً: أن يقال: إن أهل السنة ليسوا مجمعين على أن عائشة أفضل نسائه، بل قد ذهب إلى ذلك كثير من أهل السنة، واحتجوا بما في الصحيحين عن أبي موسى وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام). وفي الصحيح عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قلت: (يا رسول الله! أي الناس أحب إليك؟) قال: عائشة. قلت: من الرجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: عمر. وسمي رجالاً). وهؤلاء يقولون: قوله لخديجة: (ما أبدلني الله خيراً منها) إن صح معناه: ما أبدلني بخير لي منها؛ لأن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقم غيرها فيه مقامها، فكانت خيراً له من هذا الوجه، لكونها نفعته وقت الحاجة، لكن عائشة صحبته في آخر النبوة وكمال الدين، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أول زمن النبوة، فكانت أفضل بهذه الزيادة، فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها، وبلغت من العلم والسنة ما لم يبلغه غيرها، فخديجة كان خيرها مقصوراً على نفس النبي ﷺ، لم تبلغ عنه شيئاً، ولم تنتفع بها الأمة كما انتفعوا بعائشة، ولا كان الدين قد كمل حتى تعلمه ويحصل لها من كمال الإيمان به ما حصل لمن علمه وآمن به بعد كماله.

شبهة تسمية عائشة بأم المؤمنين دون غيرها:

قالوا: وسَمّوها أم المؤمنين ولم يسمّوا غيرها بذلك، ولم يسمّوا أخاها محمد بن أبي بكر - مع عظم شأنه وقربه من منزلة أبيه وأخته عائشة أم المؤمنين - فلم يسموه خال المؤمنين، وسموا معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين، لأن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخت محمد بن أبي بكر وأبوه أعظم من أخت معاوية ومن أبيها).

الجواب:

- هذا من البهتان الواضح الظاهر لكل أحد، وذلك أنه من المعلوم أن كل واحدة من أزواج النبي ﷺ يقال لها: (أم المؤمنين) وقد قال الله تعالى: النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ [الأحزاب: ٦]. وهذا أمر معلوم للأمة.
- وأما القول: (وعظم شأنه) أي محمد بن أبي بكر. فإن أهل السنة فإنما يعظمون بالتقوى، لا بمجرد النسب، قال تعالى: أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ [الحجرات: ١٣] وإن أرادوا عظم شأنه لسابقته وهجرته ونصرته وجهاده، فهو ليس من الصحابة: لا من المهاجرين ولا من الأنصار. وإن أراد بعظم شأنه أنه كان من أعلم الناس وأذينهم، فليس الأمر كذلك. وأما قولهم: (وأخت محمد وأبوه أعظم من أخت معاوية وأبيها). فيقال: هذه الحجة باطلة على الأصلين. وذلك أن أهل السنة لا يفضلون الرجل إلا بنفسه، فلا ينفع محمداً قربه من أبي بكر وعائشة، ولا يضر معاوية أن يكون ذلك أفضل نسباً منه، وهذا أصل معروف لأهل السنة، كما لم يضر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، كبلال وصهيب وخبّاب وأمثالهم، أن يكون من تأخر عنهم من الطلقاء وغيرهم، كأبي سفيان بن

حرب وابنيه معاوية ويزيد وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونحوهم، أعظم نسباً منهم.

شبهات حول طلحة والزبير رضي الله عنهما

الادعاء على طلحة والزبير أنهما يشهدان الزور:

يقول أحدهم: لما جازت عائشة ماء الحوآب ونبحتها كلاهما تذكرت تحذير زوجها رسول الله ونبيه إياها أن تكون هي صاحبة الجمل، فبكت وقالت: ردّوني ردّوني. ولكن طلحة والزبير جاؤوها بخمسين رجلاً جعلوا لهم جعلاً، فأقسموا الله أن هذا ليس بماء الحوآب فواصلت مسيرها حتى البصرة، ويذكر المؤرخون أنها أوّل شهادة زور في الإسلام) ثم يعزو هذا الخبر إلى الطبري وابن الأثير والمدائني وغيرهم من المؤرخين الذين أروا السنة ست وثلاثين.

الجواب:

ليس لهذا الأثر وجود في كتاب الطبري وابن الأثير، اللهم إلا هذه الرواية (عن الزهري، قال: بلغني أنه لما بلغ طلحة والزبير منزل عليّ بذي قار انصرفوا إلى البصرة، فأخذوا على المنكدر، فسمعت عائشة عليها السلام تُباح الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ فقالوا: الحوآب، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، إني لهي، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكنّ تنبّحها كلاب الحوآب. فأرادت الرجوع، فأتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنه قال: كذب من قال: إنّ هذا الحوآب. ولم يزل حتى مضت) (١)، ورواية الطبري وابن الأثير كما هو واضح لا تأتي على ذكر طلحة والزبير، وإنما عبد الله بن الزبير، وليس فيها شهادة زور، وحتى مقولة أنّ ابن الزبير: كذب من قال: إنّ هذا الحوآب، فجاءت بصيغة تمريضية، لأن الزهري قال (فزعم أنه قال).

(١) تاريخ الأمم والملوك ١٨/٣، الكامل في التاريخ ٢١٠/٣.

شبهات حول عبد الله بن عمر رضي الله عنه

شبهة أن ابن عمر رفض مبايعة علي عليه السلام:

الجواب:

المطالبة بصحة النقل لإثبات ذلك، فبيعة علي عليه السلام كانت باتفاق أصحاب النبي صلى الله عليه وآله لا يعرف بينهم تنازع في ذلك، وأنهم كانوا يرون أنه أولى الناس بذلك، وقد كان ابن عمر من أعيان الصحابة وكبارهم، ومن لا يغفل له رأي لو كان مخالفاً، ولا تنتشر ذلك بين الناس، ونقلته المصادر. وإنما الذي حصل أن بيعة علي عليه السلام كانت في وقت فتنة وتفرق بين الناس، بسبب مقتل عثمان فترث بعض الصحابة كسعد وابن عمر في البيعة وقالوا: لا نبايع حتى يبايع الناس كما روى ذلك الطبري. وقد كان هذا التوقف من سعد وابن عمر في البيعة لعل في بداية الأمر. ثم إنهما بايعا بعد ذلك، بعدما اجتمع الناس على علي، فقد كان هذا شرطهما، وهذا من تمام فقههما عليهما السلام فإنهما لو بايعا علياً وبايع الناس غيره لتبعهما في بيعتهما خلق كثير، ولتفرق الناس افتراقاً عظيماً. ومما يدل على بيعتهما بعد ذلك ما نقله ابن كثير في سياق أحداث البيعة لعل عليه السلام حيث قال: (فرجعوا إلى علي فألحوا عليه، وأخذ الأشر بيده فبايعه وبايعه الناس... وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذي الحجة، وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك وكلهم يقول: لا يصلح لها إلا علي، فلما كان يوم الجمعة وصعد على المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس...^(١). فتبين أن بيعة علي كانت في يومين يوم الخميس ويوم الجمعة، فلعل من نقل تحلف ابن عمر، وسعد، وبعض

الصحابة، كان في اليوم الأول من البيعة، ثم إنهم بايعوا في اليوم الثاني، فلم يتخلف منهم أحد، وهذا الذي قرره المؤرخون الذين نقلوا خبر البيعة. ثم إن الروايات الصحيحة جاءت مؤكدة دخول ابن عمر في البيعة^(١).

الكلام في قول ابن عمر: إن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان

قالوا: وكان يحدث أن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم لا تفاضل والناس بعد ذلك سواسية، ثم قال: (ويعني هذا أن ابن عمر جعل الإمام علياً من سوقة الناس، كأبي شخص ليس له فضل).

الجواب:

هذا الأثر صحيح مشهور عن ابن عمر، والزيادة: (والناس بعد ذلك سواسية) لم يقلها ابن عمر، ولم تثبت عنه في شيء من طرق هذا الأثر. ومفهوم الأثر كما يعتقد هؤلاء غير مسلم، فترك المفاضلة شيء، واعتقاد المساواة شيء آخر، والثابت عن ابن عمر هو ترك المفاضلة بين الصحابة بعد أولئك الثلاثة، لا أنه كان يعتقد تساوي الباقيين في الفضل. وقد نص على هذا العلماء في شرح الحديث: قطعاً لهذه الشبهة. قال الخطابي: (وجه ذلك والله أعلم أنه أراد الشيوخ وذوي الأسنان منهم، الذين كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر شاورهم فيه، وكان علي رضوان الله عليه في زمان رسول الله ﷺ حديث السن، ولم يرد ابن عمر الإزراء بعلي عليه السلام، ولا تأخيره ودفعه عن الفضيلة بعد عثمان، وفضله مشهور،

(١) قد عنيت بعض الدراسات الحديثة بجمع هذه الروايات، انظر: على سبيل المثال، كتاب تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور محمد أمزون ٥٩/٢، ٧٥.

لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة^(١). ونقل ابن حجر: عن بعض العلماء أن قول ابن عمر هذا كان قبل أن ينعقد الإجماع على أفضلية علي بعد الخلفاء الثلاثة^(٢).

(١) معالم السنن ٢٧٩/٤.

(٢) انظر: فتح الباري ١٦/٧.

شبهات حول خالد بن الوليد رضي الله عنه

شبهة تسمية خالد بسف الله:

مر الكلام في هذه القول.

شبهة بعث النبي ﷺ له لبني جذيمة ليأخذ منهم الصدقات، فخانه وخالفه على أمره وقتل المسلمين، فقام النبي ﷺ خطيباً بالإنكار عليه رافعاً يديه إلى السماء حتى شوهد بياض إبطيه، وهو يقول: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) ثم أنفذ إليه بأمر المؤمنين لتلافي فارطه، وأمره أن يسترضى القوم من فعله).

الجواب:

هذا النقل فيه من الجهل والتحريف ما لا يخفى على من يعلم السيرة؛ فإن النبي ﷺ أرسله إليهم بعد فتح مكة ليسلموا، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فقالوا: صبأنا صبأنا، فلم يقبل ذلك منهم، وقال: إن هذا ليس بإسلام، فقتلهم، فأنكر ذلك عليه من معه من أعيان الصحابة، كسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وغيرهما. ولما بلغ ذلك النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)؛ لأنه خاف أن يطالبه الله بما جرى عليهم من العدوان. وقد قال تعالى: فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ [الشعراء: ٢١٦]، ثم أرسل عليّاً، وأرسل معه مالا، فأعطاهم نصف الديات، وضمن لهم ما تلف حتى ميلة الكلب، ودفع إليهم ما بقي احتياطاً لئلا يكون بقي شيء لم يعلم به. ومع هذا فالنبي ﷺ لم يعزل خالدًا عن الإمارة، بل ما زال يؤمّره ويقدمه، لأن الأمير إذا جرى منه خطأ أو ذنب أمر بالرجوع عن ذلك، وأقرّ على ولايته، ولم يكن خالدًا

معانداً للنبي ﷺ، بل كان مطيعاً له، ولكن لم يكن في الفقه والدين بمنزلة غيره، فخفى عليه حكم هذه القضية.

شبهة قتله لمالك بن نويرة وزواجة من إمراته .. ألخ
مر الكلام في هذه الشبهة.

شبهات حول معاوية رضي الله عنه

شبهة عدم محاسبة عمر لمعاوية.

يقول أحدهم: (أن عمر بن الخطاب الذي اشتهر بمحاسبة ولاته وعزلهم لمجرّد الشبهة نراه يلين مع معاوية بن أبي سفيان ولا يحاسبه أبداً وقد ولّاه أبو بكر وأقرّه عمر طيلة حياته ولم يعترض عليه حتى بالعتاب واللّوم، رغم كثرة الساعين الذين يشتكون من معاوية ويقولون له بأنّ معاوية يلبس الذهب والحرير اللذين حرمهما رسول الله على الرّجال، فكان عمر يجيبهم: دعوه فإنّه كسرى العرب، واستمر معاوية في الولاية أكثر من عشرين عاماً لم يتعرّض له أحد بالنقد ولا بالعزل، ولما ولي عثمان خلافة المسلمين أضاف إليه ولايات أخرى مكّنته من الاستيلاء على الثروة الإسلامية وتعبئة الجيوش وأوباش العرب للقيام بالثورة على إمام الأمة والاستيلاء على الحكم بالقوة والغصب والتحكّم في رقاب المسلمين وإرغامهم بالقوّة والقهر على بيعه ابنه الفاسق شارب الخمر يزيد.

الجواب:

■ الثابت يشهد بخلاف ذلك فقد أورد ابن كثير في البداية: (أن معاوية دخل على عمر وعليه حلة خضراء فنظر إليها الصحابة، فلما رأى ذلك عمر وثب إليه بالدرة فجعل يضربه بها، وجعل معاوية يقول: يا أمير المؤمنين الله الله في، فرجع عمر إلى مجلسه فقال له القوم: لم ضربته يا أمير المؤمنين؟ وما في قومك مثله؟ فقال: والله ما رأيت إلا خيراً، وما بلغني إلا خيراً، ولو بلغني غير ذلك لكان مني إليك غير ما رأيتم، ولكن رأيته وأشار بيده فأحببت أن أضع منه ما شمنخ)^(١).

■ أما قوله: (رغم كثرة الساعين الذين يشكون من معاوية) يكذبه الواقع والتاريخ فقد مكث معاوية أربعين عاماً يحكم أهل الشام وكانت علاقته بهم علاقة حب وولاية لدرجة أنهم أجابوه بقوة للأخذ بدم عثمان. أما أن عمر قد قال في معاوية بأنه كسرى العرب عندما علم بأنه يلبس الذهب والحرير! فلا نعلم من ذكر هذا، والغريب أن يضرب عمر معاوية للبس حلة خضراء مباحة، ويسكت عليه عندما يلبس الذهب والحرير المحرم؟!.

■ ليس في تولية معاوية للشام أي مطعن في عمر أو عثمان فإنه قد ثبت أن النبي ﷺ قد ولى أباه أباسفيان على نجران حتى توفي، بل كان الكثير من أمراء النبي ﷺ من بني أمية (فإنه استعمل على مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص بن أمية على صدقات مذجج وصنعاء اليمن، ولم يزل عليها حتى مات النبي ﷺ، واستعمل عمرو على تيماء وخيبر وقرى عرينة، وأبان بن سعيد بن العاص استعمله على البحرين برها وبحرها حين عزل العلاء بن الحضرمي، فلم يزل عليها حتى مات النبي ﷺ وأرسله قبل ذلك أميراً على سرايا منها سرية إلى نجد)^(١).

■ وعندما ولي معاوية الشام كانت سياسته مع رعيته من أفضل السياسات وكانت رعيته تحبه ويحبهم (قال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحداً أعظم حلماً ولا أكثر سؤدداً ولا أبعد أناة ولا ألين مخرجاً، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية. وقال بعضهم: أسمع رجل معاوية كلاماً سيئاً شديداً، فقليل له: لو سطوت عليه؟ فقال: إني لاستحي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد رعيتي. وفي رواية قال له رجل: يا أمير المؤمنين ما أحلمك؟ فقال: إني لأستحي أن يكون جرم أحد أعظم من

حلمي^(١)، لذلك استجابوا له عندما أراد المطالبة بدم عثمان وبايعوه على ذلك ووثقوا له أن يبذلوا في ذلك أنفسهم وأموالهم، أو يدركوا بثأره أو ينفي الله أرواحهم قبل ذلك.

■ أما ادعاؤه على معاوية أنه استولى على الثروة الإسلامية وتعبئة الجيوش وأوباش العرب للقيام بالثورة على إمام الأمة والاستيلاء على الحكم بالقوة والغصب والتحكم في رقاب المسلمين فهذا من أكبر الكذب على معاوية فإنه ما أراد الحكم ولا اعترض على إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بل طالب بتسليمه قتلة عثمان ثم يدخل في طاعته بعد ذلك، فقد أورد الذهبي في (السير) عن يعلى بن عبيد عن أبيه قال: (جاء أبو مسلم الخولاني وناس معه إلى معاوية فقالوا له: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال معاوية: لا والله إني لأعلم أن علياً أفضل مني، وإنه لأحق بالأمر مني، ولكن أستم تعلمون أنّ عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، وإنما أطلب بدم عثمان، فأتوه فقولوا له: فليدفع إلّيّ قتلة عثمان وأسلم له. فأتوا علياً فكلّموه بذلك فلم يدفعهم إليه)^(٢)، طالما أكّد معاوية ذلك بقوله: «ما قاتلت علياً إلا في أمر عثمان». وهذا ما يؤكده الإمامية في كتبهم، فقد أورد الشريف الرضي في كتاب نهج البلاغة في خطبة لعليّ قوله: (وبدأ أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه

(١) البداية والنهاية ١٣٨/٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤٠/٣.

براء^(١). فهذا عليّ يؤكد أن الخلاف بينه وبين معاوية هو مقتل عثمان وليس من أجل الخلافة أو التحكم في رقاب المسلمين كما يدعي هذا الطاعن.

■ أما قوله بأن معاوية أرغم المسلمين بالقوة والقهر على بيعته ابنه الفاسق شارب الخمر يزيد، فهذا من الكذب الظاهر فإن معاوية لم يرغم الناس على بيعته ابنه يزيد، ولكنه عزم على الأخذ بعقد ولاية عهده ليزيد وتم له ذلك، فقد بايع الناس ليزيد بولاية العهد ولم يتخلف إلا الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، وتوفي معاوية ولم يرغمهم على البيعة. أما أن يزيد فاسق شارب للخمر فهذا كذب أيضاً، وندع محمد بن عليّ بن أبي طالب رحمه الله يجيب على هذا الادعاء لأنه أقام عند يزيد وهو أدري به. قال ابن كثير في البداية: (لما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب. فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيتته مواظباً على الصلاة متحرياً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة، قالوا: فإن ذلك كان منه تصنعاً لك. فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إليّ الخشوع؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا. قالوا: إنه عندنا حق وإن لم يكن رأينا. فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة، فقال: إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [الزخرف: ٨٦] ولست من أمركم في شيء، قالوا: فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليّك أمرنا. قال: ما استحل القتال على ما تريدونني عليه تابعاً ولا متبوعاً، فقالوا: فقد قاتلت مع

أبيك، قال: جيئوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه، فقالوا: فمر ابنك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا، قال: لو أمرتهما قاتلت. قالوا: فقم معنا مقاماً نحض الناس فيه على القتال، قال: سبحان الله!! أمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه إذا ما نصحت لله في عباده. قالوا: إذا نكرهك. قال: إذا أمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط الخالق، وخرج إلى مكة^(١).

الادعاء على معاوية بأنه أمر بسب عليّ، وأنه ليس من كتبة الوحي:

يقول أحدهم: (وقد بحثت كثيراً عن الدوافع التي جعلت هؤلاء الصحابة يغيرون سنة رسول الله ﷺ، واكتشفت أن الأمويين وأغلبهم من صحابة النبي وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان «كاتب الوحي» كما يسمّونه كان يحمل الناس ويجرهم على سب علي بن أبي طالب ولعنه من فوق منابر المساجد، كما ذكر ذلك المؤرخون، وقد أخرج مسلم في صحيحه في باب «فضائل علي بن أبي طالب» مثل ذلك، وأمر عمّاله يعني معاوية في كل الأمصار باتخاذ ذلك اللعن سنّة يقولها الخطباء على المنابر). ويقول في موضع آخر: (كيف يحكمون باجتهاده ويعطوه أجراً وقد حمل الناس على لعن علي وأهل البيت ذرية المصطفى من فوق المنابر). وفي موضع آخر يقول: (حمل الناس على لعن علي وأهل البيت ذرية المصطفى من فوق المنابر وأصبحت سنة متبعة لستين عاماً). ويقول: (وكيف يسمّونه «كاتب الوحي»... وقد نزل الوحي على رسول الله ﷺ طيلة ثلاثة وعشرين عاماً، كان معاوية لأحد عشر عاماً منها مشركاً بالله... ولمّا أسلم بعد الفتح لم نثر على رواية تقول

بأنه سكن المدينة في حين أن الرسول ﷺ لم يسكن مكة بعد الفتح..... فكيف تسنى لمعاوية كتابة الوحي يا ترى؟!).

الجواب:

- مر الكلام في مسألة سب معاوية لعلّي ﷺ .
- أما أن معاوية من كتبة الوحي فأمر ثابت، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس (أن أبا سفيان طلب من النبي ﷺ ثلاثة مطالب، فقال للنبي: يا نبي الله ثلاثٌ أعطينهن قال: نعم منها قال: معاوية، تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم..)^(١)، وروى أحمد في المسند ومسلم عن ابن عباس قال: (كنت غلاماً أسعى مع الصبيان، قال: فالتفتُ فإذا نبي الله ﷺ خلفي مقبلاً، فقلت: ما جاء النبي ﷺ إلّا إليّ، قال: فسعيت حتى أختبيء وراء باب دارٍ قال: فلم أشعر حتى تناولني، قال: فأخذ بقفاي، فحطأني خطأً، قال: اذهب فادع لي معاوية، وكان كاتبه، قال: فسعيتُ فقلت: أجب نبي الله ﷺ فإنه على حاجة)^(٢)، فهذان الحديثان يثبتان أن معاوية كان من كتبة الوحي.

القول بأن سبب قتل معاوية لحجر بن عدي يد معاوية استنكاره لسبّ عليّ:
يقول أحدهم: (ولمّا استاء لذلك بعض الصحابة واستنكر هذا الفعل أمر معاوية بقتلهم وحرقتهم، وقد قتل من مشاهير الصحابة حجر بن عدي الكندي وأصحابه، ودفن بعضهم أحياءً لأنهم امتنعوا عن لعن علي واستنكروه).

(١) صحيح مسلم برقم ٢٥٠١.

(٢) مسند أحمد برقم ٢٦٥١، صحيح مسلم برقم ٢٦٠٤.

الجواب:

- اختلف الناس في صحبة حجر بن عدي (المشهور)! فعده البخاري وآخرون من التابعين، وعده البعض الآخر من الصحابة.
- لم يقتل معاوية حجراً لأنه امتنع عن سب عليّ، الذي ذكره المؤرخون في سبب مقتل حجر بن عدي هو أن زياد أمير الكوفة من قبل معاوية قد خطب خطبة أطال فيها، فنادى حجر بن عدي: الصلاة، فمضى زياد في الخطبة فما كان من حجر إلا أن حصبه هو وأصحابه، فكتب زياد إلى معاوية ما كان من حجر وعدّ ذلك من الفساد في الأرض، وقد كان حجر يفعل مثل ذلك مع من تولّى الكوفة قبل زياد، فأمر أن يسرح إليه فلما جيء به إليه أمر بقتله، وسبب تشدد معاوية في قتل حجر هو محاولة حجر البغي على الجماعة وشق عصا المسلمين واعتبره من السعي بالفساد في الأرض، وخصوصاً في الكوفة التي خرج منها جزء من أصحاب الفتنة على عثمان، فإن كان عثمان سمح بشيء من التسامح في مثل هذا القبيل الذي انتهى بمقتله، وجرّ على الأمة عظام الفتن حتى كلفها ذلك من الدماء أنهاراً، فإن معاوية أراد قطع دابر الفتنة من منبتها بقتل حجر. وقد اعتمد معاوية في قضائه هذا بقتل حجر بن عدي، على قوله عليه السلام: (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه). وفي رواية عنه عليه السلام: (إنه ستكون هنات - أي فتن - وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان)^(١).

شبهة أن الحسن البصري رحمته الله طعن في معاوية !!

ذكر الطبري في تاريخه (٣/ ٢٣٢) ضمن حوادث سنة (٥١ هـ) وابن الأثير في الكامل (٣/ ٤٨٧) نقلاً عن الحسن البصري أنه قال: «أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحد لكانت موبقة له... الرواية.

الجواب:

■ هذه الرواية مدارها على أبي مخنف، وأبو مخنف هذا هو لوط بن يحيى الأزدي الكوفي، قال عنه الذهبي كما في الميزان (٣/ ٤١٩) وابن حجر كما في اللسان (٤/ ٤٩٢): (أخباري تالف لا يوثق به). كما تركه أبو حاتم وغيره، وقال عنه الدارقطني: (ضعيف)، وقال ابن معين: (ليس بثقة)، وقال مرة ليس بشيء، وقال ابن عدي: (شيعي محترق). وعده العقيلي من الضعفاء^(١). وعلى ذلك فالخبر ساقط ولا حجة فيه بسبب ضعف سنده، هذا بالنسبة لرواية الطبري. أما رواية ابن الأثير فقد أوردها ابن الأثير بغير إسناد.

ادعاء البعض أن معاوية سم الحسن:

يقول أحدهم: (كيف يريدونه صحابياً عادلاً وقد دس السم للحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة وقتله).

الجواب:

■ لم يثبت ولا دليل صحيح عليه.

■ كان الناس في تلك المرحلة في حالة فتنة تتصارعهم الأهواء، وكل فرقة تنسب للأخرى ما يذمها، وإذا نقل لنا ذلك فيجب ألا نقبله إلا إذا نقل بعدل ثقة ضابط.

(١) انظر الضعفاء للعقيلي ٤/ ١٨، ١٩. وللمزيد من حال هذا الرجل راجع رسالة مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري للدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى، ٤٣، ٤٥ ففيها مزيد بيان وتفصيل عن حال هذا الرجل.

■ لقد نقل أن الذي سمّ الحسن غير معاوية فقيلاً: هي زوجته، وقيل: أن أباهما الأشعث بن قيس هو الذي أمرها بذلك، وقيل: معاوية، وقيل: ابنه يزيد، وهذا التضارب بالذي سمّ الحسن يضعف هذه النقول لأنه ينقصها النقل الثابت بذلك، ث - هذه المقولة تستسيغها العقول في حالة رفض الحسن الصلح مع معاوية ومقاتلته على الخلافة، ولكن الحق أن الحسن صالح معاوية وسلّم له بالخلافة وبايعه، فعلى أي شيء يسمّ معاوية الحسن؟!

ادعاء البعض على معاوية أنه حوّل الخلافة من الشورى إلى ملكية قيصرية: بقوله: (كيف ينزّهونه وقد أخذ البيعة من الأمة بالقوة والقهر لنفسه أولاً ثم لابنه الفاسق يزيد من بعده وبدّل نظام الشورى بالملكية القيصرية).

الجواب:

■ لم يأخذ معاوية الخلافة بالقوة والقهر، وإنما سلمت له من قبل الحسن بن علي وذلك بعدما تم الصلح بينهما وذلك مصداقاً لقوله ﷺ: (ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين).

■ أما بالنسبة لمبايعة ابنه يزيد فقد حرص معاوية على موافقة الناس، فعزم على أخذ البيعة لولاية العهد ليزيد، فشاور كبار الصحابة وسادات القوم وولاة الأمصار فجاءت الموافقة منهم، وجاءته الوفود بالموافقة على بيعته يزيد وبايعه الكثير من الصحابة حتى قال الحافظ عبد الغني المقدسي: (خلافته صحيحة، بايعه ستون من أصحاب رسول الله ﷺ منهم ابن عمر)^(١). وقد خالف ابن الزبير والحسين هذه

(١) قيد الشريد من أخبار يزيد لابن خلدون ص ٧٠.

الموافقة، ولا يقدح ذلك في البيعة إذ لا بد من مخالف لذلك، ومن هنا نعلم أن معاوية حرص على موافقة الأمة على بيعة يزيد، ولو أراد معاوية الاستبداد وأخذ البيعة ليزيد بالقوة والقهر لاكتفى ببيعة واحدة، وفرضها على الناس فرضاً، وهذا ما لم يفعله معاوية بل قد خالف من خالف ولم يتخذ معاوية سبيل القوة لارغامهم على البيعة.

■ ولعل السبب الذي دفع معاوية لأخذ البيعة ليزيد، حتى يُبعد الخلاف ويجمع الكلمة في هذه المرحلة المتوتّرة التي تعيشها الأمة، وكثرة المطالبين بالخلافة فرأى أنه بتوليته ليزيد صلاح للأمة وقطعاً لدابر الفتنة باتفاق أهل الحل والعقد عليه.

■ لم يبتدع معاوية نظاماً جديداً للخلافة بتوريث ابنه يزيد، فقد سبقه إلى ذلك أبو بكر عندما عهد بالأمر لعمر بن الخطاب وقد عمد عمر إلى نفس الأمر فعهد بالولاية وحصرها بستة من الصحابة، أما إذا احتج المحتج بأن الاستخلاف في عهد الشيخين لم يكن للأبناء أي ملكاً وراثياً فأقول له: إن أول من فعل ذلك هو علي عندما عهد بالخلافة من بعده لابنه الحسن فقد ذكر الكليني في (أصول الكافي) عن سليم بن قيس قال: (شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين ومحمداً -أي: ابن الحنفية- وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ثم دفع إليه الكتاب والسلاح..)^(١).

الرد على شبهة (يا عمار تقتلك الفئة الباغية):

الجواب: (٢)

(١) الكافي ٢٩٧/١.

(٢) من إجابات الشيخ حامد العلي.

البغي يكون نوعين: نوع عن عمد، ونوع عن تأويل، والبغي الذي حصل من فئة معاوية كان عن تأويل، بمعنى أنهم يظنون أنهم على الحق، ولكن هذا لا يخرجهم عن وصف البغي في الظاهر، وليس في الحديث دليل على أن معاوية هو الذي يدعوه إلى النار، وإنما يدل على أن البغي في الحقيقة دعوة إلى النار، وإن كان فاعله قد لا يشعر بذلك، كما أنك عندما تقول لمن يقول بجواز القتال في عصبية، لمن ينصر عصبية: إنه يدعو إلى النار بهذه الفتوى، ولكن هو قد يكون متأولاً يظن أنه على صواب وحق، ولهذا لم يقل علماء أهل السنة: إن الصحابة معصومون، ولم يقع منهم الخطأ قط، بل قالوا: جاز أن يكون الخطأ والذنب قد وقع بتأويل، وبغير تأويل فهم بشر، غير أن حسناتهم الراجعة وجهادهم مع الرسول ﷺ وفضل الصحبة تجعل فضلهم على الأمة سابقاً، لا يقاربه في أحد، حتى ورد في الحديث (أن مثل جبل أحد ذهباً من غيرهم ينفقه، لا يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه)، ولا يطعن فيهم إلا جاهل أو منافق أو مريض القلب.

شبهة ادعائه زياد بن أبيه أنها له:

وقد قال رسول الله ﷺ: (الولد للفراش وللعاهر الحجر).

الجواب:

- المراد بزياد هنا؛ هو زياد بن سمية، وهي أمه كانت أمة للحارث بن كلدة، زوجها لمولاه عبيد، فأدت بزياد على فراشه وهم بالطائف قبل أن يسلم أهل الطائف^(١).
- إن قضية نسب زياد بن أبيه تعد من القضايا الشائكة في التاريخ الإسلامي؛ لأنها تثير عدداً من الأسئلة يصعب الإجابة عليها، مثل:- لماذا لم تثر هذه القضية في عهد

(١) انظر ترجمته في: الإصابة ٥٢٧/٢، ٥٢٨، والاستيعاب ترجمة رقم ٨٢٩ وطبقات ابن سعد ٩٩/٧ وغيرها.

الرسول ص، مثلما أثّرت قضايا مشابهة لها عند فتح مكة؟ مثل قضية: نسب ابن أمة زمعة بن قيس الذي ادّعه عتبة بن أبي وقاص^(١). - لماذا لم تثر هذه القضية في حياة أبي سفيان؟ - لماذا لم تثر هذه القضية في أثناء خلافة علي، خاصة عندما كان زياد من ولاية علي؛ لأن في إثارتها في تلك الفترة مكسباً سياسياً لمعاوية؛ إذ قد يترتب على ذلك انتقال زياد من معسكر علي إلى معسكر معاوية؟ - لماذا أثّرت هذه القضية في سنة (٤٤ هـ) وبعد أن آلت الخلافة إلى معاوية؟ ومهما يكن من أمر فإن قضية نسب زياد تعد من متعلقات أنكحة الجاهلية. وقد أقر الإسلام ما نتج عن تلك الأنكحة من أنساب، وفي ذلك يقول ابن الأثير: (فلما جاء الإسلام.. أقر كل ولد ينسب إلى أب من أي نكاح من أنكحتهم على نسبه، ولم يفرق بين شيء منها)^(٢).

■ أما القول: إن سبب سكوت أبي سفيان من ادّعاء زياد هو خوفه من شتماته عمر بن الخطاب رحمته الله^(٣). فهذا القول مردود بما يلي: ١ - إن قضية نسب ولد الزنا قد ورد فيها نص شرعي ولم تترك لاجتهادات البشر. ٢ - إن الإسلام يجب ما قبله. ٣ - إن عمر رحمته الله توفي قبل أبي سفيان، فلماذا لم يدّع أبو سفيان زياداً بعد وفاة عمر؟ ٤ - إن في إسناد هذا الخبر محمد بن السائب الكلبي، وقد قال عنه ابن حجر: (متهم بالكذب ورمي بالرفض)^(٤).

■ وأما اتهام معاوية باستلحاق نسب زياد فلم نقف على رواية صحيحة صريحة العبارة تؤكد ذلك، هذا فضلاً عن أن صحبة معاوية وعدالته ودينه وفقهه تمنعه من أن يرد

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر ٣٢/١٢، ٣٣.

(٢) الكامل في التاريخ ٤٤٥/٣.

(٣) انظر القصة في الاستيعاب لابن عبد البر ٥٢٥/٢.

(٤) التقريب ٤٧٩.

قضاء رسول الله ﷺ، لاسيما وأن معاوية أحد رواة حديث (الولد للفراش وللعاهر الحجر)^(١). وبعد أن اتضحت براءة معاوية من هذا البهتان فإن التهمة تتجه إلى زياد بن أبيه بأنه هو الذي ألحق نسبه بنسب أبي سفيان، وهذا ما ترجح لدي من خلال الرواية التي أخرجها مسلم في صحيحه من طريق أبي عثمان.

القول بأن رسول الله ﷺ لعن معاوية وأمر بقتله إذا وجدوه على منبره:

قالوا: أن رسول الله ﷺ لعن معاوية وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

الجواب:

- هذا الحديث ليس في شيء من كتب الإسلام التي يرجع إليها في علم النقل، وهو عند أهل المعرفة بالحديث كذب موضوع مختلق على النبي ﷺ.
- أن منبر النبي ﷺ قد صعد عليه بعد معاوية من كان معاوية خيراً منه باتفاق المسلمين، فإن كان يجب قتل من صعد عليه لمجرد الصعود على المنبر، وجب قتل هؤلاء كلهم.

شبهة أنه كان باليمن يوم الفتح يطعن على رسول الله ﷺ، وكتب إلى أبيه صخر بن حرب يعيّره بإسلامه، ويقول: أَصَبَوْتُ إلى دين محمد؟).

الجواب:

- هذا من الكذب المعلوم؛ فإن معاوية إنما كان بمكة، لم يكن باليمن، وأبوه أسلم قبل دخول النبي ﷺ مكة بمر الظهران ليلة نزل بها، وقال له العباس: إن أبا سفيان يحب

الشرف. فقال النبي ﷺ: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن)^(١).

شبهة أن معاوية كان مقيماً على شركه هارباً من النبي ﷺ، لأنه كان قدر أهدر دمه، فهرب إلى مكة، فلما لم يجد له مأوى صار إلى النبي ﷺ مضطراً، فأظهر الإسلام، وكان إسلامه قبل موت النبي ﷺ بخمسة أشهر.

الجواب:

هذا من أظهر الكذب؛ فإن معاوية أسلم عام الفتح باتفاق الناس، وقد تقدّم قوله: (إنه من المؤلفة قلوبهم) والمؤلفة قلوبهم أعطاهم النبي ﷺ عام حنين من غنائم هوازن، وكان معاوية ممن أعطاه منها، والنبي ﷺ كان يتألف السادة المطاعين في عشائهم، فإن كان معاوية هارباً لم يكن من المؤلفة قلوبهم، ولو لم يسلم إلا قبل موت النبي ﷺ بخمسة أشهر لم يُعط شيئاً من غنائم حنين.

شبهات حول أبي هريرة رضي الله عنه

شبهة إكثار أبي هريرة من الرواية عن النبي ﷺ:

الرد:

لا بد من الإشارة إلى أن أبا هريرة لم يكن مفرطاً، بل كان كغيره من علماء الصحابة، يستفتى فيفتي، ويسأل فيجيب، فلم يكن مفرطاً، في عهد الخلفاء الراشدين ولا بعدهم، إنما وثق به القوم، وعرفوا مكانته، فوضعوه حيث يستحق، فكم من راحل يقطع المسافات ليرى أبا هريرة، وكم من مقيم يترك كبار الصحابة ويأتيه في مسألة أو حديث عن رسول الله ﷺ. فأبو هريرة لم يكثر من عنده، إنما وثق الناس بحفظه فحرصوا على أن ينهلوا منه، فما جريرته في ذلك، وقد شهد بعلمه وحفظه ابن عمر وطلحة بن عبيد الله والزبير وغيرهم، حتى إنه قال - عندما استكثروا حديثه -: «ما ذنبي إذا حفظت ونسوا». جاء في مصادر الإمامية أن أبا هريرة قال لرسول الله ﷺ: (إني أسمع منك الحديث الكثير أنساه، قال: أبسط رداك قال: فبسطته فوضع يده فيه ثم قال: ضمّه فضممته، فما نسيت كثيراً بعده)^(١). فما ذنب أبي هريرة رحمته الله إذا دعا له رسول الله ﷺ أن يعطيه الله الحفظ؟! وقد روى النجاشي تحت ترجمة هشام بن محمد بن السائب....، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختص بمذهبنا وله الحديث المشهور، قال: (اعتلت علة عظيمة، نسيت علمي، فجلست إلى جعفر بن محمد عليه السلام، فسقاني العلم في كأس، فعاد إليّ علمي)^(٢). ويقول النجاشي أن أبان بن تغلب روى عن الإمام جعفر الصادق (٣٠) ألف حديث!! بل أكثر رواية

(١) بحار الأنوار ١٨/١٣ باب معجزات النبي في استجابة دعائه "نقلاً عن الخرائج.

(٢) رجال النجاشي، ٣٩٩/٢

الإمامية يروون أضعاف أضعاف هذا العدد. فهذا مثلاً محمد بن مسلم بن رباح سأل الباقر عن ثلاثين ألف حديث!! وسأل الصادق عن ستة عشر ألف حديث!! وهذا جابر بن يزيد الجعفي قال: حدثني أبو جعفر عليه السلام بسبعين ألف حديث!! لم أحدث بها أحداً قط ولا أحدث بها أحداً أبداً، قال جابر: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك أنك قد حملتني وقرأ عظيمًا بما حدثتني به من سرّكم!! الذي لا أحدث به أحداً!!، فربما جاش في صدري حتى يأخذني منه الجنون!! قال: يا جابر فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبانة فاحفر حفيرة ودل رأسك ثم قل: حدثني محمد بن علي بكذا وكذا^(١). وأخرج الطوسي بإسناده عن جابر الجعفي قال: (رويت خمسين ألف حديث ما سمعته أحد مني)^(٢). قال الحر العاملي: (أنه روى سبعين ألف حديث!! عن الباقر وروى مائة وأربعين ألف حديث!!، والظاهر أنه ما روى أحد بطريق المشافهة عن الأئمة أكثر مما روى جابر)^(٣).

أحاديث أستنكرونها على أبي هريرة رضي الله عنه وهي مروية وعن آل البيت عليهم السلام.

شبهة حديث سهو النبي صلى الله عليه وآله:

عن أبي هريرة قال: (صلى النبي إحدى صلاتي العشي وأكثر ظني العصر ركعتين ثم سلم ثم قام إلى خشبة في مقدم المسجد فوضع يده عليها وفيهم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا: أقصرت الصلاة؟ ورجل يدعوه النبي ذو اليدين

(١) اختيار معرفة الرجال للطوسي ٤٤٢/٢.

(٢) المصدر السابق ٤٤٠/٢.

(٣) وسائل الشيعة ١٥١/٢٠.

فقال: أنسيت أم قصرت؟ فقال: لم أنس ولم تقصر! قال: بلى قد نسيت! فصلى ركعتين! ثم سلم ثم كبر! فسجد^(١) الحديث.

فقال هذا الطاعن: (أحدها أن مثل هذا السهو الفاحش لا يكون ممن فرغ للصلاة شيئاً من قلبه أو أقبل عليها بشيء من لبه، وإنما يكون من الساهين عن صلاتهم، اللاهين عن مناجاتهم، وحاشا أنبياء الله من أحوال الغافلين، وتقذّسوا عن أقوال الجاهلين، فإن أنبياء الله عز وجل ولا سيما سيدهم وخاتمهم أفضل مما يظنون، على أنه لم يبلغنا مثل هذا السهو عن أحد ولا أظن وقوعه إلا ممن بمثل حال القائل: أصليّ فما أدري إذا ما ذكرتها أثنتين صليت الضحى أم ثانياً؟

وأما سيد النبيين وتقلبه في الساجدين، إن مثل هذا السهو لو صدر مني لاستولى عليّ الحياء وأخذني الخجل واستخف المؤمنون بي وعبادتي، ومثل هذا لا يجوز على أنبياء الله أبداً.. إلخ.

الرد:

- الحديث رواه غير أبي هريرة كابن مسعود وعمران.
- هذا من مذهب الغلاة الذين ينفون السهو. فعن أبي صلت الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: «إن في سواد الكوفة قوماً يزعمون أن رسول الله ﷺ لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو»^(٢). وقال الشيخ الصدوق وهو من كبار علماء الإمامية: (ليس سهو النبي ﷺ كسهونا لأن

(١) صحيح البخاري برقم ١٢٢٩، صحيح مسلم برقم ٥٧٣.

(٢) بحار الأنوار ٢٧١/٤٤.

سهوه من الله عز وجل أسهاه ليعلم أنه بشر فلا يتخذ معبوداً دونه، وسهونا من الشيطان..^(١).

■ حديث السهو لم ينفرد به أبو هريرة رضي الله عنه، بل وافقه وشاركه عظماء وسادات من علماء أهل البيت عليهم السلام، وأثبتته علماء القوم في مصادرهم. فعن علي عليه السلام قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر خمس ركعات، ثم انفتل، فقال له بعض القوم: يا رسول الله هل زيد في الصلاة شيء؟ فقال: وما ذاك؟ قال: صليت بنا خمس ركعات، قال: فاستقبل القبلة وكبر وهو جالس، ثم سجد سجدتين ليس فيهما قراءة ولا ركوع ثم سلّم، وكان يقول: هما المرغمتان». وعن الباقر عليه السلام قال: «صلى النبي ﷺ صلاة وجهر فيها بالقراءة فلما انصرف قال لأصحابه: هل أسقطت شيئاً في القرآن؟ قال: فسكت القوم، فقال النبي ﷺ: أفيكم أبي بن كعب؟ فقالوا: نعم، فقال: هل أسقطت فيها شيء؟ قال: نعم يا رسول الله أنه كان كذا وكذا» الحديث. وعن الحارث بن المغيرة النضري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنما صلينا المغرب فسها الإمام فسلم في الركعتين فأعدنا الصلاة، فقال: ولم أعدتم، أليس قد انصرف رسول الله ﷺ في ركعتين فاتم بركعتين؟ ألا أتمتم».

شبهة حديث أن النبي ﷺ كان يجلد ويغضب:

عن أبي هريرة مرفوعاً: (اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فأيا من آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارةً وقربةً تقربه بها إليك)^(٢) الحديث. قالوا: أن رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء لا يجوز عليهم أن يؤذوا أو

(١) من لا يحضره الفقيه ص ٣٦٠/١.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٦٠١.

يجلدوا أو يسبوا أو يلعنوا من لا يستحق، سواء أكان ذلك في حال الرضا أم في حال الغضب، بلى لا يمكن أن يغضبوا بغير حق...).

الجواب:

■ إن هذا الحديث قد رواه غير أبي هريرة.. فقد رواه جابر بن عبد الله وعائشة وأنس رضي الله عنهم.

■ ومن طرق الإمامية عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر أغضب وأرضى، وأيا مؤمن حرمته وأقصيته أو دعوت عليه فاجعله كفارة وطهوراً، وأيا كافر قربته أو حبوته أو أعطيته أو دعوت له ولا يكون لها أهلاً فاجعل ذلك عليه عذاباً ووبالاً»^(١). وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أتى رسول الله ﷺ وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً وأشدهم استقصاء في محاجة النبي فغضب النبي حتى التوى عرق الغضب بين عينيه وتربد وجهه وأطرق إلى الأرض فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ربك يقرئك السلام ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام. فسكن عن النبي ﷺ الغضب ورفع رأسه وقال له: لولا أن جبريل أخبرني عن الله عز وجل إنك سخي تطعم الطعام لشردت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك. فقال له الرجل: وإن ربك يحب السخاء؟ فقال: نعم. فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله والذي بعثك بالحق لا رددت من مالي أحداً»^(٢).

شبهة حديث عروض الشيطان لرسول الله وهو في الصلاة:

(١) بحار الأنوار ١٠١/٢٩٠.

(٢) الكافي ٤/٤٠.

عن أبي هريرة قال: (صلى رسول الله ﷺ صلاة فقال ﷺ: إن الشيطان عرض لي فشد عليّ يقطع الصلاة عليّ فأمكنني الله منه فدعته - أي فخنته - ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت قول سليمان: قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي [ص: ٣٥] ^(١). قالوا: هل للشيطان جسم يشد وثاقه ويربط بالسارية حتى يصبح وتراه الناس بأعينها أسيراً مكبلاً؟.

الجواب:

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول سليمان: وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ [ص: ٣٥] قلت: فأعطيه الذي دعا به؟ قال: نعم، ولم يعط بعده إنسان ما أعطي نبي الله ﷺ من غلبة الشيطان، فخنته إلى أسطوانة حتى أصاب بلسانه يد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لولا ما دعا به سليمان عليه السلام لأريتكموه».

حديث نوم النبي ﷺ عن صلاة الصبح:

عن أبي هريرة قال: (عرسنا مع نبي الله فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس، فقال النبي ﷺ: ليأخذ كل رجلٍ برأس راحلته فإن هذا منزل حضره الشيطان، قال: أبو هريرة: ففعلنا ثم دعا بالماء فتوضأ ثم سجد سجدين ثم أقيمت الصلاة فصلّى الغداة) ^(٢). قالوا: هذا مما يبرأ منه هدى رسول الله ﷺ... أترأه ﷺ يحض الناس على الصلاة هذا الحض، ويهتم بصلاة الفجر هذا الاهتمام ويهدد بالتحريق!! على من لا يخرج إليها ثم ينام عنها؟ حاشا لله ومعاذ الله أن يكون كذلك... وأن النبي ﷺ كان يومئذ في جيش مؤلف من ألف وستائة رجل.. فالعادة تأبى أن يناموا بأجمعهم.. ولعل هذا من خوارق أبي هريرة!

(١) رواه البخاري برقم ١٢١٠، ومسلم برقم ٥٤١.

(٢) رواه مسلم برقم ٦٨٠.

الجواب:

عن سماعة بن مهران قال: سألته عن رجل نسي أن يصليّ الصبح حتى طلعت الشمس، قال: «يصلّيها حين يذكرها، فإن رسول الله ﷺ رقد عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس ثم صلاها حين استيقظ ولكنه تنحى عن مكانه ذلك ثم صلى»^(١). وعن حمزة بن الطيار، عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إن الله أمر بالصلاة والصوم فنام رسول الله ﷺ عن الصلاة فقال: أنا أنيمك وأنا أوقظك فإذا قمت فصل ليعلّموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ليس كما يقولون: إذا نام عنها هلك...»^(٢). وعن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى أنام رسول الله عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس، ثم قام فبدأ فصلّي الركعتين اللتين قبل الفجر، ثم صلى الفجر وأسأها في صلاته، فسلم في الركعتين، ثم وصف ما قاله ذو الشالين، وإنما فعل ذلك به رحمة لهذه الأمة لئلا يعير الرجل المسلم إذا هو نام عن صلاته أو سها فيها فقال: قد أصاب ذلك رسول الله»^(٣). وعن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «نام رسول الله ﷺ عن الصبح والله عز وجل أنامه حتى طلعت الشمس عليه، وكان ذلك رحمة من ربك للناس، ألا ترى لو أن رجلاً نام حتى طلعت الشمس لعيّره الناس وقالوا: لا تتورع لصلاتك، فصارت أسوة وسنة فإن قال رجل لرجل: نمت عن الصلاة، قال: قد نام رسول فصارت أسوة ورحمة، رحم الله سبحانه بها هذه الأمة»^(٤).

(١) بحار الأنوار ١٧/١٠٣.

(٢) الكافي ١/١٦٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه ١/٣٥٨، بحار الأنوار ١٧/١٠٧.

(٤) الكافي ٣/٢٩٤، بحار الأنوار ١٧/١٠٤، تفسير نور الثقلين ٤/٢٥٦.

شبهة حديث أن بقرة وذئباً يتكلمان بلسان عربي مبين:

عن أبي هريرة قال: (صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضرها فقالت: إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث! فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم، قال ﷺ: فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم، وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى استنقذها منه فقال له الذئب: استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم! قال ﷺ: فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم) (١). قالوا: أن أبا هريرة نزوع إلى الغرائب تواق إلى العجائب، قد استخفته إلى خوارق العادات نزوة من الشوق والهيام فتراه طروباً إلى التحدث بما هو فوق النواميس الطبيعية...وها هو الآن يتحدث بأن بقرة وذئباً يتكلمان بلسان عربي مبين

الجواب:

عن علي عليه السلام قال: «كلم الذئب أبا الأشعث ابن قيس الخزاعي، فأتاه فطرده مرة بعد أخرى، ثم قال له في المرة الرابعة: ما رأيت ذئباً أصفق وجهاً منك. فقال له الذئب: بل أصفق وجهاً مني من تولى عن رجل ليس على وجه الأرض أفضل منه، ولا أنور نوراً، ولا أتم بصيرة ولا أتم أمراً، يملك شرقها وغربها، يقول: لا إله إلا الله، فيتركونه، ومن أصفق وجهاً: أنا أم أنت الذي تتولى عن هذا الرجل الكريم، رسول رب العالمين» (٢). وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إن ثلاثة من البهائم أنطقها الله على عهد النبي ﷺ: الجمل وكلامه شكوى أربابه وغير ذلك. والذئب فقد جاء إلى النبي فشكا إليه الجوع، فدعا رسول الله ﷺ أرباب الغنم، فقال: افرضوا للذئب شيئاً فشحوا. فذهب.... وأما البقرة

(١) صحيح البخاري برقم ٣٤٧١.

(٢) الثاقب في المناقب ص ٧٢.

فإنها أذنت بالنبي ﷺ ودلت عليه وكانت في نخل لبني سالم من الأنصار، وقالت: يا ذريح أعمل نجيح صائح يصيح بلسان عربي فصيح، بأن لا إله إلا الله رب العالمين، ومحمد رسول الله سيد النبيين، وعلي وصيه سيد الوصيين^(١)!!.

شبهة حديث تركه النبي ﷺ صدقة:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقتسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومثونة عاملي فهو صدقة)^(٢). قالوا: هذا مضمون الحديث الذي انفرد أبو بكر بروايته عن رسول الله ﷺ محتجاً به على عدم توريث الزهراء... وقد انفرد الخليفة به ولم يروه على عهده أحد سواه.

الجواب:

- هذا الحديث لم ينفرد به أبو بكر، بل رواه كل من عمر وعلي وسعد بن أبي وقاص والعباس وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وأبي هريرة وعائشة وطلحة وحذيفة وابن عباس رضي الله عنهم.
- ومن طرق الإمامية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر).

شبهة حديث كون أبي طالب مات مشركاً:

(١) الخرائج والجرائح ٤٩٦/٢.

(٢) رواه البخاري برقم ٢٧٧٦، ومسلم برقم ١٧٦٠.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: (قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون: إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينيك فأنزل الله: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [القصص: ٥٦] ^(١). قالوا: إن هذا الحديث مما ارتجله المبطلون تزلفاً لأعداء آل أبي طالب، وعملت الدولة الأموية في نشره أعمالها.

الجواب:

- موت أبي طالب مشكراً ورفضه بنطق الشهادتين لم يكن من رواية أبي هريرة وحده، فقد رواه غيره من الصحابة كالعباس وأبي سعيد الخدري وجابر رضي الله عنهم.
- ومن طرق الإمامية عن القمي في تفسيره للآية السابقة قال: (نزلت في أبي طالب فإن رسول الله ﷺ كان يقول: يا عم قل: لا إله إلا الله أنفعك بها يوم القيامة، فيقول: يا بن أخي أنا أعلم بنفسي. فلما مات شهد العباس بن عبد المطلب عند رسول الله ﷺ أنه تكلم بها عند الموت، فقال رسول الله ﷺ: أما أنا فلم أسمعها منه وأرجو نفعه يوم القيامة) ^(٢). وقال الراوندي (الشيعة): قال رسول الله ﷺ أهون أهل النار عذاباً عمي أخرجته من أصل الجحيم حتى أبلغ به الضحضاح عليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه) ^(٣).

شبهة حديث أمة مسخت فأراً:

(١) رواه مسلم برقم ٢٥.

(٢) بحار الأنوار ٢٢/٢٧٧.

(٣) النوادر، للراوندي، ص ١٠.

عن أبي هريرة مرفوعاً قال: (فقدت أمة من بني إسرائيل لا تدري ما فعلت وإني لا أراها إلا الفار إذا وضع لها ألبان إلا بل لم تشرب وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت) (١). قالوا: هذا من السخافة بمثابة ترباً عنها الأمة الوكعاء إلا أن تكون مدخولة العقل، ولكن الشيخين بمثابة يلبسان هذا المخرف على غيثة - أي فساد عقله - ويحتجان به على سخافته.

الجواب:

بعض ما جاء في الباب من طرق علماء مذهبه. عن الأصبح بن نباته أن أمير المؤمنين عليه السلام جاءه نفر من المنافقين، فقالوا: أنت الذي تقول أن هذا الجريّ: مسخ حرام؟ فقال: نعم، فقالوا: أرنا برهانه، فجاء بهم إلى الفرات، ونادى هناس هناس، فاجابه الجريّ لييك. فقال له أمير المؤمنين: من أنت؟ فقال: ممّن عرضت ولايتك! عليه فأبى فمسخ!، وإنّ في من معك من يمسخ كما مسخنا!!، ويصير كما صرنا، فقال أمير المؤمنين: بيّن قصّتك ليسمع من حضر فيعلم، فقال: نعم كنّا أربع وعشرين قبيلة!! من بني إسرائيل!!، وكنا قد تمرّدنا وعصينا!، وعرضت علينا ولايتك! فأبينا!!، وفارقنا البلاد واستعملنا الفساد، فجاءنا آتٍ أنت أعلم به والله ممّا فصرخ فينا صرخة فجمعنا جمعاً واحداً... ثم صاح صيحة أخرى وقال: كونوا مسوخاً بقدرّة الله تعالى، فمسخنا أجناساً مختلفة... وصرنا مسوخاً كما ترى. وعن الكاظم عليه السلام أنه قال عن المسوخ: بأنّها اثنا عشر صنفاً ولها علل، فأما الفيل فإنه مسخ كان ملكاً زناً لوطياً، ومسخ الدب لأنه كان أعرابياً ديوثاً، ومسخت الأرنب لأنها كانت امرأة تخون زوجها ولا تغتسل من حيض ولا جنابة، ومسخ الوطواط لأنه كان يسرق ثمر النّاس، ومسخ سهيل لأنه كان عشاراً باليمن، ومسخت الزهرة لأنها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت، وأما القردة والخنازير فإنهم قوم من بني إسرائيل

اعتدوا في السبت، وأما الجري والضرب ففرقة من بني إسرائيل حين نزلت المائدة على عيسى عليه السلام لم يؤمنوا به فتأهوا فوقعت فرقة في البحر وفرقة في البر، وأما العقرب فانه كان رجلاً نهماً، وأما الزنبور فكان لحاماً يسرق في الميزان).^(١) وغيرها كثير.

شبهة حديث من أدركه الفجر جنباً فلا يصم:

عن أبي هريرة: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم. قالوا: أن رسول الله ﷺ أجل وأفضل وأكمل مما يظنون، وحاشاه أن يصبح جنباً ولا سيما في أيام الصوم، والأنبياء لا يجوز عليهم الاحتلام لأنه من تلاعب الشيطان وهم منزهون عنه).

الجواب:

عن الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي الليل في شهر رمضان ثم يجنب!! ثم يؤخر الغسل!! متعمداً!! حتى يطلع الفجر»^(٢). وعن محمد بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الجنب يجلس في المسجد؟ قال: لا، ولكن يمر فيه إلا المسجد الحرام ومسجد المدينة. قال: وروى أصحابنا أن رسول الله ﷺ قال: لا ينام في مسجدي أحد ولا يجنب فيه أحد ولا يجنب فيه أحد. وقال: إن الله أوحى إلي أن اتخذ مسجداً طهوراً لا يحل لأحد أن يجنب فيه إلا أنا وعلي والحسن والحسين^(٣). وعن المروزي عن الفقيه عليه السلام قال: «إذا أجنب الرجل في شهر رمضان بليل ولا يغتسل حتى يصبح فعليه صوم شهرين متتابعين مع الصوم ذلك اليوم ولا يدرك فضل يومه»^(٤). وعن أبي بصير عن أبي عبد الله

(١) مدينة المعاجز، للبحراني، ٤٢/٢

(٢) تهذيب الأحكام، ٢١٤/٤

(٣) المصدر السابق، ١٥/٦

(٤) المصدر السابق، ٢١٢/٤

عليه السلام في رجل أجنب في شهر رمضان بالليل ثم ترك الغسل متعمداً حتى أصبح قال: «يعتق رقبة أو يصوم شهرين متتابعين أو يطعم ستين مسكيناً قال: وقال إنه خليف ألا أراه يدركه أبداً»^(١). وعن أحمد بن محمد عن أبي الحسن عليه السلام قال: «سألته عن رجل أصاب من أهله في شهر رمضان أو أصابته جنابة، ثم ينام حتى يصبح متعمداً قال: يتم ذلك اليوم عليه قضاؤه»^(٢).

شبهة حديث لا عدوى ولا صفر ولا هامة:

عن أبي هريرة مرفوعاً: (لا عدوى ولا صفر ولا هامة. قال: فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال رسول الله ﷺ: فمن أعدى الأول)^(٣).

الجواب:

- هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة وعن ابن عمر وعن أنس بن مالك وغيرهم .
- ومن طرق الإمامية عن الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سألته عن الجمال يكون بها الجرب أعزها من إبلي مخافة أن يعديها جربها، والدابة ربما صفرت لها حتى تشرب الماء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أني أصيب الشاة والبقرة بالثمن اليسير وبها جرب، فأكره شراءها مخافة أن يعدي ذلك الجرب إبلي وغنمي فقال رسول الله ﷺ: يا أعرابي فمن أعدى الأول؟ ثم قال

(١) الاستبصار للطوسي ٨٧/٢.

(٢) مسند الإمام الرضا، ١٩٤/٢.

(٣) صحيح البخاري برقم ٥٧١٧، ورواه مسلم برقم ٢٢٢٠.

رسول الله ﷺ: لا عدوى ولا طيرة ولا شؤم ولا صفر ولا رضاع بعد فصال^(١).
وعن الصادق عليه السلام قال: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»^(٢).

حديث توكيل أبي هريرة بحفظ زكاة الفطرة ومجيء الشيطان ليسرق منها:

عن أبي هريرة قال: (وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يخثو من الطعام فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله. قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة. قال: فخليت عنه فأصبحت فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ فقلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيلاً فرحمته فخليت سبيله. قال ﷺ: أما إنه قد كذبك وسيعود.. إلى أن قال: أتعلم من تخاطب منذ ثلاثة أيام يا أبا هريرة؟ قلت: لا. قال ﷺ: ذاك شيطان)). قالوا: هذه خرافة لا يصغي إلا من رك عقله، وطفئت شعله ذهنه... وما أغرب ما يحدثنا به أبو هريرة عن شياطينه، وكل ما انفرد به أبو هريرة غريب تارة يزعم انهم يسرقون الطعام لعيالهم وأخرى أن لهم ضراطاً إذا سمعوا الأذان... إلى غير ذلك من القصص التي يربأ أولو العقول الوافرة والأذهان النيرة عن سماعها، نعوذ بالله من سبات العقل وضعف التمييز).

الجواب:

ورد في كتب الإمامية عن أيوب الأنصاري أنه قال: (كانت لي سهوة فيها تمر فكانت تجيء الغول كهيئة النور فتأخذ منه، فشكونا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: اذهب فإذا رأيتهما فقل: بسم الله أجيبني رسول الله ﷺ؟ فأخذتها فحلفت أن لا تعود، فأرسلها، ثم جاء إلى

(١) وسائل الشيعة ٣٧١/٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه، للصدوق ٢٥٨/٤.

رسول الله ﷺ، فقالت: إني ذاكرة لك شيئاً: آية الكرسي أقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره، ف جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: ما فعل أسيرك؟ فأخبره بما قال، قال: صدقك (وهو كذوب)^(١). روي في الخبر عنه أنه: «إذا أذن المؤذن، أدبر الشيطان وله ضراط»^(٢).

حديث امرأة دخلت النار في هرة:

عن أبي هريرة مرفوعاً: قال: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلاً). قالوا: وهذا من رواياته الخيالية يرمي فيه إلى سوء عواقب الظلم والعدوان).

الجواب:

- هذا الحديث رواه غير أبي هريرة من الصحابة كابن عمر رضي الله عنهما.
- ومن طرق آل البيت عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن امرأة عذبت في هرة ربطتها حتى ماتت عطشاً»^(٣). وعن موسى بن جعفر عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيت في النار صاحبة الهرة تنهشها مقبلة ومدبرة كانت أو ثقتها لم تكن تطعمها ولم ترسلها تأكل من حشائش الأرض)^(٤).

حديث غفرت لامرأة سقت لكلب:

(١) بحار الأنوار ٣١٦/٦٠.

(٢) العوالي، للأحسائي، ٤٠٩/١، مستدرک الوسائل، ٧٣/٤.

(٣) المصدر السابق ٢٦٧/٦١.

(٤) المصدر السابق ٣١٧/٨.

عن أبي هريرة يرفعه قال: (غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث قال: كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك)^(١). وعنه أيضاً قال: (بينما رجل يمشي في طريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرّب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش! قال: فنزل الرجل البئر فملاً خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له بذلك)^(٢). قالوا: وقد تعلم أن هذا الحديث والذي قبله إنما هما من مخيلة أبي هريرة يمثل بهما حسن عواقب العطف والحنان ويحظ بهما على البر والإحسان).

الجواب:

عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (دخلت الجنة فرأيت صاحب الكلب الذي أرواه من الماء)^(٣). وقال نعمة الله الجزائري: (من الأخبار المروحة للبال ما روي من أنه كان رجل في بني إسرائيل منهمكاً في المعاصي فأتى في بعض أسفاره على بئر، فإذا كلب قد لهث من العطش فرق له فأخذ عمامته وشدّ بخفه واستقى الماء وأروى الكلب، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان أن قد شكرت له سعيه وغفرت له ذنبه لشفقته على خلق من خلقي، فسمع ذلك فتاب من المعاصي وصار ذلك سبباً لتوبته وخلاصه من العقاب)^(٤).

شبهة أنه يروي عن النبي ﷺ أحاديث موضوعة:

(١) رواه البخاري برقم ٣٣٢١.

(٢) رواه البخاري برقم ٢٣٦٣، ومسلم برقم ٢٢٤٤.

(٣) بحار الأنوار ٦٥/٦٢.

(٤) الأنوار النعمانية ٦٦/٤.

يقول أحدهم: (ولعل نصف الدين الثاني خصّوا به أبا هريرة الذي روى لهم ما يشتهون فقرّبوه وولّوه إمارة المدينة وبنوا له قصر العقيق بعدما كان معدماً، ولقّبوه براوية الإسلام. وبذلك سهل على بني أمية أن يكون لهم دين كامل جديد ليس فيه من كتاب الله وسنة رسوله إلا ما تهواه أنفسهم). ويقول: (... كذلك يروي فضائل أبي بكر كل من عمرو بن العاص وأبو هريرة).

الجواب:

- لم يكن أبو هريرة مع أحد الجانبيين في الفتنة بل كان من المعتزلين عنها ولم يقا تل مع أحد، وروى في الاعتزال أحاديث عن النبي ﷺ مثل حديث النبي ﷺ: (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائل، والقائل فيها خير من الماشي، ومن تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعد به)^(١)، وكان هذا أيضاً رأي كبار الصحابة.
- لم يكن أبو هريرة معدماً ولم تكن ولايته على المدينة بالأولى، فقد ولاه عمر في خلافته على البحرين وكان يملك المال فعن محمد بن سيرين (أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين، فقدم بعشرة آلاف. فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله وعدو كتابه؟ فقال أبو هريرة: فقلت: لست بعدو الله وعدو كتابه، ولكني عدو من عداهما. قال: فمن أين هي لك؟ قلت: خيلٌ نُتجت، وغلةٌ رقيق لي وأعطيةٌ تتابعت. فنظروا، فوجده كما قال، فلما كان بعد ذلك، دعاه عمر ليو ليه، فأبى.^(٢)
- سبب تولية الأمويين لأبي هريرة المدينة أنه كان من كبار الصحابة المتبقين في المدينة وغيرها ومن أعلامها الظاهرين خصوصاً إذا عرفنا أنه كان يقدم في الصلاة في أيام

(١) رواه البخاري برقم ٣٦٠٢، ومسلم برقم ٢٢٨٦.

(٢) تاريخ دمشق ٦٧/٣٧٠، البداية والنهاية ١١٣/٨، سير أعلام النبلاء ٦١٢/٢.

عليّ ومعاوية ولو جاء غير الأمويين لكان من المؤكد أن يولوه المدينة، فكان المرشح لذلك، وكيف لا وقد رشحه من هو خير منهم وهو عمر.

■ أما صدقه ووثاقته فإليك رأي أحد الأئمة الاثني عشر وهو الإمام الرابع زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام فقد أورد الإربلي وهو من كبار علماء الاثني عشرية عن سعيد بن مرجانة أنه قال: (كنت يوماً عند علي بن الحسين فقلت: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله تعالى بكل إرب منها إرباً منه من النار، حتى أنه ليعتق باليد اليد، والرجل الرجل وبالفرج الفرج، فقال علي عليه السلام: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم، فقال لغلام له: أفره غلماناه وكان عبد الله بن جعفر قد أعطاه بهذا الغلام ألف دينار فلم يبعه أنت حر لوجه الله) ^(١) لذلك ليس بالمستغرب أن يوثقه أحد كبار علماء الإمامية في الرجال، ويضعه من جملة الرجال الممدوحين فيقول ابن داود الحلي: (عبد الله أبو هريرة معروف، من أصحاب رسول الله ﷺ) ^(٢).

■ أما قوله: (كذلك يروي فضائل أبي بكر، كل من عمرو بن العاص وأبو هريرة وعروة وعكرمة، وهؤلاء كلهم يكشفهم التاريخ بأنهم كانوا متحاملين على الإمام علي وحاربوه إما بالسلاح أو بالدس واختلاق الفضائل لأعدائه وخصومه...). فأقول: بالنسبة لأبي هريرة فإنه كان معتزلاً للفتنة بين علي ومعاوية، فليس هو في هذه الناحية متحاملاً، ولكن التحامل يظهر بالدس واختلاق الفضائل لأعدائه من مثل ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال يوم خيبر: (لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه... فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياه). وليس

(١) كشف الغمة ٢/٢٤١.

(٢) رجال ابن داود الحلي ص ١١٦.

هذا فقط فقد روى أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: (من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني يعني الحسن والحسين) (١)؟ وروى أيضاً أن النبي ﷺ قال: (اللهم إني أحبهما فأحبهما) (٢).

شبهة حديث خلق الله آدم على صورته:

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته) (٣).
الجواب:

عن الحسن قال: مرّ النبي برجل من الأنصار وهو يضرب وجه الغلام له ويقول: قبح الله وجهك ووجه من تشبهه، فقال له النبي ﷺ: بئسما قلت، إن الله خلق آدم على صورته، يعني صورة المضروب. وهذه أجوبة صحيحة والحمد لله (٤). وعن الحسين بن خالد، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله! إن الناس يروون أن رسول الله قال: «إن الله خلق آدم على صورته، فقال: قاتلهم الله، لقد حذفوا أول الحديث، إن رسول الله مرّ برجلين يتسابان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته» (٥).

شبهة حديث رؤية الله يوم القيامة:

(١) رواه ابن ماجه برقم ١٤٣.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٧٤٧.

(٣) رواه مسلم برقم ٢٦١٢.

(٤) كثر الفوائد ص ٢٧٤.

(٥) عيون أخبار الرضا ١١٠/٢.

عن أبي هريرة قال: قال أناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك. قالوا: وهذا حديث مهول ألفت إليه أرباب العقول فهل يجوز عندهم أن تكون لله صورة مختلفة ينكرون بعضها ويعرفون البعض الآخر؟ وهل يرون أن الله ساقاً تكون آية له وعلامة عليه؟ وبأي شيء كانت ساقه علامة دون غيرها من الأعضاء؟ وهل تجوز عليه الحركة والانتقال فيأتيهم أولاً وثانياً وهل يجوز عليه الضحك؟ وأي وزن لهذا الكلام؟

الجواب:

جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة من طريق آل البيت: جاء في حديث طويل فيه: (في أن أهل الجنة يسمعون صوته تعالى ويخاطبهم وينظرون إليه وهما ألد الأشياء عندهم قال ﷺ في حديث يذكر فيه اشتغال المؤمنين بنعم الجنة: (فبينما هم كذلك إذ يسمعون صوتاً من تحت العرش: يا أهل الجنة كيف ترون منقلبكم؟ فيقولون: خير المنقلب منقلبنا وخير الثواب ثوابنا، قد سمعنا الصوت واشتهينا النظر وهو أعظم ثوابنا وقد وعدته ولا تخلف الميعاد.. فيتجلى لهم، حتى ينظرون إلى وجهه تبارك وتعالى^(١). وعن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله ﷺ قال: ... فإذا اجتمعوا تجلى لهم الرب تبارك وتعالى، فإذا نظروا إليه خرّوا سجداً^(٢). وقال الإمام السجاد ﷺ ما نصه: «وأقدر أعيننا يوم لقائك برؤيتك». وعن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: «قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم^(٣)».

(١) لقائل الأخبار، لحمد التوسركاني «باب في أن أهل الجنة يسمعون صوته»

(٢) البحار، ١٢٦/٨ ح ٢٧ باب الجنة ونعيمها

(٣) التوحيد، للصدوق، ص ١١٧ ح ٢٠

حديث لا تملأ النار حتى يضع الله رجله فيها:

عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: (... أما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهناك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض)^(١). (الحديث). قالوا: إن هذا الحديث محال ممتنع بحكم العقل والشرع، وهل يؤمن مسلم ينزه الله تعالى بأن الله رجلاً؟ وهل يصدق عاقل بأنه يضعها في جهنم لتمتلئ بها؟

الجواب:

احتج بهذا الحديث «فيلسوف الشيعة الملقب» بصدر المتألهين «محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي فقال: (ألا ترى صدق ما قلناه: النار لا تزال متأللة لما فيها من النقيص وعدم الامتلاء حتى يضع الجبار قدمه فيها كما ورد في الحديث)^(٢). كما احتج بهذا الحديث السيد محمدي الري شهري (الشيعة)^(٣).

حديث نزول الرب كل ليلة إلى سماء الدنيا:

عن أبي هريرة مرفوعاً قال: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعوني فأستجيب له...) ^(٤) (الحديث). قالوا: تعالى الله عن النزول والصعود والمجيء والذهاب والحركة والانتقال وسائر العوارض والحوادث)

الجواب:

(١) رواه البخاري برقم ٤٨٥٠، مسلم برقم ٢٨٤٦.

(٢) تفسيره القرآن الكريم، ١/٥٨، وص ١٥٦.

(٣) ميزان الحكمة، ٢/١٧٨، ١٧٩ في باب «هل من مزيد»

(٤) رواه البخاري برقم ١١٤٥، ومسلم برقم ٧٥٨.

حديث النزول متفق عليه بين الفريقين. فمن طرق أهل البيت مآخرجه الصدوق في توحيده في حديث احتجاج الصادق على الثنوية والزناقة أنه سئل: فتقول: أنه ينزل إلى السماء الدنيا؟ فقال عليه السلام: نقول ذلك؛ لأن الروايات قد صحت به والأخبار، قال السائل: فإذا نزل أليس قد حال عن العرش وحووله عن العرش صفة حدثت، قال أبو عبد الله عليه السلام: .. لا يكون نزوله كنزول المخلوق الذي متى تنحى عن مكان إلى مكان خلا منه المكان الأول، ولكنه ينزل إلى السماء الدنيا بغير معاناة وحركة، فيكون كما هو في السماء السابعة على العرش كذلك هو في السماء الدنيا^(١). وعن جابر الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الله تبارك وتعالى ينزل في الثلث الباقي من الليل إلى السماء الدنيا، فينادي هل من تائب يتوب عليه؟ وهل من مستغفر يستغفر فأغفر له؟ وهل من داع يدعوني فأفك عنه؟ وهل من مقتور يدعوني فأبسط له؟ وهل من مظلوم ينصرني فأنصره^(٢)». وأثبت حديث النزول الإحسائي المعروف بابن أبي جمهور قال: (إن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وينزل عشية عرفة إلى أهل عرفة، وينزل ليلة النصف من شعبان)^(٣). وقال محسن الكاشاني: (الأول: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، وشهر رمضان من الشهور، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، وبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الذاريات: ١٨] ولقوله: ((ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له))^(٤). وقال أيضاً في موضع

(١) التوحيد ص ٢٤٨.

(٢) بحار الأنوار ١٦٨/٨٤.

(٣) عوالي اللآلي، الفصل السابع ١١٩/١ رواية ٤٤.

(٤) المحجة البيضاء ٢٨٥/٢.

آخر: (وسئل رسول الله ﷺ: (أي الليل أفضل؟ فقال: نصف الليل الغابر) يعني الباقي، ومن آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ونزول الجبار إلى السماء الدنيا وغيرها من الأخبار)^(١). ذكر أيضاً في حديث آخر بقوله: (ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من داع فأستجيب له)^(٢). بل وينزل إلى الأرض على جمل. عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الله ينزل في يوم عرفة في أول الزوال إلى الأرض على جمل أفرق»^(٣). وعن أبي عبد الله قال: إذا كان يوم عرفة هبط الرب تبارك وتعالى^(٤). عن عطاء عن أبي جعفر عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ في حديث طويل قال فيه: قال: (... أن الجبار تبارك وتعالى قد هبط إلى الأرض فرفع قواعد البيت الحرام)^(٥). عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [البقرة: ٢١٠] قال: «ينزل في سبع قباب من نور ولا يعلم في أيها هو حين ينزل في ظهر الكوفة فهذا حين ينزل»^(٦). وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا كان ليلة الجمعة هبط الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، فإذا طلع الفجر كان على العرش فوق البيت المعمور»^(٧). وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «أن الله تبارك وتعالى هبط إلى الأرض في ظل من الملائكة على آدم بواد يقال له: الروحاء وهو واد بين الطائف ومكة»^(٨). وعن أبي عبد الله

(١) المحجة البيضاء ٣٧٣/٢.

(٢) المصدر السابق ١٥/٥.

(٣) رياض العلماء ٤٠٤/٢.

(٤) بصائر الدرجات للصفار ص ٤٢٦.

(٥) تفسير العياشي ٣٧/١، بحار الأنوار ٤٩/٥، ٥٠.

(٦) تفسير الصافي ٨٣/١، بحار الأنوار ٢٥/١٩.

(٧) تفسير البرهان، لهاشم البحراني، ١٤٦/٣.

(٨) البرهان ٣٠٠/٢.

عليه السلام قال: «إن ربك ينزل من أول ليلة الجمعة إلى سماء الدنيا»^(١). وفي الصادق عليه السلام قال: «... فعند ذلك يهبط الجبار عزوجل في ظل من الغمام والملائكة وقضي الأمر ورسول الله أمامه بيده حربة من نور...»^(٢). وعن علي بن الحسين عليه السلام: «أما علمت أنه إذا كان عشية عرفة برز الله في ملائكته إلى سماء الدنيا»^(٣). بل وينزل لزيارة قبور الأئمة!! فعن أبي وهب القصري قال: دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «بس ما صنعت لولا إنك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره الله تعالى مع الملائكة ويزوره الأنبياء عليه السلام ويزوره المؤمنون!!، قلت: جعلت فداك ما علمت ذلك...»^(٤). وعن منيع بن الحجاج عن صفوان الجمال قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام لما أتى الحيرة قال: هل لك في قبر الحسين؟ قلت: أتزوره جعلت فداك؟ قال: «وكيف لا أزوره والله يزوره في كل ليلة جمعة يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأصياء ومحمد أفضل الأنبياء ونحن أفضل الأوصياء فقال صفوان: جعلت فداك أفأزوره في كل جمعة حتى أدرك زيارة الرب؟ قال: نعم يا صفوان الزم زيارة قبر الحسين وتكسب وذلك الفضيل، هي»^(٥). وفي حديث طويل عن الصادق عليه السلام قال: «... حتى أن الله تعالى يزور!! الحسين عليه السلام ويصافحه!! ويقعد معه!! على سري»^(٦).

حديث طواف نبي الله سليمان بمائة امرأة في ليلة:

(١) فروغ الكافي ٣/٤١٤.

(٢) تفسير البرهان ٣/٣٤٣.

(٣) مستدرک الوسائل ١٠/٤٧.

(٤) تهذيب الأحكام ٦/٢٠.

(٥) بحار الأنوار ٦٠/١٠١.

(٦) صحيفة الأبرار ٢/١٤٠.

عن أبي هريرة مرفوعاً قال: قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة ببائة امرأة! تلد كل امرأة غلاماً؟ يقاتل في سبيل الله! فقال له الملك: قل إن شاء الله فلم يقل!! فأطاف بهن! ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان! (قال أبو هريرة): قال النبي: لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته^(١). قالوا: وفي هذا أيضاً نظر من وجوه: أحدها: أن القوة البشرية لتضعف عن الطواف بهن في ليلة واحدة مهما كان الإنسان قوياً، فما ذكره أبو هريرة من طواف سليمان عليه السلام بهن مخالف لنواميس الطبيعة لا يمكن عادة وقوعه أبداً. ثانيها: أنه لا يجوز على نبي الله تعالى سليمان عليه السلام أن يترك التعليق على المشيئة.

الجواب:

أمثال هذه الأحاديث قد رواها أئمة وعلماء آل البيت رحمهم الله. فعن الصادق عليه السلام قال: «إن داود لما جعله الله خليفة في الأرض أنزل عليه الزبور - إلى أن قال - ولداود حينئذ تسع وتسعون امرأة ما بين مهيرة إلى جارية»^(٢). وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «كان لسليمان بن داود ألف امرأة في قصر واحد ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية وكان رسول الله ﷺ له بضع أربعين رجلاً وكان عنده تسع نسوة وكان يطوف عليهن في كل يوم وليلة»^(٣). وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «كان لسليمان بن داود ألف امرأة في قصر واحد، ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية، ويطيف بهن في كل يوم وليلة». وعلق الجزائري على الرواية ما نصه: (أقول: يحتمل طواف الزيارة، الأظهر أنه طواف الجماع). وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان لسليمان حصن بناه الشياطين له، فيه ألف بيت في كل بيت منكوحة، منهن سبعمائة أمة قطبية وثلاثمائة حرة مهيرة، فأعطاه الله تعالى قوة أربعين رجلاً في مباضعة

(١) صحيح البخاري برقم ٥٢٤٢.

(٢) تفسير البرهان، ٤/٣٤.

(٣) فروع الكافي ٥/٥٦٧.

النساء، وكان يطوف بهن جميعاً ويسعفنهن»^(١). وقال التوسيركاني: (كانت له ألف امرأة في ألف بيت من القوارير موضوعة على الخشب، وعن أبي الحسن: كان لسليمان عليه السلام ألف امرأة في قصر واحد)^(٢). وذكر الجزائري: أن سليمان عليه السلام كان يسحب معه على البساط ألف امرأة منكوحة وسبعمئة من الإماء وثلاثمائة من الحرائر، وقيل: إنه كان يوقف عليهن في ليلته..). وقال: (أقول: «وكان يطوف بهن في كل يوم وليلة»)^(٣). وقال الكاشاني: روي عن سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً الحديث ولم يقل: إن شاء الله فحرم ما أراد من الولد)^(٤). أما مسألة النسيان فقد وردت في في القرآن الكريم في مواضع عدة. كقوله تعالى: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ [الكهف: ٢٣-٢٤] وذكر القمي عن أبي عبد الله عليه السلام أن سبب نزول هذه الآية أن النبي سئل عن ثلاث مسائل، فقال رسول الله ﷺ: غداً أخبرك ولم يستثن فاحتبس الوحي عليه أربعين يوماً حتى اغتم النبي ﷺ...)^(٥).

حديث لطم نبي الله موسى عين ملك الموت:

عن أبي هريرة قال: أن موسى لطم عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ففقأ عيني قال: فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه فقل له: الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت

(١) قصص الأنبياء، لنعمة الله الجزائري ص ٤٠٧

(٢) الآلي، للتوسيركاني، ١٠٠/١ في سلوك سليمان عليه السلام

(٣) الأنوار النعمانية، ١٨٢/٣ باب نور الحب ودرجاته

(٤) المحجة البيضاء، ٢٨٢/٦ باب «بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

(٥) تفسير القمي ٣١/٢، ٣٢، ٣٤.

بيدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة^(١) الحديث). قالوا: لا هذا يجوز على الله تعالى ولا على أنبيائه ولا على ملائكته، أليق بالحق تبارك وتعالى أن يصطفي من عباده من يبطش عند الغضب بطش الجبارين؟؟... ويكره الموت كراهة الجاهلين...).

الجواب:

حديث لطم موسى ﷺ لملك الموت، قد رواه الإمامية من طرقهم. فقد ذكره الجزائري والتويسيركاني حيث قال: (إنه لما جاء ملك الموت، ليقبض روحه، لطمه فأعور، فقال: يا رب إنك أرسلتني إلى عبد لا يحب الموت، فأوحى الله إليه أن ضع يدك على متن ثور ولك بكل شعرة دارتها يدك سنة^(٢)). وقال والإربلي: (أن الطباع البشرية مجبولة على كراهة الموت مطبوعة عن النفور منه، محبة للحياة ومائلة إليها حتى أن الأنبياء ﷺ... كحكاية موسى ﷺ مع ملك الموت^(٣)).

حديث فرار الحجر بثياب موسى ﷺ:

عن أبي هريرة قال: (كانوا بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوءة بعض، وكان موسى ﷺ يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر - أي ذو فتق - قال: فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه! فجمع موسى في إثره يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى نظر بنو إسرائيل إلى سوءة موسى.. الحديث. قالوا: وأنت ترى ما في الحديث من المحال الممتنع عقلاً، فإنه لا يجوز تشهير كليم الله ﷺ بإبداء سوءاته على رؤوس الأشهاد من قومه؛ لأن ذلك ينقصه ويسقط من

(١) رواه مسلم برقم ٢٣٧٢.

(٢) لمالي الأخبار ٩١/١، الأنوار النعمانية ٢٠٥/٤.

(٣) المحجة البيضاء ٢٠٩/٤.

مقامه، ولا سيما إذا رأوه يتشد عارياً ينادي الحجر وهو لا يسمع ولا يبصر: ثوبي حجر.. ثم يقف عليه وهو عار أمام الناس فيضربه والناس تنظر إليه مكشوف العورة كالمجنون...! على أن القول بأن بني إسرائيل كانوا يظنون أن موسى أدرة لم ينقل إلا عن أبي هريرة.. إلخ.

الجواب:

هذا رواه الإمام الصادق عليه السلام قال: أن بني إسرائيل كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال، وكان موسى إذا أراد الاغتسال ذهب إلى موضع لا يراه فيه أحد من الناس، فكان يوماً يغتسل على شط نهر وقد وضع ثيابه على صخرة، فأمر الله الصخرة فتباعدت عنه حتى نظر بنو إسرائيل إليه فعلموا أنه ليس كما قالوا أنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً [الأحزاب: ٦٩] (١). قال الجزائري: (قال جماعة من أهل الحديث: لا استبعاد فيه بعد ورود الخبر الصحيح وإن رؤيتهم له على ذلك الوضع لم يتعمده موسى عليه السلام ولم يعلم إن أحد ينظر إليه أم لا، وأن مشيه عرياناً لتحصيل ثيابه مضافاً إلى تبعيده عما نسبوه إليه، ليس من المنفرات) (٢).

حديث طلب الشفاعة من الأنبياء يوم القيامة:

قالوا: فيه من التسور على مقام أولي العزم من أنبياء الله وأصفيائه ما تبرأ منه السنن وتتنزه عن خطله، فإن للسنن المقدسة سنة نبينا في تعظيم الأنبياء غاية تملأ الصدور هيبة وإجلالاً... إلى أن قال - فحديث أبي هريرة هذا بهرائه وهذره أجنبني عن كلام رسول

(١) تفسير القمي ١٧٩/٢.

(٢) قصص الأنبياء، ٢٥٠.

الله ﷻ مباين لسننه كل المباينة. ومعاذ الله أن ينسب إلى أنبياء الله ما اشتمل عليه هذا الحديث الغث الثف، وحاشا آدم من المعصية بارتكاب المحرم الذي يوجب غضب الله، وإنما كان منهياً عن الشجرة نهي تنزيه وإرشاد، وتقديس نوح من الدعاء إلا على أعداء الله.

الجواب:

هذا الحديث رواه أنس بن مالك وأبو سعيد وأبو بكر وابن عباس رضي الله عنهم. ومن طرق أئمة أهل البيت عن جعفر بن محمد عليه السلام: إذا كان يوم القيامة حشر الله الخلائق في صعيد واحد - إلى أن قال - فيقفون حتى يلجمهم العرق فيقولون: ليت الله يحكم بيننا ولو إلى النار - إلى أن قال - ثم يأتون آدم فيقولون: أنت أبونا وأنت نبي فاسأل ربك يحكم بيننا ولو إلى النار، فيقول آدم: لست بصاحبكم. خلقتني ربي بيده وحملي على عرشه، اسجد لي ملائكته. ثم أمرني فعصيته... الرواية (١).

حديث تساقط جراد الذهب على نبي الله أيوب:

عن عن أبي هريرة مرفوعاً قال: (بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فناده ربه: ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك) (٢). قالوا: لا يركن إلى هذا الحديث إلا أعشى البصيرة، مظلم الحس فإن خلق الجراد من ذهب آية من الآيات، وخوارق العادات، وسنة الله عز وجل في خلقه أن لا يخلق مثلاً إلا عند الضرورة كما لو توقف ثبوت النبوة عليها فتأتي حينئذ برهان على النبوة ودليلاً على الرسالة...).

الجواب:

(١) بحار الأنوار ٣٥/٨، تفسير العياشي ٣١٠/٢، ٣١١.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٧٩.

هذا الحديث قد رواه أئمة أهل البيت. فعن أبي عبد الله عليه السلام: أمطر الله عليه في داره فراش من الذهب، وكان يجمعه فإذا ذهب الريح منه بشيء عدا خلفه فردّه، فقال له جبرئيل: ما تشبع يا أيوب؟ قال: ومن يشبع من رزق ربه^(١). وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أمطر الله على أيوب من السماء فراشاً من ذهب، فجعل أيوب يأخذ ما كان خارجاً من داره فيدخله داره، فقال جبرئيل عليه السلام: أما تشبع يا أيوب عليه السلام؟ قال: ومن يشبع من فضل ربه^(٢). وعن الصادق عليه السلام في علائم ظهور الحجة قال: «ثم يعود المهدي إلى الكوفة وتمطر السماء بها جرّاداً من ذهب كما أمطره الله في بني إسرائيل على أيوب...»^(٣).

حديث التنديد بموسى إذ قرصته نملة فأحرق قريتها:

عن أبي هريرة مرفوعاً قال: (قرصت نملة نبياً من الأنبياء - وهو موسى بن عمران فيما نص عليه الترمذي - فأمر بقرية النمل فأحرق فأوحى الله إليه أن قرصتك نملةً أحرقت أمةً من الأمم تسبح الله)^(٤). قالوا: إن أبا هريرة مولع بالأنبياء عليهم السلام هائم بكل مصيبة غريبة تقضى بها الأبصار وتصتكن منها المسامع، وأن أنبياء الله لأعظم صبراً وأوسع صدرأ وأعلى قدراً، مما يحدث عنهم المخرفون.

الجواب:

(١) بحار الأنوار ١٢/٣٤٤.

(٢) المصدر السابق ١٢/٣٥٢.

(٣) إلزام الناصب ٢/٢٥٢، ٢٧٩.

(٤) صحيح البخاري برقم ٣٠١٩، صحيح مسلم برقم ٢٢٤١.

في لثالي الأخبار ذكر قول النبي ﷺ: نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلذعته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها وأمر بها فأحرقت بالنار فأوحى الله تعالى إليه هلا نملة واحدة^(١). وعن جعفر بن محمد ﷺ قال: «وسئل عن قتل الحيات والنمل في الدور إذا آذين، قال: لا بأس بقتلهم وإحراقهم إذا آذين!!»^(٢). وإن كان لا يجوز الإحراق بالنار وسائر الحيوانات للحديث المشهور، فلماذا هم رسول الله ﷺ بإحراق قوم كانوا يصلون في بيوتهم وذلك حسب ما رواه أئمة أهل البيت؟! فعن أبي عبد الله ﷺ قال: «إن أناس كانوا على عهد رسول الله ﷺ أبطئوا عن الصلاة في المسجد فقال رسول الله ﷺ: ليوشك قوم يدعون الصلاة في المسجد أن تأمر بحطب فيوضع على أبوابهم فتوقد عليه ناراً فتحرق عليهم بيوتهم»^(٣). وعنه أيضاً قال: «هم رسول الله ﷺ بإحراق قوم في منازلهم كانوا يصلون في منازلهم ولا يصلون الجماعة...»^(٤). وأيضاً أحرق علي قوماً من السبئية؟ وقال:

لما رأيت الأمر أمر منكراً *** أوقدت ناري ودعوت قنبراً^(٥).

حديث مولودان يتكلمان بالغيبات:

عن أبي هريرة مرفوعاً من حديث قال فيه: (وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال: أجيئها أو أصلي؟ فقالت أمه: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات قال: وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة فأبى، فأنت راعياً

(١) ٣٢٦/٥ باب «في أوصاف النمل»

(٢) المصدر السابق ٢٧١/٦٤.

(٣) تهذيب الأحكام ٢٥/٣، الأنوار النعمانية ٣٥٨/١.

(٤) التهذيب، ٢٦٦/٣.

(٥) البحار، ٣٥٢/١٩.

فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً فقالت: من جريج. فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال الغلام: إن أبي هو الراعي!. قالوا: لم يكن جريج من الأنبياء وكذلك هذا الطفل، فلا يمكن أن تصدر على أيديهم خوارق العادات، فإن الخوارق إنما تكون من النبيين في مقام تعجيز البشر إثباتاً لنبوتهم كما هو مقرر في محله، وكلام هذين المولودين وأخبارهما بالمغيبات مما تأباه فطرة الله التي فطر الناس عليها..).

الجواب:

هذا الحديث قد رواه الأئمة أيضاً!! ففي قصص الراوندي بإسناده إلى أبي جعفر (عليه السلام) قال: «كان في بني إسرائيل عابد يقال له: جريج وكان يتعبد في صومعته، فجاءته أمه وهو يصلي فدعته فلم يجيبها فانصرفت، ثم أتته ودعته فلم يجيبها ولم يكلمها، فانصرفت وهي تقول: أسأل له بني إسرائيل أن يخذلك، فلما كان من الغد جاءت فاجرة وقعدت عند صومعته فأخذها الطلق فادعت أن الولد من جريج، ففشا في بني إسرائيل أن من كان يلوم الناس على الزنا، فقد زنا، وأمر الملك بصلبه، فأقبلت أمه إليه تلطم وجهها، فقال لها: اسكني، إنما هذا لدعوتك، فقال الناس لما سمعوا بذلك منه: وكيف لنا بذلك؟ قال: هاتوا الصبي فجاءوا به فأخذه، فقال: من أبوك؟ فقال: فلان الراعي لبني فلان»^(١).

حديث مسرف كافر عُفِرَ له:

عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر

علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه به أحدٌ ففعلوا ذلك به فقال الله للأرض: أدي ما أخذت فإذا هو قائم فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب أو قال: مخافتك فغفر له بذلك^(١).

الجواب:

الرواية من طرق الإمامية: عن زين العابدين عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل أوصى أولاده فقال: إذا أنا مت أن تأخذوني فتحرقوني بالنار، فإذا صرت رماداً فدقوني ثم تعمدوا بي ريحاً عاصفاً فذروا نصفني في البر ونصفني في البحر، قالوا: فلما مات فعل به ولده ما أوصاهم به فلما ذروه قال الله جل جلاله للبر: اجمع ما فيك، وقال للبحر: اجمع ما فيك، فإذا الرجل قائم بين يدي الله تعالى فقال له عز وجل: ما حملك على ما أوصيت به ولذلك أن يفعلوه بك؟ قال: حملني على ذلك وعزتك خوفك، فقال الله جل جلاله: فأني سأرضى خصومك وقد أمنت خوفك وغفرت لك^(٢).

حديث بأن النبي ﷺ كان جنباً:

قالوا: ومن سخافات هذا الرجل قوله: (أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً فخرج إلينا رسول الله ﷺ فلما قام في مصلاه ذكر أنه جنب)^(٣). ثم قال: (نبرأ إلى الله منه ومن يميز على رسول الله ﷺ الذي كان في جميع أوقاته على طهور، وكان الوضوء على الوضوء عنده نوراً على نور، وأنبياء الله كافة منزهون عن مضمونه معصومون عما هو دون مما لا يليق بالصدّيقين وصالحِي المؤمنين).

(١) صحيح مسلم برقم ٢٧٥٦.

(٢) الأنوار النعمانية، لنعمة الله الجزائري ٢٧٦/٤.

(٣) رواه البخاري برقم ٢٧٥.

الجواب:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صلى علي عليه السلام بالناس على غير طهر وكانت الظهر ثم دخل فخرج مناديه أن أمير المؤمنين عليه السلام صلى بالناس على غير طهر فأعيدوا وليبلغ الشاهد الغائب»^(١).

حديث لن يدخل أحدًا عمله الجنة إلا برحمته الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (لن يدخل أحدًا عمله الجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا)^(٢). قالوا: يضرب بهذا الحديث عرض الحائط لمخالفته كتاب الله عز وجل في كثير من آياته، وحسبك منها إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً [الإنسان: ٢٢].

الجواب:

قال المجلسي في شرح تفسير هذه الآية ما نصه: (ويحتمل أن يكون معنى الآية أنه لا يصرف العذاب عند أحد إلا برحمة الله كما روي أن النبي صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل..^(٣)

حديث أن النبي صلى الله عليه وآله كان راعي الغنم:

(١) الاستبصار ٤٣٣/١.

(٢) رواه البخاري برقم ٥٦٧٣، ومسلم برقم ٢٨١٦.

(٣) مجمع البيان ٢٣/٣، تفسير الصافي ١١١/٢، نور الثقلين ٧٠٦/١، بحار الأنوار ١١/٧.

عن أبي هريرة (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم)^(١). قالوا: وهذا في البعد إلى حد السقوط).

الجواب:

عن أبي جعفر عليه السلام: قال النبي ﷺ: (ليس من نبي إلا وقد رعى الغنم)^(٢).

حديث ختن نبي إبراهيم عليه السلام بالقدوم بعد الثمانين:

وإستنكروا حديثه ﷺ (أن إبراهيم عليه السلام قد اختتن بالقدوم بعد ثمانين سنة من عمره)^(٣).

الجواب:

هذا الحديث رواه أئمة أهل البيت. فعن الكاظم عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (أول من قاتل في سبيل الله إبراهيم الخليل عليه السلام حيث أسرت الروم لوطاً عليه السلام فنفر إبراهيم عليه السلام واستنقذه من أيدهم، وأول من اختتن إبراهيم بالقدوم على رأس ثمانين سنة)^(٤).

حديث عمر آدم عليه السلام:

ومما إستنكروه علي أبي هريرة رضي الله عنه حديثه أن آدم سأل ربه عن داود: كم جعلت له من العمر؟ قال: ستين سنة، قال: يا رب زده من عمري أربعين سنة حتى يكون عمره مائة سنة، فقال الله عز وجل: إذن يكتب ويختتم فلا يبدل. فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت

(١) رواه البخاري برقم ٢٢٦٢.

(٢) المحجة البيضاء ١٢٨/٤، اللالي ٢٤/٥.

(٣) رواه البخاري برقم ٣٣٥٦، ومسلم برقم ٢٣٧٠.

(٤) قصص الأنبياء، لنعمة الله الجزائري، ١١٣.

لقبض روحه قال آدم: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال له ملك الموت: أولم تجعلها لابنك داود؟ قال: فجحد فجحدت ذريته^(١)! الحديث).

الجواب:

هذا الحديث قد رواه أئمة أهل البيت. فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن آدم مر باسم داود النبي عليه السلام فإذا عمره أربعون سنة فقال: يا رب ما أقل عمر داود وأكثر عمري؟! يا رب إن أنا زدت داود من عمري ثلاثين سنة فأنفذ ذلك له وأثبتها له عندك وأطرحها من عمري، قال: ثبت الله لداود من عمره ثلاثين سنة ولم يكن له عند الله مثبتاً ومحا من عمر آدم ثلاثين سنة وكانت له عند الله مثبتاً... فلما دنا عمر آدم هبط عليه ملك الموت ليقبض روحه، فقال له آدم: يا ملك الموت قد بقي من عمري ثلاثون سنة، وقال له ملك الموت: ألم تجعلها لابنك داود فقال آدم: يا ملك الموت ما أذكر هذا، فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجهل ألم تسأل الله أن أثبت لها لداود ويمحوها من عمرك فأثبتها لداود في الزبور ومحاهها من عمرك من الذكر؟^(٢) وقال المجلسي: قد مضت الأخبار في ذلك في أبواب قصص آدم عليه السلام وفي بعضها أنه زاد في عمر داود عليه ستين سنة تمام المائة، وهو أوفق بسائر الأخبار، والله أعلم^(٣).

حديث احتجاج آدم وموسى:

(١) رواه الترمذي برقم ٣٣٦٨.

(٢) تفسير البرهان ٣٠١/٢.

(٣) البحار، ١٠/١٤.

ومثله حديثه: «عن آدم وموسى مثلها يحتاجان»). قالوا: على كيفية تدل أنها كانا من القدرية، وقد ظهر فيها آدم على موسى فحجه إلى كثير مما لا يليق بالأنبياء، ويجب تنزيههم عنه).

الجواب:

تمام هذا الحديث الذي أخرجه البخاري عن حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق فقال رسول الله: فحج آدم موسى مرتين)^(١). وقد روى هذا الحديث أئمة أهل البيت عليهم السلام. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع، فقال له موسى: يا أبت ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من الشجرة؟ فلم عصيته؟ قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين سنة، قال: فهو ذلك، قال الإمام الصادق عليه السلام: فحج آدم موسى عليه السلام^(٢). وقال المجلسي في بيان الحديث ما لفظه: (وجدان الخطيئة قبل الخلق إما في عالم الأرواح بأن يكون روح موسى عليه السلام اطلع على ذلك في اللوح، أو أنه وجد في التوراة أن تقدير خطيئة آدم عليه السلام كان قبل خلقه بثلاثين سنة، ويدل على الأخير ما سيأتي في خبر مسعدة، وقوله عليه السلام: (فحج) أي غلب عليه في الحجة وهذا يرجع الى القضاء والقدر)^(٣). وقال عبد الصاحب: (والذي يفهم من جواب موسى لآدم عليه السلام من أن الخطيئة كائنة مقدرة من قبل

(١) رواه البخاري برقم ٣٤٠٩، ومسلم برقم ٢٦٥٢.

(٢) تفسير القمي ٤٤/١.

(٣) بحار الأنوار ١٦٣/١١.

خلق آدم ومن عالم الذر، قلت: خلق الأرواح قبل وجوده بألفي عام وهي المسألة التي هي معركة الآراء وقد هلك فيها ناس كثير لسوء فهمهم وتأمّلهم وعدم تعقلهم الحقيقة فيها، وهي مسألة قضاء الله وقدره لمخلوقه قبل وجوده^(١).

حديث مثنى العلاء الحضرمي على البحر مع جنوده:

قالوا: وما أكثر حديثه في خوارق النواميس الطبيعية، وحسبك منها إذ كان - فيما زعم - مع العلاء بن الحضرمي لما بعث في أربعة آلاف إلى البحرين فانطلقوا حتى أتوا على خليج من البحر ما خاضه قبلهم أحد ولا يخوضه بعدهم أحد!. قال أبو هريرة: أخذ العلاء بعنان فرسه فسار على وجه الماء وسار الجيش وراءه قال: فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر؟؟ الحديث).

الجواب:

روى الصدوق: إن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ في طريق فسايره خيرياً فمرّ بوادٍ قد سال، فركب الخيبري مربطة، وعبر على الماء!! ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام: يا هذا لو عرفت ما عرفت لجزت كما جرت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: مكانك، ثم أوماً بيده إلى الماء فجعد!! ومّرّ عليه فلما رأى الخيبري ذلك أكب على قدميه وقال له: يا فتى ما قلت حتى حوّلت الماء حجراً!! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فما قلت أنت حتى عبرت على الماء!!؟ فقال الخيبري: أنا دعوت الله باسم العظيم...^(٢). وبوب البحراني في معاجزة باب

(١) الأنبياء، ٢٨، ٢٩

(٢) مدينة المعاجز، لهاشم البحراني، ١/٤٣٠، مجمع النورين، لأبي الحسن المرندي، ١٨٠، مشارق أنوار اليقين، لرجب البرسي، ٢٧١، الولاية التكوينية لآل محمد (ع)، لعلي عاشور، ١٤٧، ٢٥٢

بعنوان: أنه ﷺ أعطى ما أُعطي النّبون من إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص والمشي على الماء^(١).

حديث النهي عن المشي بالخف الواحد:

ومنها حديثه ﷺ في النهي عن المشي بالخف الواحد.

الجواب:

روى هذا الحديث أئمة أهل البيت ﷺ. فعن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين ﷺ «نهى رسول الله ﷺ عن أن يمشي الرجل في فرد نعل أو يتنعل وهو قائم»^(٢). وعن أبي بصير عن الباقر ﷺ قال: «لا تمش في نعل واحدة فإن الشيطان أسرع ما يكون إلى الإنسان إلى بعض هذه الأحوال...»^(٣).

حديث إنما الطيرة في المرأة والدابة:

ومنها حديث إنما الطيرة في المرأة والدابة.

الجواب:

عن خالد بن نجيح عن أبي عبد الله ﷺ قال: «تذاكروا الشؤم عنده، فقال: الشؤم في ثلاثة: في المرأة والدابة الدار، فأما شؤم المرأة فكثرة مهرها وعقوق زوجها، أما الدابة فسوء خلقها ومنعها ظهرها، وأما الدار فضيق ساحتها وشر جيرانها وكثرة عيوبها»^(٤).

(١) مدينة المعاجز، لهاشم البحراني، ٥١٣/٣

(٢) البحار، ٣٢٨/٧٦، ٣٢٩ باب جوامع مناهي النبي ﷺ ومتفرقاتها

(٣) المصدر السابق، ١٩١/٨٠ كتاب الطهارة باب آداب الخلاء

(٤) الكافي ٥٦٨/٥، بحار الأنوار ١٤٩/٧٣.

حديث إذا استيقظ أحد من النوم فليغسل يده:

ومنها: أنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: (متى استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يضعها في الإناء فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده؟) (١)

الجواب:

هذا الحديث رواه أئمة آل البيت، فعن عبد الكريم بن عتبة قال: «سألته عن رجل يستيقظ من نومه ولم يبيل يدخل يده في الإناء قبل أن يغسلها قال: لا، لأنه لا يدري أين باتت يده فيغسلها» (٢).

حديث من صاحب الكلب انتقص أجره كل يوم قيراط:

عن أبي هريرة مرفوعاً: «من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط» (٣).

الجواب:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من أحد يتخذ كلباً إلا نقص في كل يوم من عمله صاحبه قيراط» (٤). ومن اقتنى كلباً إلا ضارباً، أو كلب زرع نقص من أجره كل يوم قيراطان» (٥).

حديث من اتبع جنازة فله من الأجر قيراط:

(١) رواه البخاري برقم ١٦٢، ومسلم برقم ٢٧٨.

(٢) البحار، ٣٣٣/٨٠ كتاب الطهارة باب سنن الوضوء وآدابه

(٣) صحيح مسلم برقم ١٥٧٥.

(٤) الكافي، للكليني، ٥٥٢/٦، باب الكلاب

(٥) عوالي اللآلي، ١٤٣/١، ١٤٤

ومنها: أن ابن عمر سمعه يحدث: «بأن من اتبع جنازة فله قيراط من الأجر» فقال: أكثر علينا أبو هريرة ولم يصدقه حتى بعث إلى عائشة يسألها عن ذلك فروت له فصدّق حينئذ والحديث في هذا ثابت).

الجواب:

عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من مشى مع جنازة حتى يصلّي عليها ثم رجع كان له قيراط من الأجر، فإذا مشى معها حتى تدفن كان له قيراطان، والقيراط مثل جبل أحد»^(١). وعن الأصمغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من تبع جنازة كتب الله من الأجر له أربع قراريط: قيراط باتباعه، وقيراط للصلاة عليها، وقيراط بالانتظار حتى يفرغ من دفنها، وقيراط للتعزية»^(٢).

حديث من أحب لقاء الله أحب لقاءه:

وعن أبي هريرة (بأن من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كرهه الله لقاءه)^(٣).

الجواب:

ورد هذا الحديث في «الكافي» فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت - أي الرواي - : أصلحك الله من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن أبغض لقاء الله أبغض لقاءه؟ قال: نعم. قلت: فوالله إنا لنكره الموت، فقال: ليس ذلك حيث تذهب إنما ذلك عند المعاينة إذا رأى ما يحب فليس شيء أحب إليه من أن يتقدم والله تعالى يحب لقاءه وهو يحب لقاء الله

(١) فروع الكافي، ١٧٣/٣

(٢) المصدر السابق، ١٧٣/٣

(٣) رواه البخاري برقم ٦٥٠٧، ومسلم برقم ٢٦٨٣.

حينئذ وإذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله والله يبغض لقاءه^(١). وكذلك روي عن الإمام السجاد عليه السلام هذا الحديث: (هذا ما ورد من قوله عز وجل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، لأن هذا كما جاء في الروايات إنما هو حال الموت..).

حديث تخفيف خمسين صلاة إلى خمس صلوات:

قالوا: وأخرج البخاري في صحيحه قصة عجيبة وغريبة تحكي معراج النبي ﷺ ولقاءه مع ربه، وفيها يقول الرسول ﷺ: (ثم فرضت عليّ خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت عليّ خمسون صلاة. قال: أنا أعلم بالناس منك عاجلت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك فسله. فرجعت فسألته فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشراً، فأتيت موسى فقال: مثله فجعلها خمساً، فأتيت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمساً فقال مثله، قلت: فسلمت فنودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشراً^(٢). نعم اقرأ واعجب من هذه العقائد التي يقول بها علماء السنة والجماعة، ومع ذلك فهم يشنعون على الشيعة أتباع أئمة أهل البيت في القول بالبداء.

الجواب:

(١) فروع الكافي ١٣٤/٣.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٢٠٧.

بوّب الحر العاملي في وسائله «باب استحباب صلاة ألف ركعة في كل يوم وليلة بل كل يوم وكل ليلة إن أمكن» وفيه تسعة أحاديث عن أئمة أهل البيت فراجع^(١). و«باب استحباب صلاة ألف ركعة في كل يوم وليلة بل في كل يوم وفي كل ليلة من شهر رمضان وغيره مع القدرة»^(٢). وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «والله إن كان علي عليه السلام ليأكل أكلة العبد - إلى أن قال - وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة»^(٣). وعنه أنه قال: «كان علي بن الحسين يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين»^(٤). وقد روى الصدوق عن أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام: «شيعتنا أهل الورع - إلى أن قال - وأهل الزهد والعبادة أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة!!!». وقال الحائري في باب «النوافل اليومية»: (وأما النوافل اليومية فمجموعها ضعف مجموعة فرائضها، فهي ٣٤ ركعة)^(٥). وقد أخرج هذا الحديث ابن بابويه القمي (الصدوق) فعن زين العابدين عليه السلام قال: ... أن رسول الله ﷺ كان لا يقترح على ربه عز وجل ولا يراجع في شيء يأمره به، فلما سأله موسى عليه السلام ذلك فكان شفيعاً لأُمته إليه لم يحز له رد شفاعته أخيه موسى، فرجع إلى ربه فسأله التخفيف إلى أن ردّها إلى خمس صلوات، قال: قلت له: يا أبه فلم لا يرجع إلى ربه عز وجل ويسأله التخفيف عن خمس صلوات وقد سأله موسى عليه السلام أن يرجع إلى ربه ويسأله التخفيف؟ فقال له: يا بني أراد ﷺ أن يحصل لأُمته التخفيف مع أجر خمسين صلاة يقول الله عز وجل: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا

(١) الوسائل، ٧١/٣

(٢) المصدر السابق، ١٧٦/٥

(٣) البحار، ١٦٣١٠/٨٢

(٤) المصدر السابق، ١٥/٤١ و ٨٢/٣٠٩ ح ١٠

(٥) أحكام الشيعة، لميرزا الحائري، ١٧٢/١

مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [الأنعام : ١٦٠]^(١). فهذا إقرار من الإمام بأن هذا التخفيف رحمة من الله تعالى ولطفه بعبادة المؤمنين. وقال آية الله العظمى الميرزا الشيخ جواد التبريزي رداً على سائل سألته عن هذا الحديث: الرواية بحسب السند لا بأس بها، فقد رواها الصدوق في «الفقيه» أيضاً وقد ورد في بعض الروايات، أن النبي ﷺ طلب من ربه تخفيف الصلاة عن الأمة، فحففها الله سبحانه إلى عشر ركعات، ثم أضاف إليها النبي ﷺ سبع ركعات، وطلبه هذا الأمر من ربه فهو لإشفاقه على الأمة، وأجاب ربه إليه ﷺ فهو كرامة له^(٢).

معلومة هامة عن مرويات أبي هريرة رضي الله عنه:

المتبوع لروايات أبي هريرة رضي الله عنه في الكتب التسعة (الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وموطأ مالك ومسنند أحمد والدارمي) يجد أن أغلب الصحابة اشتركوا مع أبي هريرة في كل رواياته ما عدا ثمانية أحاديث فقط!!! هل تصدقون هذا؟

والثمانية هي:

- ١- (بينما رجل راكب بقرة) إلى آخر الحديث، سنن الترمذي المناقب حديث رقم ٣٦١٠
- ٢- (قرأ رسول الله ﷺ مُحَمَّدٌ مُّحَمَّدٌ أَخْبَارَهَا [الزلزلة : ٤] سنن الترمذي صفة القيامة حديث رقم ٢٣٥٣
- ٣- (أتدرون من المفلس..)، صحيح مسلم، البر والصلة، حديث رقم ٤٦٧٨
- ٤- (أول من يدعى يوم القيامة.)، مسند أحمد، باقي مسند المكثرين حديث رقم ٨٥٥٨

(١) علل الشرايع، ص ١٣٢ ح ١

(٢) صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات، ٤٢٣/٣ سؤال ١٢٣٣

- ٥- (أظلكم شهركم...)، مسند أحمد، باقي مسند المكثرين حديث رقم ١٠٣٦٥
- ٦- (أعذر الله إلى امرئ)، صحيح البخاري، الرقاق، حديث رقم ٥٩٤٠
- ٧- (أقرب ما يكون العبد)، صحيح مسلم، الصلاة، حديث رقم ٧٤٤
- ٨- (بينما أيوب يغتسل)، صحيح البخاري، الغسل، حديث رقم ٢٧٠

وختاماً هذه بعض مرويات أبي هريرة رضي الله عنه في آل البيت، نهديها لمن اتهمه بعداوته لهم وإخفائه لفضائلهم رضي الله عنهم :

■ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه قال عمر بن الخطاب ما أحببت الإمارة إلا يومئذ قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك. قال: فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله).

■ عن النبي ﷺ أنه قال لحسن: (اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه. وقال أبو هريرة: فما كان أحد أحب إلي من الحسن بن علي بعد ما قال رسول الله ﷺ ما قال) (١).

- لا أزال أحب هذا الرجل بعدما رأيت رسول الله ﷺ يصنع ما يصنع رأيت الحسن في حجر النبي ﷺ وهو يدخل أصابعه في لحية النبي ﷺ والنبي ﷺ يدخل لسانه في فمه ثم قال: (اللهم إني أحبه فأحبه)^(١).
- كنت مع علي بن أبي طالب حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ببراءة، فقال: ما كنتم تنادون؟ قال: كنا ننادي: أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فإن أجله أو أمده إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة الأشهر، فإن الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك، قال: فكنت أنادي حتى صحل صوتي^(٢). وفي رواية: (كنت مع علي بن أبي طالب أنادي بالمشركين، فكان علي إذا صحل صوته، أو اشتكى حلقه، أو عبي مما ينادي، ناديت مكانه،.. كنا نقول: لا يحج بعد العام مشرك، فما حج بعد ذلك العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ مدة، فمدته إلى أربعة أشهر، فإذا قضى أربعة أشهر، فإن الله بريء من المشركين ورسوله، قال: فكان المشركون يقولون: لا، بل شهر، يضحكون بذلك)^(٣).
- عن الباقر عن عبيد الله بن أبي رافع، قال: قلت لأبي هريرة: (إن علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، إذ كان بالعراق، يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة، وإذا جاءك المُنَافِقُونَ [المنافقون]، فقال أبو هريرة: كذلك كان رسول الله ﷺ قرأ)^(٤).

(١) رواه الحاكم في المستدرک ١٨٥/٣ ٤٧٩١.

(٢) رواه النسائي برقم ٢٩٥٨.

(٣) رواه ابن حبان برقم ٣٨٢٠.

(٤) المصدر السابق برقم ٢٨٠٦.

- عانق النبي ﷺ الحسن. رواه البخاري.
- عن عمير بن إسحاق، قال: (كنت أمشي مع الحسن بن علي في طرق المدينة، فلقينا أبا هريرة، فقال للحسن: اكشف لي عن بطنك، جعلت فداك، حتى أقبل حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبله، قال: فكشف عن بطنه، فقبل سرتة، ولو كانت من العورة ما كشفها) (١).
- خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبهما، فقال: نعم من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني) (٢).
- ما رأيت الحسين بن علي إلا فاضت عيني دموعاً، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي، واتكأ علي فانطلقت معه، حتى جاء سوق بني قينقاع، قال: وما كلمني، فطاف ونظر، ثم رجع ورجعت معه، فجلس في المسجد واحتبى، وقال: ادع لي لكاع فأتى حسين يشد حتى وقع في حجره، ثم أدخل يده في لحية رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يفتح فم الحسين فيدخل فاه فيه ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه» (٣).
- نزل ملك من السماء، فبشرني؛ أن فاطمة سيدة نساء أمتي، وأن الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة (٤).

(١) رواه أحمد برقم ١٠٤٠٣، وابن حبان برقم ٦٩٦٥.

(٢) رواه أحمد برقم ٩٦٧١، والحاكم في المستدرک ١٨٢/٣ ٤٧٧٧.

(٣) رواه الحاكم في المستدرک ١٨٥/٣ ٤٧٩١.

(٤) رواه الترمذي برقم ٣٧٨١.

■ عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: (كنا مع أبي هريرة فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب علينا، فسلم فرددنا عليه السلام ولم يعلم به أبو هريرة، فقلنا له: يا أبا هريرة، هذا الحسن بن علي قد سلم علينا فلحقه وقال: وعليك السلام يا سيدي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيد)^(١).

■ عن مساور السعدي قال: (لما مات الحسن بن علي ب رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن، يبكي، وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس! مات اليوم حب رسول الله ﷺ، فابكوا)^(٢).

■ كنا مع النبي ﷺ في صلاة العشاء، فكان إذا سجد، ركب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه، رفعهما رفعا رفيقا، ثم إذا سجد، عادا، فلما صلى، قلت: ألا أذهب بهما إلى أمهما؟ قال: فبرقت برقة، فلم يزالا في ضوئها حتى دخلا على أمهما^(٣).

وبهذا تم القسم الأول من كتاب دفاعاً عن الآل والأصحاب، ويتبعه القسم الثاني وستتناول فيه سائر المسائل إن شاء الله تعالى.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) رواه الحاكم في المستدرک ١٨٥/٣ ٤٧٩٢.

(٢) تاريخ دمشق ٢٩٥/١٣، سير أعلام النبلاء ٢٧٧/٣، البداية والنهاية ٤٤/٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٥٦/٣.

فهرس الموضوعات

بعض ما جاء من مباحث في الكتاب

- ٠٠٢..... مقدمة الجمعية:
- ٠٠٣..... مقدمة الكتاب:
- شبهات حول الصحابة عليهم السلام
- ٠١٢ عدالة الصحابة:
- ٠٥٢ حديث الحوض:
- ٠٦٢ رزية الخميس:
- ٠٧٠ سرية أسامة بن زيد رضي الله عنه:
- ٠٧٥ صلح الحديبية:
- ٠٨٠ آيات وأحاديث حملت على أنها في ذم الصحابة:
- ١٠٠ شبهة أن الصحابة آذوا علياً وحاربوه:
- ١٠٤ شبهة القول أن الصحابة شهدوا على أنفسهم بتغيير سنة النبي صلى الله عليه وآله:
- ١١٧ شبهة أن الصحابة عليهم السلام غيروا في الصلاة:
- ١١٠ شبهة أن الصحابة يشهدون على أنفسهم بعدم امتثال أمر النبي صلى الله عليه وآله:
- ١١٣..... شبهة أن اختلاف الصحابة هو الذي حرم الأمة العصمة وأدى إلى تفرقها:
- ١١٦: شبهة أن الصحابة كانوا يجتهدون مقابل النصوص
- شبهات حول الصديق رضي الله عنه
- ١١٨ آية الغار:

- مسألة فذك: ١٢٣
- الطعن في أسانيد روايات صلاة الصديق في الناس في حياة النبي ﷺ: ١٢٩
- شبهة أن أبا بكر يشهد على نفسه: ١٥٢
- شبهات حول خلافة الصديق: ١٥٦
- شبهة أن أبا بكر خالف سنة النبي ﷺ في قتاله لماعني الزكاة: ١٨٦
- شبهة موقف أبي بكر من خالد بن الوليد ومقتل مالك بن نويرة: ١٩٠
- شبهة قول الحسن والحسين ب للصديق ﷺ له: انزل عن منبر جدنا؟: ١٩٣
- شبهة أن النبي ﷺ لم يأمر أبا بكر قط أمراً مما يتعلق بالدين فلم يكن حرياً بالإمامة: ١٩٤
- شبهة عدم تولية النبي ﷺ أبا بكر البتة عملاً في وقته: ١٩٥
- شبهة أن أبا بكر استخلف عمر والنبي ﷺ لم يستخلف أحداً: ١٩٧
- شبهة قول الصديق ا: إن لي شيطاناً يعتريني: ١٩٨
- شبهة قول الصديق: إني لست بخير منكم، وعلي فيكم: ٢٠٠
- شبهة قول الصديق: أقبلوني أقبلوني: ٢٠٠
- شبهة خفاء أكثر أحكام الشريعة على أبي بكر: ٢٠١
- شبهة تأخر بيعة علي للصديق ﷺ: ٢٠٤
- شبهة قول أبي بكر: فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته: ٢٠٤
- شبهات حول عمر ﷺ
- رزية الخميس: ٢٠٧
- قصة حرق عمر ﷺ لبيت فاطمة ﷺ: ٢٠٧

- شبهة سقط الجنين المزعومة: ٢١٢
- شبهة نسب عمر رضي الله عنه: ٢١٣
- شبهة في عدالة عمر: ٢١٤
- شبهة جهل عمر بالأحكام: ٢١٦
- شبهة تحريم عمر للمتعة: ٢١٨
- لو لا علي هلك عمر: ٢٢٠
- كل الناس أفقه من عمر: ٣٢٢
- شبهة أن عمر رضي الله عنه سئل عن معنى الكلالة فلم يعلمها: ٢٢٥
- شبهة فرار عمر رضي الله عنه في غزوة حنين: ٢٢٦
- شبهة أمر الفاروق رضي الله عنه بقتل بعض أهل الشورى: ٢٢٧
- شبهة درء عمر حد الزنا عن المغيرة بن شعبة: ٢٢٨
- شبهة أن عمر لم يعط أهل البيت سهمهم من الخمس: ٢٢٩
- شبهة صلاة التراويح: ٢٢٩
- شبهة ابتداعه للطلاق الثلاث في مجلس واحد: ٢٣١
- شبهة إدخال عمر الصلاة خير من النوم في الأذان: ٢٣٢
- الكلام في دعاء فاطمة على عمر بما فعله أبو لؤلؤة به كما يزعم المخالف: ٢٣٣
- شبهات حول عثمان بن عفان رضي الله عنه
- الادّعاء بأن الصحابة أجمعوا على قتل عثمان: ٢٣٥
- شبهة تولية عثمان رضي الله عنه للظالمين: ٢٤٢
- شبهة أن عثمان أدخل الحكم بن العاص المدينة وقد أخرج رسول الله ﷺ: ٢٤٣

- شبهة أن عثمان وهب لأهل بيته وأقاربه كثيراً من المال: ٢٤٣.....
- شبهة أن عثمان قد وهب لأصحابه ورفقائه كثيراً من أراضي بيت المال وأتلف حقوق المسلمين: ٢٤٤.....
- شبهة أن عثمان درأ القصاص عن عبيد الله بن عمر وقد قتل الهرمزان: ٢٤٤.....
- شبهة أن عثمان غير سنة رسول الله ﷺ لأنه صلى أربع ركعات في منى: ٢٤٥.....
- شبهة ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه وابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه: ٢٤٦.....
- شبهات حول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
- الادعاء على عائشة في الفتنة: ٢٤٧.....
- شبهة إشارة النبي ﷺ نحو مسكن عائشة وقوله: ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان: ٢٥٠.....
- شبهة سوء خلقها رضي الله عنها مع النبي ﷺ: ٢٥١.....
- شبهة منع عائشة لدفن الحسن رضي الله عنه قرب قبر النبي ﷺ: ٢٥٢.....
- شبهة مقاتلة عائشة لعلي رضي الله عنه وهي ظالمة: ٢٥٥.....
- شبهة موقف أم المؤمنين عائشة من مقتل عثمان بن عفان: ٢٥٥.....
- شبهة أيتكن تنبح عليها كلاب الحوآب: ٢٥٦.....
- الرد على شبهة رواية عائشة شوفت جارية وطافت بها: ٢٥٧.....
- الكلام في تعظيم منزلة عائشة على سائر نساء النبي ﷺ: ٢٥٨.....
- شبهة تسمية عائشة بأم المؤمنين دون غيرها: ٢٥٩.....
- شبهات حول طلحة والزبير رضي الله عنهما والرد عليها

- الادعاء على طلحة والزبير أنها يشهدان الزور: ٢٦١
- شبهات حول عبد الله بن عمر رضي الله عنه
- شبهة: أن ابن عمر رفض مبايعة علي رضي الله عنه: ٢٦٢
- شبهات حول خالد بن الوليد رضي الله عنه: ٢٦٣
- شبهات حول معاوية رضي الله عنه
- شبهة عدم محاسبة عمر لمعاوية: ٢٦٧
- الادعاء على معاوية بأنه أمر بسبّ عليّ، وأنه ليس من كتبة الوحي: ٢٧١
- القول بأن سبب قتل معاوية لحجر بن عدي على استنكاره لسبّ عليّ: ٢٧٢
- شبهة أن الحسن البصري رضي الله عنه طعن في معاوية: ٢٧٣
- ادعاء البعض أن معاوية سم الحسن: ٢٧٤
- ادعاء البعض على معاوية أنه حوّل الخلافة من الشورى إلى ملكية قيسرية: ٢٧٥
- الرد على شبهة (يا عمار تقتلك الفئة الباغية): ٢٧٦
- شبهة ادعائه زياد بن أبيه أحاً له: ٢٧٧
- القول بأن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن معاوية وأمر بقتله إذا وجدوه على منبره: ٢٧٩
- شبهات حول أبي هريرة رضي الله عنه
- شبهة حديث سهو النبي صلى الله عليه وآله: ٢٨٢
- شبهة حديث أن النبي صلى الله عليه وآله كان يجلد ويغضب: ٢٨٣
- شبهة حديث عروض الشيطان لرسول الله وهو في الصلاة: ٢٨٥
- حديث نوم النبي صلى الله عليه وآله عن صلاة الصبح: ٢٨٦
- شبهة حديث أن بقرة وذئباً يتكلمان بلسان عربي مبين: ٢٨٨

- شبهة حديث تركه النبي ﷺ صدقة: ٢٨٩.....
- شبهة حديث كون أبي طالب مات مشركاً: ٢٨٩.....
- شبهة حديث أمة مسخت فأراً: ٢٩٠.....
- شبهة حديث من أدركه الفجر جنباً فلا يصم: ٢٩٢.....
- شبهة حديث لا عدوى ولا صفر ولا هامة: ٢٩٣.....
- حديث توكيل أبي هريرة بحفظ زكاة الفطرة ومجيء الشيطان ليسرق منها: ٢٩٤.....
- حديث امرأة دخلت النار في هرة: ٢٩٥.....
- حديث غفرت لامرأة سقت لكلب: ٢٩٥.....
- شبهة أنه يروي عن النبي ﷺ أحاديث موضوعة: ٢٩٦.....
- شبهة حديث خلق الله آدم على صورته: ٢٩٩.....
- شبهة حديث رؤية الله يوم القيامة: ٢٩٩.....
- حديث لا تملأ النار حتى يضع الله رجله فيها: ٣٠١.....
- حديث نزول الربّ كل ليلة إلى سماء الدنيا: ٣٠١.....
- حديث طواف نبي الله سليمان بمائة امرأة في ليلة: ٣٠٤.....
- حديث لطم نبي الله موسى عين ملك الموت: ٣٠٦.....
- حديث فرار الحجر بثياب موسى عليه السلام: ٣٠٧.....
- حديث طلب الشفاعة من الأنبياء يوم القيامة: ٣٠٨.....
- حديث تساقط جراد الذهب على نبي الله أيوب: ٣٠٩.....
- حديث التنديد بموسى إذ قرصته نملة فأحرق قريتها: ٣١٠.....
- حديث مولودان يتكلمان بالغيبات: ٣١١.....

- حديث مسرف كافر غفر له: ٣١٢
- حديث بأن النبي ﷺ كان جنباً: ٣١٣
- حديث لن يدخل أحداً عمله الجنة إلا برحمته الله: ٣١٤
- حديث أن النبي ﷺ كان راعي الغنم: ٣١٤
- حديث ختن نبي إبراهيم عليه السلام بالقدوم بعد الثمانين: ٣١٥
- حديث عمر آدم عليه السلام: ٣١٥
- حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام: ٣١٦
- حديث مشي العلاء الحضرمي على البحر مع جنوده: ٣١٨
- حديث النهي عن المشي بالخف الواحد: ٣١٩
- حديث إنما الطيرة في المرأة والدابة: ٣١٩
- حديث إذا استيقظ أحد من النوم فليغسل يده: ٣٢٠
- حديث من صاحب الكلب انتقص أجره كل يوم قيراط: ٣٢٠
- حديث من اتبع جنازة فله من الأجر قيراط: ٣٢١
- حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه: ٣٢١
- حديث تخفيف خمسين صلاة إلى خمس صلوات: ٣٢٢
- معلومة هامة عن مرويات أبي هريرة رضي الله عنه: ٣٢٤
- مروياته في فضائل آل البيت رضي الله عنهم: ٣٢٥
- فهرس الموضوعات: ٣٢٩